طالع في هذا الكتاب المبارك
ونقل منه محمد ابو الخير بن احمد ...
الحنفي عفا الله تعالى عنه امين

الجزء السادس من مسالك الابصار

عدد ٢١

محمد بن علي بن عيسى بن داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي عفا الله عنهم
عام ١١٦١

وقف وقف وقف وقف وقف وقف



الخامس من مسالك الأبصار في ممالك

تأليف الشيخ الإمام العالم البارع العلامة
أبي العباس شهاب الدين أحمد بن
يحيى ابن فضل الله العمري
عفا الله عنه



الجزء السادس

قد وقف هذه النسخة الكتب ... السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك البر والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان ... [illegible] ... أجزل الله تعالى ثوابه ... [illegible] ... المحروس ... [illegible]



الحمد لله حق حمده

وقف وحبس وسبل المقام الأشرف ... [illegible] ... محمود ... الملكي الطاهري ... [illegible]
وجميع ما اشتملت عليه ... جميع هذا المجلد ... من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ... [illegible]
... ابن فضل الله العمري ... [illegible]
... على طلبة العلم الشريف ... [illegible]
... [illegible] ...
... [illegible] ...

... [illegible]

... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

واذ قد ختمنا فقهاء المحدثين بالجانبين ولم ندع منهم زينة مشرق ولا مغرب
ولا مطلع هلال ولا كوكب حتى وصلنا سبب الاموات بالاحياء وسكان المدن
والاحياء فلم يبق الآن ان نذكر مجرد الفقهاء ونكتفي بفراقد النبهاء
ونبدأ من الايمة بابي حنيفه ثم مالك ثم الشافعي ثم ابن حنبل ثم اهل الظاهر
وذكرناهم اقتداء بالشيخ ابي اسحق حيث ذكرهم في طبقات الفقهاء ونتبع
راس كل مذهب بمشاهير اتباعه وجماهير اشياعه ونبدأ باهل الجانب الشرقي
على عادتنا فيما سلف ونعوذ بالله من اخلال التقصير واطناب السرف
وبه نستعين فاما اهل الجانب الشرقي **فالامام المقدم منهم ابو حنيفة**
النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفي احد ايمة الاسلام وسراج الامة المستصبح
في الظلام نشر بمذهبه الاعلام ونصر شريعة محمد عليه افضل الصلاة والسلام
اول من دون الفقه والاحكام ودوخ القضايا للحكام وقاس الامر على شبهه
واتى بالحق على وجهه وتفقه فغلب الناس بفقهه وكان لا يعجزه دليل
ولا يعجبه ذليل لو شاء ان يستدل على ان سواري المسجد ذهب لفعل ولو
قصر لاحتذى بالثريا وانتعل لو اطل على المجرة لما رضي شربا في اعطانها او
جاور الجوزاء لما استطاب مقاما في اوطانها او حل في دارة الشمس لانف من
مجاورة سلطانها اراده المنصور على القضاء فابى وجرد للمضاء سيفه فنبا
ولم تخدعه الدنيا بزخارفها ولا سربه بعواري عوارفها فكف عن بوايق الانام
وعف عن طوارق المنام تقللا من قليل الدنيا المعار وتعريا مما تلبسه من رداء
العار وكان لو شك في الماء لما شربه او ظن في الهواء لما استلذ مستطيبه
تقدم بالاستحقاق والزمان وقدم على اجله بدار الامان لم يكن في الاربعة احد

معه ولا جاء منهم الا من بعده وضح ضوء نهاره ووضع كل تصنيف اجلالا لمقداره
أسف للتقصير عنه سفين واثبت دونه البتي عثمان وجمد ابن ابي ليلي
بالكوفة خلفه فما ادركه وابن جريج بمكة وما سلك مسلكه وثب الليث بمصر
فما زاد على ان ولج عرينه وحرص مالك امام دار الهجرة فما حصل الا على المدينه
وكان لا يمثل بذكايه اياس ولا يجيء احد معه في فقه على قياس فما جاء مثله ابن
الماجشون ولا تقدمه الشافعي وداره بين الصفا والحجون ولا خرج ذو فقه في
الفروع عن ظله الاثيث ولا جاراه ابن حنبل الا وكان له القديم ولذاك الحديث
لقد كثرت طايفته وتفرعت من بحره الانهار وتوزعت من شمسه الاقمار وجال
ذكره في الارض فضوعها عبقا وضوأها ثم الفى جرانه مشرقا فملك اكثر اهل
الارض مذهبه وتوقل اشرف المطالع كوكبه حتى عم صيته وانتعش بمحل
عالم اذا ذكر معه تحييه ودانه بمنيته وادرك اربعة من الصحابة وهم انس
ابن مالك وعبد الله ابن ابي اوفى بالكوفه وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وابو الطفيل
عامر بن واثلة بمكة ولم يلق احدا منهم ولا اخذ عنه واصحابه يقولون لقي جماعة
من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند اهل النقل وذكر ابو بكر الخطيب
في تاريخ بغداد انه راي انس بن مالك واخذ الفقه عن حماد ابن ابي سليمن وسمع
عطاء ابن ابي رباح وابا اسحق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب ومحمد بن
المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى
عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي ابو يوسف ومحمد بن الحسن
الشيباني وزفر بن الهذيل وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع
دايم التضرع الى الله تعالى ونقله ابو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فاراده
ان يوليه القضاء فابى فحلف عليه ليفعلن فحلف ابو حنيفة لا يفعل فقال الربيع

ابو يونس الحاجب الا ترى امير المومنين يحلف فقال ابو حنيفة امير المومنين على
كفارة ايمانه اقدر مني على كفارة ايماني وابى ان يلي فامر به الى الحبس في الوقت
والعوام يدعون انه تولى عدد اللبن اياما ليكفر بذلك عن يمينه ولم يصح هذا
من جهة النقل قلت وذكر ثقات من اهل التاريخ انه كان على ربع من
ارباع بغداد في بنائها حين بناها المنصور وقال الربيع رايت المنصور
ينازل ابا حنيفة في امر القضاء وهو يقول اتق الله ولا تشترع في امانتك الا من
يخاف الله والله ما انا مامون الرضى فكيف اكون مامون الغضب ولو اتجه الحكم
عليك ثم تهددني ان تغرقني في الفرات او تدع الحكم لاخترت ان اغرق ولك
حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا اصلح لذلك فقال له كذبت انت
تصلح فقال قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك ان تولي قاضيا على امانتك وهو
كذاب وحكى الخطيب ايضا في بعض الروايات ان المنصور لما بنى مدينته
ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ارسل الى ابي حنيفة
فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال
او تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم ياته احد فلما كان في اليوم الثالث اتاه
رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان واربعة دوانيق ثمن تور
صفر فانكر الرجل فقال ابو حنيفة للصفار ما تقول قال استحلفه لي فقال ابو حنيفة
للرجل قل والله الذي لا اله الا هو فجعل يقول فلما راه ابو حنيفة معتمدا على ان يحلف
قطع عليه وضرب بيده على كمه واخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان
عوض عن باقي تورك فنظر الصفار اليهما وقال نعم فاخذ الدرهمين فلما كان بعد
يومين اشتكى ابو حنيفة فمرض ستة ايام ثم مات ∴ وكان يزيد بن عمر بن هبيرة
امير العراقين اراده ان يلي القضاء بالكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني امية

فابى عليه فضربه مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة اسواط وهو على الامتناع
فلما راى ذلك خلى سبيله وكان احمد بن حنبل اذا ذكر ذلك بكى وترحم على ابي حنيفة
وذلك بعد ان ضرب الامام احمد على القول بخلق القران وقال اسمعيل بن
حماد بن ابي حنيفة مررت مع ابي بالكناسة فبكى فقلت له يا ابت ما يبكيك فقال
يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة ابي على ان يلي القضاء فلم يفعل ∴ وكان ابو حنيفة
حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من الرجال
وقيل كان طوالا تعلوه سمرة احسن الناس منطقا واحلاهم نغمة ∴ وذكر الخطيب
ان ابا حنيفة راى في النوم كانه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من
سال ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثير علما لم يسبقه اليه احد قبله
وقال الشافعي قيل لمالك هل رايت ابا حنيفة فقال نعم رايت رجلا لو كلمك
في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وقال الشافعي الناس عيال
على هولاء الخمسة من اراد ان يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن ابي سلمى
ومن اراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق ومن اراد ان يتبحر في
النحو فهو عيال على الكسائي ومن اراد ان يتبحر في التعبير فهو عيال على مقاتل
ابن سليمن ومن اراد ان يتبحر في الفقه فهو عيال على ابي حنيفة كان ابو حنيفة
ممن وفق له حكاه الخطيب وقال يحيى بن معين القراءة عندي قراءة حمزة
والفقه فقه ابي حنيفة على هذا ادركت الناس وقال جعفر بن ربيع اقمت
على ابي حنيفة خمس سنين فما رايت اطول صمتا منه فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال
كالوادي وسمعت له دويا وجهارة بالكلام وكان اماما في القياس وقال
علي بن عاصم دخلت على ابي حنيفة وعنده حجام ياخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع
البياض فقال الحجام لا قال ولم قال لانه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر

وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك ابو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام
وقال عبد الله بن رجاء كان لابي حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره
اجمع حتى اذا جنه الليل رجع الى منزله وقد حمل لحما فطبخه او سمكة فيشويها ثم لا يزال
يشرب حتى اذا دب الشراب فيه غرد بصوت غرد وهو يقول

اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى ياخذه النوم وكان ابو حنيفة يصلي الليل
ويسمع جلبته ففقد ابو حنيفة صوته فسال عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال وهو
محبوس فصلى ابو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستاذن على الامير فقال
الامير ايذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطا البساط ببغلته ففعل ولم
يزل الامير يوسع له في مجلسه وقال ما حاجتك قال ان لي جارا اسكافا اخذه العسس
منذ ليال يامر الامير بتخليته فقال نعم وكل من اخذ في تلك الليلة الى يومنا فامر بتخليتهم
اجمعين فركب ابو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه فلما نزل ابو حنيفة مضى اليه
وقال يا فتى اضعناك فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار
ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان وقال ابن المبارك رايت
ابا حنيفة في طريق مكة وقد شوي لهم فصيل سمين فاشتهوا ان ياكلوه بخل فلم
يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرايت ابا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة
وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فاكلوا الشواء بخل فقالوا تحسن
كل شيء فقال عليكم بالشكر فان هذا شيء الهمته لكم فضلا من الله عليكم وقال
ابن المبارك قلت لسفين الثوري يا ابا عبد الله ما ابعد ابا حنيفة عن الغيبة ما سمعته
يغتاب عدوا له قط فقال والله هو اعقل من ان يسلط على حسناته ما يذهبها
وقال ابو يوسف دعا ابو جعفر المنصور ابا حنيفة فقال الربيع حاجب المنصور

وكان يعادي ابا حنيفة يا امير المؤمنين هذا ابو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله
ابن عباس يقول اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم او بيومين جاز
الاستثناء وقال ابو حنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين فقال ابو حنيفة
يا امير المؤمنين ان الربيع بن عمار يزعم انه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال
يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور
وقال يا ربيع لا تعرض لابي حنيفة فلما خرج ابو حنيفة قال له الربيع اردت ان
تسيط بدمي قال لا ولكنك اردت ان تسيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي
وكان العباس الطوسي سيء الراي في ابي حنيفة وكان ابو حنيفة يعرف ذلك
فدخل ابو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم اقتل ابا حنيفة
فاقبل عليه فقال يا ابا حنيفة ان امير المؤمنين يدعو الرجل فيامره بضرب عنق
الرجل لا يدري ما هو ايسعه ان يضرب عنقه فقال يا ابا العباس امير المؤمنين
يامر بالحق ام بالباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولا تسل عنه ثم قال
ابو حنيفة لمن قرب منه ان هذا اراد ان يوبقني فحبلته وقال يزيد
ابن الكميت كان ابو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرا بنا علي بن عيسى
المؤذن ليلة في عشاء الاخرة سورة اذا زلزلت وابو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة
وخرج الناس نظرت الى ابي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت اقوم
لا يشتغل قلبه بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه الا زيت قليل فجئت
وقد طلع الفجر وهو قايم وقد اخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة
خير خيرا ومن يجزي بمثقال ذرة شر شرا اجر عبدك النعمان من النار ومما
يقرب منها من السوء وادخله في سعة رحمتك قال فاذنت واذا القنديل يزهر
وهو قايم فلما دخلت قال تريد ان تاخذ القنديل قلت قد اذنت لصلاة الغداة

فقال اكتم علي ما رايت وركع ركعتين وجلس حتي اقمت الصلاة وصلي معنا
الغداة علي وضوء اول الليل وقال اسد بن عمرو صلي ابو حنيفة فيما
حفظ عليه صلاة الصبح بوضوء العشاء اربعين سنة وكان عامة ليله يقراء
جميع القران في ركعة واحدة وكان يسمع بكاوه في الليل حتي يرحمه جيرانه وحفظ
عليه انه ختم القران في الموضع الذي توفي فيه سبعة الاف مرة وقال
اسمعيل بن حماد ابن ابي حنيفة عن ابيه لما مات ابي سالنا الحسن بن عمارة ان
يتولي غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلثين
سنة ولم تتوسد يمينك منذ اربعين سنة وقد اتعبت من بعدك وفضحت القراء
وروي ان ابا عمرو ابن العلاء سالة عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ام لا
فقال لا فقال له ابو عمرو ولو قتله بحجر فقال ولو قتله با با قبيس يعني الجبل المطل
علي مكة فعاب قليلوا المعرفة هذا علي ابي حنيفة وزعموا انه ناقص العربية
والجواب ان ابا حنيفة كوفي ومن مذهب الكوفيين ولغتهم في الاسماء
الستة اعرابها في الاحوال الثلثة بالالف ويستدلون علي ذلك بقول الشاعر

ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها

وولد ابو حنيفة سنة ثمانين من الهجرة وتوفي في رجب وقيل في شعبان وقيل
لاحدي عشرة ليلة خلت من جمدي الاولي سنة خمسين ومايه وقيل بل توفي
سنة احدي وخمسين وقيل اثنتين والاول اصح وتوفي بالسجن ببغداد ليلي
القضاء فلم يقبل هذا هو الصحيح وقيل لم يمت في السجن وقيل انه توفي في اليوم
الذي ولد فيه الشافعي ودفن بمقابر الخيزران وقبره هناك يزار وبني عليه
شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان
ملك شاه السلجوقي مشهدا وقبة في سنة تسع وخمسين واربع مايه وبني

عنده مدرسة كبيرة للحنفية فلما فرغ من عمارة ذلك ركب اليها في جماعة
من الاعيان ليشاهدوها فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم الشريف ابو جعفر
مسعود البياضي الشاعر وانشد

الم تران العلم كان مبددا فجمعه هذا الموسد في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة فانشرها فعل العميد ابو سعد

فاجازه ابو سعد جايزة سنية واما نسب ابي حنيفة فهو النعمان
ابن ثابت بن زوطي بن ماه مولي تيم الله بن ثعلبة وجده زوطي من اهل كابل
وقيل من اهل الانبار وقيل من اهل نسا وقيل من ترمذ وهو الذي مسه الرق
فاعتق وولد ثابت علي الاسلام وقال اسمعيل بن حماد ابن ابي حنيفة
انا اسمعيل بن حماد بن نعمان بن ثابت بن المنعم بن المرزبان من ابناء فارس الاحرار
والله ما وقع علينا رق قط ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت الي علي بن ابي طالب
وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو ان يكون الله تعالي قد
استجاب ذلك لعلي فينا والنعمان هو المرزبان ابو ثابت هو الذي اهدي لعلي
ابن ابي طالب الفالوذج في يوم المهرجان فقال مهرجونا كل يوم كذا

ومن اصحابه ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد
ابن حبتة الانصاري صاحب ابي حنيفة وساحب ذيله علي كل منيفة ذو مذهب
لو افرد لاستقل ولكثر بنفسه وما قل بعلم لو تدفق لزخر ولو تجسد الفخر
ولو عرض لاحتقر كل عالم ما اقتني وما ذخر بحر موجه مكفوف وبدر بالنجوم
محفوف وفجر متالق بزبد جوهره في السفوف وامام تقدم والعلماء خلفه
صفوف استقضاه الرشيد وارتضاه لحلول بنايه المشيد فانتقاه لتسليم
المقاليد وانتضاه سيفا للتقليد وكان موضع امانته ومرجع امور ديانته حتي

كان يدخله الى ما وراء حجابه وليستدعيه بغير محضر من حجابه ويعارضه
احيانا في حرمه ويفاوضه فيما يكون بينه وبين حرمه ويسايره حيث لا يكون
نجي ويشاوره فيما امره بد الله والنبي فعظمت لهذا الديه مكانته وعرفت
بالسرير في دين اسمه منانته واتسع له ذيل ماله من الحلال مكسبه
ومن تحف الرشيد واهل بيته سببه وما زال على هذا حتى خبت ريحه وآواه
في مستقر التراب ضريحه • ذكر الخطيب عن ابي يوسف قال توفي ابي وخلفني
صغيرا في حجر امي فاسلمتني الى القصار اخدمه وكنت ادع القصار وامر الى حلقة
ابي حنيفة فاجلس اسمع فكانت امي تجي خلفي الى الحلقة فتاخذ بيدي وتذهب بي الى
القصار وكان ابو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم فلما كثر
ذلك على امي وطال عليها هربي قالت لابي حنيفة ما ارى لهذا الصبي فسادا غيرك
هذا صبي يتيم لا شي له وانما اطعمه من مغزلي واومل ان يكسب دانقا يعود
به على نفسه فقال لها ابو حنيفة مري يا رعناء هذا هو ذا والله يتعلم اكل الفالوذج
بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك
قال ابو يوسف ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضا وكنت
اجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى الرشيد فالوذجه
فقال لي يا يعقوب كل منه فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا امير المومنين
فقال هذه فالوذجه بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم تضحك فقلت خيرا ابقى الله
امير المومنين فقال لتخبرني فاخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فعجب من ذلك
وقال لعمري ان العلم ليرفع وينفع دينا ودنيا وترحم على ابي حنيفة وقال كان ينظر
بعين عقله ما لا يراه بعين راسه • وزاد السمناني في تاريخه ان الرشيد سال ابا يوسف
عن امه فقال له هي حية باقية فقال احمل ذلك اليها واذكر لها ذلك وتبر قسم

ابي حنيفة وقال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول صحبت ابا حنيفة
سبع عشرة سنة لا افارقه في فطر ولا اضحى الا من مرض • وولي ابو يوسف
القضاء لثلثة من الخلفاء المهدي والهادي والرشيد وكان الرشيد يكرمه
ويجله وحج معه • واجتمع بمالك وناظره في مقدار الصاع • وهو اول من خوطب
بقاضي القضاة في خلافة الرشيد ولم يخاطب بها احد قبله • وهو اول من غير لباس
العلماء الى هذه الهيئة وقال محمد بن جرير الطبري كان ابو يوسف فقيها
عالما حافظا وكان يعرف بحفظ الحديث وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين حديثا
وستين ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال طلحة بن محمد
الحافظ كان ابو يوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو صاحب ابي حنيفة وافقه
اهل عصره ولم يتقدمه احد في زمانه وكان نهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر
وهو اول من وضع الكتب في اصول الفقه على مذهب ابي حنيفة واملى المسايل
ونشرها وبث علم ابي حنيفة في اقطار الارض • وقد قيل لولا ابو يوسف ما ذكر
ابو حنيفة ولكنه هو نشر قوله وبث علمه وقال هلال الراي لم يكن
في اصحاب ابي حنيفة مثل ابي يوسف كان يحفظ التفسير والمغازي وكان اقل
علومه الفقه وقال ابن كرامة كنت عند وكيع بن الجراح يوما فقال
رجل اخطا ابو حنيفة فقال وكيع كيف يقدر ابو حنيفة يخطي ومعه مثل ابي يوسف
وزفر في قياسهما ومثل يحيى بن ابي زايدة وحفص بن غياث وحبان ومندل في حفظهم
الحديث والقسم بن معن في معرفته باللغة والعربية وداود الطاي والفضيل
ابن عياض في زهدهما وورعهما من كان هولاء جلساه لم يكن يخطي لانه ان
اخطا ردوه وقال ابو حنيفة اصحابنا هولاء ستة وثلثون رجلا منهم
ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ومنهم ستة يصلحون للفتوى ومنهم اثنان

يصلحان يؤدبان القضاه واصحاب الفتوي واشار الي ابي يوسف وزفر
توفي في خلافة الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومايه عن تسع وثمانين سنة
ودفن في مقابر قريش

ومنهم محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه
الحنفي توقد لانه لمعة فرقد وبان به نسبه في شيبان هو وان كان المولى
فانه من ذوي النسب الصريح اولى رفعة علمه وشفعة حلمه ولم يقلع
غمامة الممطر حتي غادر الغدر وابلي في بث العلم العذر ولازم العلم الي ان
حصل وفرع واصل والقي من جامعيه ما لا يعد وهما المصلي ولا يجلي مثلهما في
دجي الليل الصباح المجلي لقد ادت ابوابهما الي بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه وتنفع وتبصر بشريعة نبي الرحمة المشفع ويزيد علي
كل تصنيف فيتغطي حياء منها بذيوله ويتلفع اصله من قرية علي باب
دمشق اسمها حرستا ورحل ابوه من الشام الي العراق واقام بواسط فولد
له بها محمد المذكور ونشا بالكوفة وطلب الحديث ولقي جماعة من اعلام الايمة
وحضر مجلس ابي حنيفة سنتين ثم تفقه علي ابي يوسف صاحب ابي حنيفة
وصنف الكتب الكثيرة النادرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير
وله في مصنفاته المسايل المشكله خصوصا المتعلقة بالعربية ونشر علم
ابي حنيفة وكان من افصح الناس ولما دخل الشافعي بغداد كان بها وجري
بينهما مجالس ومسايل بحضرة هرون الرشيد وقال الشافعي ما رايت
احدا يسال عن مسالة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن
الحسن وقال ايضا حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير وقال
الربيع بن سليمن المرادي كتب الشافعي الي محمد بن الحسن وقد طلب منه

كتبا لينسخها فتاخرت عنه

قولا لمن لم تر عينا من راه مثله ... ومن له بعلمه دليل حق دله
العلم ينهي اهله ان يمنعوه اهله ... لعله يبذله لاهله لعله

فانفذ اليه الكتب من وقته وروي عن الشافعي انه قال ما رايت سمينا
ذكيا الا محمد بن الحسن ويسمي ابن ابي حنيفة ولم يزل محمد ملازما للرشيد
حتي خرج الي الري خرجته الاولي فخرج معه ومات في سنة تسع وثمانين
ومايه ومولده سنة خمس وثلثين ومايه وقيل سنة احدي وقيل سنة اثنتين
ومات هو والكسايي في يوم واحد وكان الرشيد يقول دفنت الفطنة
والعربية بالري

ومنهم زفر بن الهذيل بدر لا يستره طلوعه وفجر لا يكتمه
صديعه وجواد جري الي اقصي امد يستطيعه لم يزل زمانه كله ربيعا
وايام دهره اعيادا جميعا لعلم يبثه وعمل يسره اذا آن بعثه وصفات
كان في سماء المفاخر كوكبها وفي اصايل تلك الايام مذهبها فخارا
يشدخ الهام وينسخ بالتطبع سجايا الالهام وكان فضله شقيق شقايق
النعمان وردء ابي حنيفة في تحقيق الايمان فكان فرد اصحابه ورديف
سحابه موجها لمذهبه ومتشبثا بمذهبه لفضل اوتيه وفقه لا
يخطي مستفتيه قال ابو جعفر الطحاوي كان سبب انتقال
زفر الي ابي حنيفة انه كان من اصحاب الحديث فوردت عليه وعلي اصحابه مسالة
فاعيتهم فاتي ابا حنيفة فساله عنها فاجابه في ذلك فقال له زفر من اين قلت
هذا فقال الحديث كذا والقياس من جهة كذا ثم قال له ابو حنيفة لو كانت
المسالة كذا ما كان الجواب فيها قال فكنت فيها اعمي مني في الاولي فقال

الجواب فيها من جهة كذا قال ثم زادني مسألة اخرى واجابني فيها وبين
وجهها قال فرجعت الى اصحابي فسألتهم عن المسايل فكانوا فيها اعمى مني فذكرت
لهم الجواب وبينت لهم العلل فقالوا من اين لك هذا فقلت من عند ابي حنيفة
فصرت راس الحلقة بالثلث مسايل ثم انتقلت الى ابي حنيفة قال
ابو جعفر فكان احد العشرة الذين دونوا الكتب مع ابي حنيفة قال
محمد بن الحسن حضرت زفر وابا يوسف يتناظران فكان ابو يوسف يقهره
بكثرة الرواية عن ابي حنيفة والاخبار فاذا صار الى المقايسة قهره زفر قال
زفر ما خالفت ابا حنيفة في قول الا وقد كان ابو حنيفة يقول به وقال
الطحاوي لما قدم يوسف بن خالد البصرة كان ياتي عثمان البتي وهو رئيسها
وفقيهها ويناظره ويذكر له خلاف ابي حنيفة فيسبون ابا حنيفة فلم يزالوا
كذلك حتى قدم زفر بن الهذيل البصرة فكان اعلم بالسياسة منه فكان ياتي
حلقة البتي ويناظره ويتبع اصوله ثم يسالهم عن فروعهم فاذا وقف على
خروجهم عن الاصل ناظر البتي عليه حتى يتبين خروجه عن اصله فيستحسن
اصحاب البتي ذلك من زفر فيقول لهم ففي هذا الباب احسن من هذا الاصل
ويذكر لهم قول ابي حنيفة ويقيم الحجة عليهم وياتيهم بالدلايل عليه ويطالب
البتي بالرجوع اليه ويشهد اصحابه عليه بذلك فيقول لهم هذا قول ابي حنيفة
فما مضت الايام حتى تحولت الحلقة الى زفر وبقي البتي وحده ∴ توفي في شعبان
سنة ثمان وخمسين ومايه عن ثمان واربعين سنة

ومنهم نوح الجامع ابن ابي مريم يزيد بن معوية ابو عصمة المروزي
القاضي الحنفي نوح الجامع ونور المجامع لا تخلى الفضايل الا بزينته ولا
يشق طوفان العلوم الا على سفينته كثرت على خواطره سوانح الفتوح
وعمت الآفاق بفضله دعوة نوح وكان على عهد امامه اماما وممن يرجع الى
اختياره فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ∴ تفقه على ابي حنيفة وجالسه حتى
صار من اكبر اصحابه وروى الحديث عن جماعة من التابعين قال السمعاني
استقضي على مرو وابو حنيفة حي فكتب اليه ابو حنيفة بكتاب موعظة وذلك
الكتاب تتداوله المراوزة بينهم ثم استقضي مرة اخرى بعد موت ابي حنيفة
وقال محمد بن علي بن الحسين بن شقيق سمعت ابي يقول كان ابو عصمة
نوح الجامع صحيح الرواية الا انه ابتلي بالقضاء ∴ وانما قيل له الجامع لانه اول
من جمع فقه ابي حنيفة بمرو وقيل لانه كان جامعا بين العلوم وقيل لانه اخذ
الفقه عن ابي حنيفة والحديث عن الحجاج بن ارطاه ومن كان في زمانه والمغازي
عن محمد بن اسحق والتفسير عن الكلبي ومقاتل وكان مع ذلك عالما بامور
الدنيا فسمي الجامع وقيل كانت له اربعة مجالس مجلس للاثر ومجلس لاقاويل
ابي حنيفة ومجلس للنحو ومجلس للشعر وكان على قضاء مرو ∴ توفي سنة ثلث
وسبعين ومايه ∴ وروي من شعره قوله

اذا كنت في الدنيا مصرا على الذي يضرك منها كنت فيها مضيعا
لحى الله اياما يكن ركابنا الى حيث لا يلقى الفتى ثم منزعا
هنالك يلقى المرء ما قدمت له يداه وما قد كان فرق جمعا
الا ان فيض الدمع للبوس صالح رويدك قدم قبل موتك ادمعا

ومنهم اسد بن عمرو بن عامر بن عبد الله بن عمرو بن عامر البجلي
الكوفي ابو عمرو القاضي صاحب ابي حنيفة احد الاعلام المشهورين والحكام
المذكورين اسد لا يولج له غاب ولا يطمع لسواه في رغاب كان له من
الرشيد التقريب ومكان لا يدانيه القريب لما له من قدم صدق وقدم فضل

له ليسحق. تفقه علي ابي حنيفة ولازمه وسمع الحديث من جماعة وروى عنه
آخرون قال ابو نعيم كان اول من كتب كتب ابي حنيفة اسد بن
عمرو ولي القضاء ببغداد بعد ابي يوسف للرشيد وحج معه معادلا له وقال
الخطيب تولي قضاء واسط وقال ابن سعد اسد بن عمرو البجلي من
انفسهم وعنده حديث كثير وهو ثقة ان شاء الله تعالى وصحب ابا حنيفة
وتفقه عليه وكان من اهل الكوفة فقدم بغداد فولي قضاء الشرقيه بعد
العوفي وقال هلال بن يحيى الرازي كنت اطوف بالبيت فرايت هرون
الرشيد يطوف مع الناس ثم اتي الي الكعبة فدخل معه بنو عمه قال فرايتهم
جميعا قياما وهو قاعد وشيخ قاعد معه امامه فقلت لبعض من كان معي من هذا
الشيخ فقال لي اسد بن عمرو قاضيه فعلمت انه لا مرتبة بعد الخلافة اجل من
القضاء وقال يحيى بن معين كان اسد بن عمرو صدوقا وكان يذهب
مذهب ابي حنيفة وولي القضاء فانكر من بصره شيئا فرد عليهم القمطر واعتزل
القضاء وتوفي سنة ثمان وثمانين ومايه وقال ابن سعد سنة تسعين ومايه

ومنهم الحسن بن زياد اللولوي ابو علي الفقيه مولى الانصار
كوفي نزل بغداد وضرب بالاسداد وزاد علي دجلة في الامداد عرف
بين امثاله من العلماء البحار باللولوي لما اخرج وبابن زياد لانه زاد ما شاء من
الفوايد ولم يخرج يفاخر بلولوه الفريد ويغاير البحار بانها تجهد ولا تبلغ
ما يريد اخذ عن الامام ابي حنيفة وتفقه عليه وكان احذق الناس
في السوال حتى قيل لو صار الناس مجيبين لوسعهم الحسن بن زياد سايلا
تفقه عليه جماعة من الايمة الكبار وله اقوال في المذهب قالها من تلقاء
نفسه ودونها الناس في الكتب وتفرد بالرواية عن ابي حنيفة في وقته

وعمر حتى توفي اقرانه ودرجوا قال الحسن بن زياد كتبت عن
ابن جريج اثني عشر الف حديث كلها يحتاج اليها الفقهاء نقله الخطيب
قال احمد بن يونس ولي الحسن بن زياد القضاء فلم يوفق فيه وكان
حافظا لقول اصحابه فبعث اليه البكاي ويحك انك لم توفق للقضاء وارجو ان
يكون هذا لخيرة اراده الله بك فاستعف فاستعفى واستراح قال
احمد بن عبد الحميد الحارثي ما رايت احسن خلقا من الحسن بن زياد ولا اقرب ماخذا
ولا اسهل جانبا وكان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه واستفتي في مسئلة
فاخطا ولم يعرف الذي افتاه فاكترى مناديا فنادي ان الحسن بن زياد استفتي
يوم كذا وكذا في مسئلة فاخطا فمن كان افتاه الحسن في شي فليرجع اليه ومكث
اياما لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى فاعلمه انه اخطا والصواب كذا وكذا
قال محمد بن منصور الاسدي سالت نمر بن جدار فقلت ايما افقه الحسن
ابن زياد او محمد بن الحسن فقال الحسن والله لقد رايت الحسن يسال محمد بن الحسن
حتى يبكي محمد مما يخطيه فقلت له لقد لقيت ابا يوسف وحسنا ومحمدا فكيف
رايتهم قال اما محمد فكان احسن الناس جوابا ولم يكن سواله علي قدر جوابه
وكان الحسن احسن الناس سوالا ولم يكن جوابه علي قدر سواله وكان
ابو يوسف احسن الناس جوابا وسوالا

ومنهم عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثامة بن سلمة
ابن كعب بن اود الاودي الكوفي احد من تفقه بحضرة الامام ابي حنيفة ودون
المسايل واثبتها وغرس الفضايل وانبتها سالت به اودية اود وشرفت
العرب به اعلي عود سامت مجاراته السحب فقصر عنان الجود وطاولت
مجده الرعان فعلم قصر الطود وظنت مماثلة كلمه الدرر فعلقت في ترايب

الجود ادني فضايله خافيه واقصي فواضله انه كان عافيه ذكره ابو بكر الخطيب واسند عنه حديثا واحدا وقال ولاه امير المومنين المهدي القضآء ببغداد في الجانب الشرقي وقال علي بن محمد بن كاس باسناده كان اصحاب ابي حنيفة الذين يذاكرونه ابو يوسف وزفر وداود الطاي واسد بن عمرو وعافية بن يزيد الاودي والقسم بن معن وعلي بن مسهر ومندل وحبان ابنا علي وكانوا يخوضون في المسلة فان لم يحضر عافية قال ابو حنيفة لا ترفعوا المسلة حتي يحضر عافية فان وافقهم قال ابو حنيفة اثبتوها وان لم يوافقهم قال لا تثبتوها قال علي بن الجعد رايت محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية بن يزيد الاودي وقد شرك المهدي بينهما في القضآء يقضيان جميعا في المسجد الجامع هذا في ادناه وهذا في اقصاه وكان عافية اكثرهما دخولا علي المهدي وقال اسمعيل ابن اسحق كان عافية بن يزيد يتقلد القضآء للمهدي وكان عالما زاهدا فصار الي المهدي في يوم من الايام واستاذن عليه واستعفاه من القضآء فساله عن سبب استعفايه فقال كان قد تقدم الي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة وكان يدعي بينة وشهودا ويدلي بحجج تحتاج الي تامل وتثبت فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحوا او يعن لي وجه فصل بينهما قال فوقف احدهما من خبري علي اني احب الرطب السكر فعمد في وقتنا وهو اوان الرطب الي ان جمع رطبا سكرا لا يتهيا في وقتنا جمع مثله الا لامير المومنين وما رايت احسن منه ورشا بوابي جملة من الدراهم علي ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في عيني ولا في قلبي وهذا يا امير المومنين ولم اقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن ان تقع علي حيلة في ديني فاهلك وقد

فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني فاعفاه وقال الاصمعي كنت يوما عند الرشيد فرفع اليه في قاض كان استقضاه يقال له عافية بن يزيد الاودي فامر باحضاره فاحضر وكان في المجلس خلق كثير فجعل امير المومنين يخاطبه ويوقفه علي ما رفع اليه فعطس امير المومنين فشمته من بالحضرة ممن قرب منه سواه فانه لم يشمته فقال له الرشيد ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم فقال عافية لانك يا امير المومنين لم تحمد الله فلذلك لم اشمتك هذا النبي صلي الله عليه وسلم عطس عنده رجلان فشمت احدهما ولم يشمت الآخر فقال يا رسول الله ما بالك شمت هذا ولم تشمتني قال لان هذا حمد الله فشمتناه وانت لم تحمد الله فلم اشمتك فقال له الرشيد ارجع الي عملك انت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها وصرفه منصرفا جميلا وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه

ومنهم اسمعيل بن اليسع الكندي ابو عبد الرحمن الفقيه الحنفي قاضي مصر اول من اقام بها مذهب ابي حنيفة في ذلك الزمان وبث في جنبات روضها شقايق النعمان وهمي فيها فاعترف النيل للغيث وزار في نواحيها فسكت في عرينه الليث ولي قضآء مصر وحكم بمذهب ابي حنيفة ولم يكن اهل مصر يعرفونه قال ابن يونس ولي قضآء مصر من المهدي سنة اربع وستين ومايه ثم روي بسنده قال قدم علينا اسمعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا وكان يذهب الي قول ابي حنيفة ولم يكن اهل مصر يعرفون مذهب ابي حنيفة قال وكان مذهبه ابطال الاحباس فثقل امره علي اهل مصر وشنعوه وكتب الليث بن سعد الي المهدي في امره وكتب اليه انا لم ننكر عليه شيا في مال ولا دين غير انه احدث احكاما لا نعرفها ببلدنا فعزله وقال يحيي بن بكير كان اسمعيل بن اليسع مامونا فقيها وكان يصلي بنا الجمعة عليه كساء

مربع من صوف وقطن وقلنسوة خز وقال ابو عمر في اخبار
قضاة مصر جاء الليث بن سعد الى اسمعيل بن اليسع فجلس بين يديه لرفعه اسمعيل
فقال الليث انما جئت مخاصما لك قال فيما قال في ابطالك احباس المسلمين قد
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فمن
بقي بعد هولاء وقام فكتب الى المهدي فورد الامر بعزله وكانت ولايته ثلث
سنين وصرف سنة سبع وستين ومايه

ومنهم الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن ابو مطيع القاضي
القرشي مولاهم البلخي الفقيه احد اصحاب ابي حنيفة واحد من تفقه عليه رجل في
الدين لا تلين له حصوة ولا تجي البحار من علمه حثوة اشد على الشيطان من
الف عابد وامد الى ما يزع السلطان من كل ساعد لا يخشع للسيوف تحملها
العواتق ولا للسيول ليس تمنعها العوابق بجراة لبث بهوج وطريقة
ليس فيها عوج ∴ تفقه به الفقهاء الخراسانيون من اصحاب ابي حنيفة وولي
قضاء بلخ وكان بصيرا بالراي وكان عبد الله بن المبارك يعظمه حدث عن
الامام ابي حنيفة ومالك بن انس وسفين الثوري وغيرهم وروى عنه طايفة وولي
القضاء ستة عشر سنه وكان يخضب بالحناء قال عبد الله بن المبارك
ابو مطيع له المنة على جميع اهل الدنيا وقال مالك بن انس لرجل من اين
انت قال من بلخ قال قاضيكم قام مقام الانبياء قال محمد بن الفضيل البلخي سمعت
عبد الله بن محمد العابد يقول جاء كتاب في كل مدينة يقرا على المنابر وفيه مكتوب
وآتيناه الحكم صبيا وكان الخليفة ولي العهد صبيا قال فلما جاء الكتاب بلخ
ليقرا سمع ابو مطيع فقام فزعا ودخل على والي بلخ وقال له بلغ من خطر الدنيا انا
نكفر بسببها وكرر مرارا حتى ابكى الامير فقال الامير لابي مطيع اني معك

واني عامل لا اجتري بالكلام ولكن كن مني آمنا وقل ما شيت وكان ابو مطيع
يومئذ قاضيا فلما اذن ارتقى ابو مطيع المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم واخذ بلحيته فبكى وقال يا معاشر المسلمين بلغ من خطر الدنيا
ان نجر الى الكفر من قال وآتيناه الحكم صبيا غير يحيى بن زكريا فهو كافر فقال فزع
اهل المسجد بالبكاء وقام الذي ارسل مع الكتاب وهرب ∴ وذكر في المحيط والبدايع
ان ابنة لابي مطيع البلخي صارت جدة في تسع عشرة سنة فقال ابو مطيع فضحتنا هذه
الجارية وصورته انها حملت لتسع سنين وولدت لستة اشهر فحملت هذه البنت لتسع
سنين ووضعت لستة اشهر فذلك تسع عشرة سنة ∴ ومما وقع مثل هذا ما رواه
الدارقطني ان عباد بن عباد المهلبي قال ادركت فينا يعني المهالبة امراة صارت
جدة وهي بنت تسع عشرة سنة ∴ ومات ابو مطيع البلخي ببلخ في جمدي الاولى
سنة تسع وتسعين ومايه وهو ابن اربع وثمانين سنة

ومنهم ابرهيم بن رستم ابو بكر المروزي احد المشاهير الاعلام والجماهير
من ايمة الاسلام كان متشددا في الدين وصعبا في الحق لا يلين ثبتا لا يتزعزع
وطودا لا يتضعضع وبطلا في مضايق الجهاد لا يتعتع مطلع شهب لوامع ومسير
ظلم جوامع ومحرر دروس ومحبر طروس ومقرر فروع يجنى منها طيبات الغروس
طالما اشرقت به ارجاء بغداد واحدقت به من اهلها زمر اهل الاستعداد واكثرت
الامراء اليه الترداد وبما لديه الاعتداد وتكرر حضورهم اليه وزينته في
صدورهم تزداد ∴ تفقه على محمد بن الحسن وروى عن نوح ابن ابي مريم واسد
ابن عمرو وتفقه عليه جماعة وسمع الحديث من مالك وابن ابي ذيب وسفين الثوري
وطبقتهم وقدم بغداد غير مرة وحدث بها وروى عنه احمد بن حنبل وطايفة
قال ابن رستم عرض علي امير المومنين المامون القضاء فقلت ما اصلح

له والله ان كنت صادقا ما يسعك ان تستقضيني ولئن كنت كاذبا فاولى ان لا تستقضيني فتركني وانصرف ابرهيم الى منزله فتصدق بعشرة الاف درهم ونقل الحاكم في تاريخ نيسابور قال كان ابرهيم بن رستم من اهل كرمان ثم نزل مرو في سكة الدباغين وكان من اصحاب الحديث اخذ عليه في احاديث فخرج الى محمد بن الحسن فكتب كتبهم وحفظ كلامهم واتاه ذو الرياستين الى منزله فلم يتحرك له ولا فرق اصحابه عنه فقال له يا تيك وزير الخلافة فلا تقوم من اجل هولاء الدباغين عندك فقال بعض المتفقهة نحن من دباغي الدين الذي رفع ابرهيم بن رستم حتى جاءه وزير الخلافة ∴ ومات بنيسابور وكان قدمها حاجا وكانت وفاته في جمدي الاخرة سنة احدى عشرة ومائتين

ومنهم اسمعيل بن حماد ابن ابي حنيفة الكوفي الفقيه القاضي ابو حيان وابو عبد الله شملته سعادة ذلك الجد ونهضت به سيادة ذلك الماجد لماجد على انه كان بنفسه كثيرا وبفضله اثيرا لعلم ما رنق صفوه ولا كدر عفوه سر ذلك الوالد ومسبر تلك الفوايد ومصير القضاء يقطع مناط القلايد ∴ تفقه على ابيه حماد والحسن بن زياد ولم يدرك جده وسمع الحديث من ابيه وجماعة وكان اماما جليلا فقيها فاضلا ذكيا بصيرا بالقضاء واسبابه محمودا فيه عارفا بالاحكام والوقايع والنوازل والحوادث فقيها على مذهب جده صالحا دينا عابدا ولي القضاء بالجانب الشرقي من بغداد وقضاء الرصافة وقضاء البصرة وصنف الجامع في الفقه عن جده ابي حنيفة وكتاب الرد على القدرية وكتاب رسالة الى البستي وكتاب الارجاء ونقضه عليه ابو سعيد البردعي ∴ روى الخطيب بسنده عن محمد بن عبد الله الانصاري قال ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب الى اليوم اعلم من اسمعيل بن حماد ابن ابي حنيفة فقيل له يا با عبد الله ولا الحسن

ابن ابي الحسن قال لا والله ولا الحسن ابن ابي الحسن وقال اسمعيل ابن حماد ما ورد علي مثل امراة تقدمت الي فقالت ايها القاضي ابن عمي زوجني من هذا ولم اعلم فلما علمت رددت فقال لها ومتى رددت قالت وقت علمت قال فقلت لها ومتى علمت قالت وقت رددت قال فما رايت مثلها وفي موضع اخر قيل له انها من نسل ابي حنيفة فقال هذا الفرع من ذلك الاصل وحكى ان رجلا ضرب امراة فادعت ذهاب سمعها فاختصما الى القاضي اسمعيل بن حماد فتشاغل عنها ساعة ثم قال استري عورتك فضمت ذيلها فعلم انها كاذبة وقال رجل لاسمعيل بن حماد قد ذهب نصفك قال لو بقيت في شعره لبقي فيها ما يقضي عليك وقال ابو العيناء لما ولي اسمعيل بن حماد البصرة دس عليه محمد بن عبد الله الانصاري انسانا يسئله عن مسئلة فقال اتق الله ايها القاضي رجل قال لامراته فقطع عليه اسمعيل وقال قل للذي دسك ان القضاة لا تفتي ∴ ومات اسمعيل سنة اثنتي عشرة ومائتين

ومنهم خلف بن ايوب ابو سعيد الفقيه العامري البلخي الزاهد احد المشاهير الاعلام المتقدمين رجل ما دار على مثله النجم مقلته ولا اقل الوهم عن طريقه نقلته انعم منه بخلف صالح وسلف مضى وقداضاءة في وجه الزمن الكالح معلم الطريقه ومعلم لاعلان الشريعة واسرار الحقيقه اشبه امامه ابا حنيفة في مناقبه وخلفه وكلاهما خلف من فقد صاحبه ∴ تفقه على ابي يوسف واخذ الزهد عن ابرهيم بن ادهم وصحبه مدة وسمع الحديث من جماعة وروى له الترمذي في كتابه وكان مفتي اهل بلخ وزاهدهم وعابدهم قال ابو عمرو محمد بن علي الزاهد سمعت مشايخنا يذكرون ان السبب لثبات ملك آل سامان ان اسد بن نوح جد الامير اسمعيل خرج الى المعتصم وكان

اسد رجلا بهيا حسن المنظر شجاعا عالما فصيحا عاقلا فتعجبوا من حسنه وجماله
وشجاعته وعقله فقال له المعتصم هل في اهل بيتك اشجع منك قال لا قال فهل فيهم
اعقل منك قال لا قال فلم يعجب الخليفة ذلك منه فدخل عليه بعد ذلك فاجابه بمثل
ذلك فلم يعجبه فقال المعتصم هلا قلت ولم ذلك فقال له ولم ذلك قال لانه ليس في
اهل بيتي احد وطي بساط الخليفة وشاهد طلعته غيري فانا افضلهم اذا فاستحسن
المعتصم منه ذلك وتمكن موقعه لديه وولاه بلخ فلما وردها تولى الخطبة بنفسه
ثم انه سال عن علماء بلخ فذكر له خلف بن ايوب ووصفوا له زهده وعلمه وتجنبه
السلطان فاشتهى اسد بن نوح لقاءه فترقب مجيه الجمعة فلما راه اسد بن نوح ترجل
وقصده فلما راه خلف قد قصده قعد مكانه وغطى وجهه بردائه فقال السلام عليكم
فاجابه جوابا خفيا فسلم المرة الثانية فاجاب ولم يرفع راسه فرفع اسد بن نوح
راسه الى السماء ثم قال اللهم ان هذا العبد الصالح يبغضنا ونحن نحبه فيك ثم ركب
ومر فاخبر بعد ذلك ان خلف بن ايوب مرض فذهب اليه يعوده فقال هل لك من
حاجة قال نعم حاجتي ان لا تعود الي قال وهل غير ذلك قال ان مت فلا تصل علي
وعليك السواد فلما توفي خلف بن ايوب شهد اسد بن نوح جنازته راجلا فلما بلغ
المصلى نزع السواد وتقدم فصلى عليه فسمع صوتا بتواضعك واجلالك لخلف بن
ايوب ثبتت الدولة في عقبك فلا تنقطع ابدا ذكرها الحاكم في تاريخ نيسابور
وقد ذكر هذه الحكاية ابو الفرج ابن الجوزي في المنتظم ثم قال وفي رواية اخرى
ان اسد بن نوح راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كانه يقول له يا اسد
ابن نوح ثبت ملكك وملك بنيك باجلالك لخلف بن ايوب وهذه زيادة على ما
رواه الحاكم وقد ذكر الحافظ ابو عبد الله الذهبي ان وفاة اسد بن نوح
كانت على المامون والله اعلم قال الحاكم في تاريخ نيسابور توفي خلف

ابن ايوب في شهر رمضان سنة خمس عشرة ومائتين
ومنهم موسى بن سليمن الجوزجاني احد العومة بالدين والفولة
ولوان خصمه اسد العرين له اسوة بمن تقدم وسلوة عما يزوق من وجه دينار
ودرهم لم يغتر بزخرف الدنيا الغرور ولا بتقلب حزن وسرور ∴ تفقه
على ابي يوسف ومحمد بن الحسن وروى عنهما الكتب والامالي قال ابو بكر
الخطيب كان فقيها بصيرا بالراي يذهب مذهب اهل السنة سكن بغداد وحدث
بها وقال ابن ابي حاتم كان يكفر القايلين بخلق القران كتب عنه ابي
وقال كان صدوقا وقال الصيمري كان من الورع والدين وحفظ الحديث
والفقه بالمنزلة الرفيعة وقال ابرهيم بن سعيد احضر المامون ابا سليمن
موسى بن سليمن الجوزجاني ومعلى بن منصور الرازي فبدا بابي سليمن لسنه
وشهرته بالورع فعرض عليه القضاء فقال يا امير المومنين احفظ حقوق الله تعالى
في القضاء ولا تولي على امانتك مثلي فاني والله غير مامون على القضاء ولا ارضى نفسي
لله ان احكم في عباده قال صدقت وقد اعفيناك فدعا له بخير واقبل على معلى بن
منصور فقال له مثل ذلك فقال لا اصلح فقال ولم قال لاني رجل اداين واتقاضى
فابيت مطلوبا وطالبا قال نامر بقضاء دينك وتتقاضى ديونك فمن اعطاك قبلناه
ومن لم يعطك عوضناك مالك عليه قال فانا في شكوك في الحكم وفي ذلك تلف
اموال الناس قال تحضر مجلسك اخوانك اهل الدين فما شككت فيه سالتهم
عنه وما صح عندك امضيته قال انا اريد رجلا اوصي اليه من اربعين سنة ما اجد
من اوصي اليه فمن اجد من يعينني على قضاء حقوق الله الواجبة عليك قال فاعفاه
ومنهم عيسى بن ابان بن صدقة بن موسى الفقيه القاضي احد المشهورين
من ايمة اصحاب ابي حنيفة وارباب الرتب المنيفة الذي له تمامة النقيصه

وانف لهُ شرفهُ ان يتناعَ المعالي رخيصه اخذ الفقه علي كبر وصبَّ عليه
ثوب الشهادة وصبر وجدّ فيه حتي كان اماما ودخل مدنه ولم يلم به الماما
وراي ما سواه نقصًا فاني الآن يكون تماما ؞ تفقه علي محمد بن الحسن وصحبه
وسبب تفقهه انه قال دخلت مكة في اول العشر من ذي الحجة مع صاحب
لي وعزمت علي الاقامة شهرًا فجعلت اتم صلاتي فلقيني بعض اصحاب ابي حنيفة
فقال لي اخطات فانك تخرج الي منى وعرفات فلما رجعت من منى بدا لصاحبي ان
يخرج وعزمت علي ان اصاحبه فجعلت اقصر الصلاة فقال لي صاحب ابي حنيفة
اخطات فانك مقيم بمكة فان لم تخرج منها لا تكون مسافرًا فقلت اخطات
في مسئلة في موضعين ولم ينفعني ما جمعت من الاخبار فرحلت الي مجلس محمد بن
الحسن واشتغلت بالفقه وقال محمد بن سماعة كان عيسي بن ابان
حسن الوجه وكان حسن الحفظ للحديث قال وكنت ادعوه ان ياتي محمد بن الحسن
فيقول هولاء يخالفون الحديث فلم ازل به حتي جلس في مجلس محمد بن الحسن
فقلت لمحمد هذا عيسي بن ابان معه ذكاء ومعرفة بالحديث وانا ادعوه اليك فيابي
ويقول انا نخالف الحديث فاقبل عليه محمد بن الحسن وقال له ما الذي رايتنا
نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتي تسمع قال فسال له عن خمسة وعشرين بابا
في الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد
والدلايل فالتفت الي عيسي وقال كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني قال ولزم
محمد بن الحسن لزومًا شديدًا حتي تفقه وكان يعظمه المامون والمعتصم قال
ابن سعد ولي قضاء البصرة سنة احدي عشرة وماتين لما عزل عنها اسمعيل بن
حماد بن ابي حنيفة قال ابو بكر الخطيب واستخلفه قاضي القضاة يحيي
ابن اكثم علي القضاء بمعسكر المهدي لما خرج مع المامون الي فم الصلح فلم يزل

علي عمله الي وقت رجوع يحيي بن اكثم وذلك سنة عشر وماتين وقال
بكار بن قتيبة كان لنا قاضيان لا مثل لهما اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة وعيسي
ابن ابان قال بكار سمعت هلال بن يحيي يقول ما قعد في الاسلام قاضٍ
افقه من عيسي بن ابان في وقته وقال ابو حازم القاضي ما رايت لاهل
بغداد حدثا اذكي من عيسي بن ابان وبشر بن الوليد وقال ايضًا تقدم رجلان
الي عيسي بن ابان فادعي احدهما علي صاحبه دعوي فانكر المدعي عليه فقال عيسي
للمدعي الك بينة قال نعم فاحضر البينة فقال المشهود عليه لعيسي والله الذي
لا اله الا هو لقد شهدا علي بزور فقال عيسي للشاهدين لي لم ادعكما وان تقوما لم
امنعكما وانما يقضي اثنما واني متوق بكما فاتقيا الله ربكما فقاما ولم يشهدا وقال
ايضًا كان عيسي رجلا سخيا جدًا ؞ وكان يقول والله لو اتيت برجل يفعل في ماله
كفعلي في مالي لحجرت عليه قال وقدم اليه رجل محمد بن عباد المهلبي
فادعي عليه باربع ماية دينار فسال له عيسي عن ادعاه فاقر له بذلك فقال الرجل
احبسه لي قال اما الحبس فواجب ولكني لا اري حبسه وانا اقدر علي فدايه من
مالي قال فغرمها عنه عيسي بن ابان من ماله وقال شعيب بن ايوب
وهو من متقدمي اصحاب ابي حنيفة اتي عيسي بن هرون الي المامون بعدة احاديث
خرجها علي اصحابنا وزعم انهم خالفوها فقال المامون لاسمعيل بن حماد ابن ابي حنيفة
ولبشر بن الوليد وليحيي بن اكثم ولمحمد بن سماعة ان لم تثبتوا الحجة لاصحابكم علي هذه
الاقوال بمثل هذه الاخبار والا منعتكم من الفتوي بهذا القول وجمعت الناس علي
خلافه قال فتكلف كل منهم فلم يعمل شيًا فوضع عيسي بن ابان كتابه الصغير وادخله
علي المامون فلما قراه عليه قال متمثلا

حسدوا الفتي اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا وبغيًا انه لذميم
ومات عيسى بن ابان في صفر او في المحرم سنة احدي وعشرين ومايتين

ومنهم محمد بن سماعة بن عبيد الله بن هلال بن وكيع التميمي الكوفي ابو عبد الله القاضي محافظ علي الخير لافظ بما ينفعه ولا يضر الغير متنسك نسك ومنجاء اقوام من هلك ما فاتته اكثر عمره جماعة مشهودة ولا طاعة معهودة ولا ساعة اضاعها ولا دقيقة في شهوة اطاعها ولا اقل من هذا ولا اكثر قدرك قدر عليها واستطاعها. مولده سنة ثلثين ومايه. تفقه علي ابي يوسف ومحمد ابن الحسن وكتب النوادر عنهما جميعا وروي الكتب والامالي وبرع في المذهب وصنف التصانيف وروي الحديث عنهما وعن الليث بن سعد وغيرهم قال يحيي بن معين لو كان اصحاب الحديث يصدقون كما يصدق محمد بن سماعة في الراي لكانوا فيه علي نهاية وقال الصيمري كان سبب كتابة ابن سماعة للنوادر عن محمد بن الحسن انه راه في النوم كانه يثقب الابر فاستعبر فقيل له هذا رجل ينطق بالحكمة فاجتهد ان لا يفوتك من لفظه شيء فبدا حينئذ وكتب عنه النوادر قال وولي ابن سماعة القضاء ببغداد للمامون ثم لم يزل الي ان ضعف بصره في ايام المعتصم فاستعفي وقال محمد بن عمران سمعت محمد بن سماعة يقول مكثت اربعين سنة لم تفتني التكبيرة الاولي الا يوما واحدا ماتت فيه امي ففاتتني صلاة واحدة في جماعة فقمت فصليت خمسا وعشرين صلاة اريد بذلك التضعيف فغلبتني عيني فاتاني آت فقال يا محمد صليت خمسا وعشرين صلاة ولكن كيف بتامين الملايكة وقيل كان يصلي كل يوم مايتي ركعة. توفي سنة ثلث وثلثين ومايتين عن مايه وثلث سنين

ومنهم نصر بن زياد بن نهيك ابو محمد النيسابوري قاضي نيسابور

حكم لا يجور وعلم فاصل لا يحور يوضح الحق ولا يحابي ويقضي بالحق ولو علي الوالدين والاقربين لشدة في الدين وقوة حصاتها لا تلين. اخذ الفقه عن محمد بن الحسن والادب عن النضر بن شميل وسمع الحديث من عبد الله ابن المبارك وغيره قال الحاكم في تاريخ نيسابور ولي قضاء نيسابور بضع عشرة سنة ولم يزل محمود الاثر عند السلطان والرعية وكان من وجوه نيسابور ومن المقبولين في الحديث والرواية وله عندنا بنيسابور آثار كثيرة مذكورة وكانت كتب الخليفة اليه متواترة ثم قال ورد رجل من هراه فرفع قصة الي عبد الله بن طاهر فلما قدم بين يديه قال من خصمك قال الامير ايده الله قال ما الذي تدعي علي قال ضيعة بهراه اغتصبها والد الامير قال الك بينة قال انما تقام البينة بعد الحكومة الي القاضي فان راي الامير ان يحملني واياه علي حكم الاسلام قال فدعي عبد الله بن طاهر القاضي نصر بن زياد ثم قال للرجل ادعي قال فادعي الرجل مرة بعد اخري فلم يلتفت اليه نصر بن زياد ولم يسمع دعواه فعلم الامير انه قد امتنع عن استماع الدعوي حتي يجلس الخصم مع المدعي فقام عبد الله بن طاهر من مجلسه حتي جلس مع خصمه بين يديه فقال نصر للمدعي ادعي فقال ان ضيعة لي بهراه وذكرها بحقوقها وحدودها هي لي في يد الامير فقال له عبد الله بن طاهر قد غيرت الدعوي انما ادعيت اولا علي ابي فقال الرجل لم اشتهي ان افضح والد الامير في مجلس الحاكم ادعي ان والد الامير قد كان غصبني عليها وانها اليوم في يد الامير فسال القاضي الامير عن دعواه فانكره فالتفت الي الرجل فقال الك بينة قال لا قال فما الذي تريد قال يمين الامير بالله الذي لا اله الا هو قال فقام الامير الي مكانه وامر ان يكتب الي هراه برد الضيعة عليه. وكان يحيي الليل ويصوم الاثنين والخميس والجمعة ولا يرضي من العمال حتي

يؤدوا حقوق الناس اليهم فدخل عليه احمد بن حرب يوما فوعظه واشار في
مواعظه بان يستعفي عما هو فيه فقال نصر يا ابا عبد الله ما يحملني على ما
انا فيه الا نصر الملهوفين والقدرة على الانتصار للمظلومين ولعل الله عز وجل
قد عرف لي ذلك وقال نصر بن زياد كتب الي المامون كان المتوقع
منك ان تكاتب باخبار ناحيتك لنعتمد ما نذكره من ذلك فاجبته بان الامانة
التي قلدنيها امير المومنين قد شغلتني عن غيرها قال الحاكم توفي في صفر
سنة ست وثلثين وماتين

ومنهم محمد بن شجاع الثلجي البغدادي ابو عبد الله احد الفقهاء الاعلام يؤخر
في وقته بالعراق برز على نظرائه واحرز الفضل كله برايه وكان خلفا من
ابي حنيفة وصاحبيه وبدلا منهم لمن نظر اليه ضاهي اشعة الشموس نوره
الثلجي وصدع ضوءه حندس السحاب الدجوجي واعاد عصر الزمان كله
يوما ابيض والنهار نهرا به وصار الظلام يرحض والدهر لسانا بالنصيحة
يمحض والسحاب وطابا اذا تطاير نوءه الثلجي يمحض ؛ مولده في رمضان
سنة احدى وثمانين وماية وتفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي وتفقه عليه
ابو الحسن القمي وصنف التصانيف المعتمدة وحكيت اقواله في الكتب وكان فقيها
ورعا ثابتا على رايه وهو الذي فلق فقه ابي حنيفة واحتج له واظهر علله وقواه
بالحديث وحلاه في الصدور وكان يرى راي اهل العدل والتوحيد وقال
محمد بن شجاع قال لي اسحق بن ابرهيم المصعبي دعاني امير المومنين فقال اطلب لي رجلا
قد كتب الحديث وتفقه بوسع الراي ولكن مديد القامة جميل الخلقة خراساني الاصل
ممن نشا في دولتنا حتى اقلده القضاء فقلت لا اعرف رجلا هذه صفته غير محمد
ابن شجاع وانا افاوضه في ذلك قال فافعل ثم صر به الي فذونك يا ابا عبد الله فقلت

ايها الامير لست الى ذلك محتاجا وانما يصلح القضاء لاحد ثلثة لمن يكتسب
مالا او جاها او ذكرا فاما انا فمالي وافر وانا غني وان الامير ليوجه الي بالمال لافرقه
ولو احتجت الى شيء منه لاخذته واما الذكر فقد سبق لي عند من يقصدنا من اهل
العلم والفقه لما فيه كفاية وقيل ان المتوكل هم بتوليته القضاء فقيل له انه
من اصحاب بشر المريسي فامتنع عن توليته قال الصيمري محمد بن شجاع
هو المقدم في الفقه والحديث وقراءة القران مع ورع وعبادة وقال محمد بن شجاع
ادفنوني في هذا البيت فانه لم يبق فيه طابق الا ختمت عليه القران ؛ وتوفي فجاة
سادس ذي الحجة سنة ست وستين وماتين وهو في صلاة العصر ساجدا وقيل
سنة سبع

ومنهم بشر بن الوليد بن خالد ابو الوليد الكندي تبلج في وجه يقدم
الايام بشره وتارج في عبق المشام نشره وتقدم في جماهير الاوايل تقدم
المشاهير في بكر وايل علم وعمل واستقام ولم يمل وكان لا يبالي بكلمة الحق اذا
قالها ولا يعد مواجهته به عثرة ليقالها بل كان يقضي وما يعتذر ويحكم غير
ام عذر ويتكلم ولا يبالي ولو ان السيوف جواب ولا يندم ولو ان السكوت
صواب ؛ احد اصحاب ابي يوسف اخذ الفقه عنه خاصه وروى عنه كتبه
واماليه قال بشر كنا نكون عند سفين بن عيينه فاذا وردت عليه مسئلة
مشكلة يقول ههنا احد من اصحاب ابي حنيفة فيقال بشر فيقول اجب فيها فاجيب
فيقول التسليم للفقهاء سلامة في الدين وكان بشر جميل المذهب حسن الطريقة
صالحا دينا عابدا عالما واسع الفقه خشنا في باب الحكم وحمل الناس عنه من الفقه
والمسايل والنوادر بما لا يمكن جمعها كثرة ؛ وكان من المتقدمين عند ابي يوسف
وكان متحاملا على محمد بن الحسن متجرما عنه وكان الحسن ابن ابي مالك ينهاه عن

ذلك وسمع الحديث من مالك بن انس وطايفة من الاعيان قال ابو بكر
الخطيب ولي لبشر القضاء بعسكر المهدي من جانب بغداذ الشرقي في سنة
ثمان ومايتين فاقام على ولايته سنين ثم عزل وولي قضاء مدينة المنصور سنة عشر
فلم يزل يتولاه الى ان صرف سنة ثلث عشرة ومايتين وقال عبد الباقي
ابن قانع عن بعض شيوخه ان يحيي بن اكثم كان قد غلب على المامون حتى كان عنده
اكبر من ولده فشكي بشر بن الوليد الى المامون وقال انه لا ينفذ قضاي فاقعده المامون
معه على سريره ودعا بشر بن الوليد فقال له ما ليحيى يشكوك ويقول انك لا تنفذ
احكامه فقال يا امير المومنين سالت عنه بخراسان فلم تحمد في بلده ولا في جواره فصاح به
المامون وقال اخرج فخرج بشر فقال يحيي يا امير المومنين قد سمعت فاصرفه فقال
ويحك هذا لم يراقبني فيك كيف اصرفه فلم يفعل وقال احمد بن عطية كان
بشر يصلي كل يوم مايتي ركعة وكان يصليها بعدما فلج وشاخ ∴ وولي لبشر القضاء
ببغداذ في الجانبين جميعا فسعي به رجل وقال انه لا يقول القران مخلوق فامر به
ابو اسحق المعتصم ان يجلس في منزله فجلس ووكل ببابه ونهي ان يفتي احدا بشي
فلما ولي المتوكل الخلافة امر باطلاقه وان يفتي الناس ويحدثهم فبقي حتى كبرت
سنه ∴ ومات ببغداذ سنة ثمان وثلثين ومايتين

ومنهم محمد بن زرزور ابو عبد الله الفقيه الفارسي اي رجل غلب
عليه بلهه وجلب له السوء ولهه على فضل خزنه في حافظته وحصله بمحافظته
مع الاطلاع على الوقايع واضطلاع بحسن حفظ الودايع الى اقدام يساور به الاسد
ويساير الخصم الالد لو عارض السيل المنحدر لرده او السيف المصلت لفل حده
وكان لو انته اطراف الرماح لتلقاها او نصال السهام لما توقاها حتى رمي بالجنون
وقلب له ظهر المجنون وفعل منه بالعاقل ما يفعل بالمجنون ∴ كان بارعا في الحفظ
والعلم يضرب بحفظه المثل قال يوما اني احفظ القران من اوله الى آخره
واحفظ تفسير ابن سلام كما احفظ القران واحفظ فقه ابي حنيفة كما احفظ التفسير
واحفظ الموطا وفقه مالك كما احفظ فقه ابي حنيفة واحفظ بعد ذلك كثيرا من
دواوين العرب واشعارها ∙ وكان ورعا زاهدا وكان يحفظ مناظرات الفقهاء فيكرهون
حضوره لكثرة محفوظه فحضر يوما جنازة وحضرها ابو المنهال وكان عظيم الجاه رفيع
الذكر فساله عن مسلة فاخطا ثم ثانيه ثم ثالثه فقام ابن زرزور قايما وصف
قدميه ثم كبر وصلى عليه كما يصلي على الموتي وقال انت اولي بان يصلي عليك من هذا
الميت وقيل انه فعل مثل ذلك بالقاضي ابن عمران فلما تغير عقله وجد اليه سبيلا
فحجر عليه ثم بعث اليه يوما يخيره في تزويج امراة او شراء جارية وفي اشياء من اسبابه
فقال للرسول يكون جوابي مشافهة فاتاه فقال له ان رسولك اتاني يخيرني في
كذا وكذا قال نعم فالذي تشاء قال افاتكلم ولي الامان قال نعم قال ان كنت خيرتني
وانا عندك سفيه فقد اخطات اذ خيرتني وان كنت عندك رشيدا فقد اخطات في
حجرك علي ثم قال الله اكبر اربع مرات كما يصلي على الجنازة وانصرف فاطرق القاضي
سليمن ولم يتكلم ∙ وقيل لابن زرزور وهو في النزع يا ابا عبد الله كيف حالك فبكي
وقال حدثني البهلول بن عبيدة ان الله سبحانه وتعالى عمر نوحا مايتي سنه وخمسين
سنة قبل ارساله ثم ارسله فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما فلما احتضر قال
له ملك الموت يا اطول الانبياء عمرا واكثرهم عملا كيف وجدت الدنيا قال كبيت
له بابان دخلت من باب وخرجت من الآخر ∴ وتوفي محمد بن زرزور يوم الاثنين
لتسع مضين من ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومايتين

ومنهم عبد الحميد بن عبد العزيز ابو حازم القاضي وكان انقد
في حكمه من الصيارف واشهر في علمه من المعارف براي يفرق بين الماء واللبن

ويتصرف بين الحق والظن لو لبس عليه الليل لكشطه او دلس عليه
الغمام لاسقطه مع وقوف مع الحق لا يتعداه وتفطن لو ضل معه النهار
لهداه انفذ من الرمح اذا صمم وامضى من السيف اذا تذمم لو رفع اليه الدهر
لما هاب ان يقضي عليه او النجم لسدد سهمه اليه وكان الخليفة وهو مثل
المعتضد وذلك البائن للمنتقد طوعا لقضايه الفصل ومضايه الذي وقع دونه
طاير النصل فكيف من دون ذلك الطود المشمخر والرواق المسبطر وكان
قد اعطي مزيد حظ من حسن النظر في الحساب والفرايض التي لا تخطي الانساب
وجمع من الشروط ما اقرت له الكتاب وبقي زينة لكل كتاب • اخذ الفقه
عن هلال بن يحيى الراي وغيره • وتفقه عليه ابو طاهر الدباس وابو جعفر الطحاوي
لما رحل الى دمشق وروى الحديث عن محمد بن بشار وشعيب بن ايوب وغيره وولي
قضاء الشام وقضاء الكوفة واستقضاه المعتضد على قضاء الشرقيه • وكان رجلا
دينا ورعا عالما بمذهب ابي حنيفة واصحابه عالما بالفرايض والحساب والذرع والقسمة
حسن العلم بالجبر والمقابلة وحساب الدور وغامض الوصايا والمناسخات قدوة
في العلم بصناعة الحكم ومباشرة الخصوم واحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات
والاقرارات واما عقله فلا نعلم ان احدا راه وقال انه راي اعقل منه
قال وكيع القاضي كنت اتقلد لابي حازم القاضي اوقافا في ايام
المعتضد وكان منها شي في يد المعتضد فلما بلغت السنة آخرها حصلت ما لها الا
ما اخذه المعتضد فجيت الى ابي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستاذنته في
قسمته في سبله وعلى اهل الوقف فقال هل اخذت ما على امير المومنين فقلت
له ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع او تاخذ ما عليه ثم
قال امض اليه وطالبه فدخلت على الخليفة وقلت ان القاضي ابا حازم امتنع من تفريق

مال الوقف حتى يوخذ ما على امير المومنين قال فسكت ساعة ثم قال اصاب عبد الحميد
ثم امر باحضار المال ودفع الي اربع مايه دينار فقبضتها وانصرفت الى ابي حازم
فقال لي اجمع ما اجتمع للوقف عندك وفرقه في غد في سبله قال ففعلت ذلك
فكثر شكر الناس من ابي حازم باقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد في
انصافه وقال ابو طاهر محمد الهذلي كان ابو حازم جالسا للقضاء فارتفع
اليه خصمان فاجترا احدهما بحضرته الى ما اوجب عليه التاديب فامر بتاديبه فادب
فمات في الحال فكتب الى المعتضد اعلم امير المومنين اطال الله بقاه ان خصمين
حضراني فاجترا احدهما فامرت بتاديبه فمات واذا كان المراد بتاديبه مصلحة
المسلمين فمات في الادب فالدية واجبة في بيت مال المسلمين فامير المومنين يامر
بحمل الدية لاحملها الى ورثته قال فعاد الجواب اليه بانفاذ الامر وحمل اليه عشرة
آلاف درهم فاحضر القاضي ورثة المتوفى ودفعها اليهم وقال مكرم بن
بكر كنت في مجلس القاضي ابي حازم فارتفع اليه شيخ وصبي فادعى الشيخ على الصبي
بالف دينار فاقر الصبي فطلب الشيخ حبسه فقال للغلام قد سمعت فهل لك ان
تنقده البعض وتسال له انظارك فقال لا فطلب الشيخ حبسه قال فتفرس القاضي
ابو حازم فيهما ساعة ثم قال تلازما الى ان انظر بينكما في مجلس آخر قال فقلت لم اخر
القاضي حبسه فقال ويحك اني اعرف في وجه الخصوم وجه المحق من المبطل وقد
صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطي وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام بالاقرار هي عن
بلية وامر يبعد من الحق وليس في تلازمهما بطلان حق ولعل ينكشف من امرهما
ما اكون على وثيقة مما احكم به بينهما اما رايت قلة مناظرتهما واختلافهما وسكون
ضباعهما مع عظم المال وما جرت العادة بالاقرار عجلا بمثل هذا المال قال فبينا نحن
كذلك اذ دخل على القاضي رجل موسر فقال قد بليت بابن لي يتلف كلما يظفر به

من مالي وان منعته المال يحتال بحيلة اضطر الي التزام غرم له وقد بلغني
انه تقدم الي القاضي واقر بالف دينار فلما سمعت بادرت الي القاضي لاشرح
له الامر فيداويه بما يسكن فلما سمع القاضي كلامه تبسم وقال لي كيف رايت
فقلت له لهذا ولمثله فضل الله القاضي ثم امر القاضي باحضارهما فارهب الشيخ
ووعظ الغلام فاقر الشيخ بان الامر كذلك وانه لا شي له علي الصبي فاخذ الرجل
بيد ابنه وانصرفوا ومات ابو حازم في جمدي الاولي سنة اثنتين وتسعين ومايتين

ومنهم احمد بن الحسين ابو سعيد البردعي احد الفقهاء الكبار
واصحاب التحقيق والاكثار وكان اي سيف يسل وعلم عليه لا يبتذل قطع
بجداله كل حجه وقرع هام الطوايف المحتجه سرت منه دار السلام بمسلم الا انه
ودع ومسلم اليه في البحث لا يدفع ثم اقام بمكة المعظمه اذ شارف اجله وسكن
بها علي ظاهر قبره ثم نزله قتل شهيدا في فتنة القرامطه وطار راسه في تلك
الجثث الساقطه فلزم ذلك المثوي الي ان قدم علي جنة الماوي تفقه علي ابي علي
الدقاق وموسي بن نصير وتفقه عليه ابو الحسن الكرخي وابو طاهر الدباس وغيرهما
وكان اماما فقيها مناظرا بارعا من فحول المناظرين ورد بغداد حاجا فدخل الحاج
فوقف علي داود بن علي الظاهري وكان يكلم رجلا من اصحاب ابي حنيفة وقد ضعف
في يده الحنفي فجلس فساله عن بيع امهات الاولاد فقال يجوز فقال له لم قلت قال
لانا اجمعنا علي جواز بيعهن قبل العلوق فلا يزول عن هذا الاجماع الا باجماع مثله
فقال له اجمعنا بعد العلوق قبل الوضع علي انه لا يجوز بيعها فيجب ان يتمسك
بهذا الاجماع ولا يزول عنه الا باجماع مثله فانقطع داود وقال ننظر في هذا
وقام ابو سعيد وعزم علي القعود ببغداد والتدريس لما راي من غلبة اصحاب
الظاهر فلما كان بعد مدية راي في المنام كان قايلا يقول فاما الزبد فيذهب جفاء

واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فانتبه بدق الباب فاذا قايل يقول له
مات داود الظاهري فان اردت ان تصلي عليه فاحضر واقام ابو سعيد ببغداد يدرس
ثم خرج الي الحج فاستشهد في عشر ذي الحجة في وقعة القرامطة لعنهم الله بمكة
سنة سبع عشرة وثلث مايه

ومنهم احمد بن اسحق بن البهلول بن حسان ابو جعفر التنوخي الانباري
القاضي الحنفي النحوي حرص علي العلم حتي وجده ورحل اليه العيس حتي وردته واعمل
اليه اليعملات علي وجاها وخبط اليه الظلماء يشق قمر دجاها لا يهوله برد ولا
حر ولا بحر ولا بر يركب بوازله وسفنه وينزل بواديه ومدنه لفايدة يقتبسها
وزايدة عما لديه يلتمسها بحرص يتوقد شرارا وينفقد برق الفطنة لا يتواري
مع حظ من ادب ما يهنه في مذهبه ولا يخل بانفاق ذهبه كل هذا مع قيام بالحق
وان شق وعمل بما يجب وان حجب وتصميم علي الحق ولو غضب من غضب مولده
بالانبار في المحرم سنة احدي وثلثين ومايتين كان ثبتا في الحديث ثقة مامونا جيد
الضبط لما حدث فيه متقنا لعلوم شتي فقيها علي مذهب ابي حنيفة واصحابه وربما
خالفهم في مسئلات يسيرة تام العلم باللغة حسن القيام بالنحو علي مذهب
الكوفيين والتتبع لحفظ الشعر القديم والحديث والاخبار الطوال والسير
والتفسير وكان شاعرا كثير الشعر مجيدا خطيبا حسن الخطابة والتفوه بالكلام
لسنا صالح الحظ من الترسل في المكاتبة والبلاغة في المخاطبة وربما متخشنا في الحكم
تقلد القضاء بالانبار وهيت وطريق الفرات من قبل الموفق الناصر سنة ست
وسبعين ومايتين ثم قلده الناصر دفعة اخري ثم قلده المعتضد ثم تقلد بعض كور
الجبل للمكتفي سنة اثنين وتسعين ولم يخرج اليها ثم قلده المقتدر سنة ست
وتسعين بعد فتنة المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام وطوجي

قطربل ومسكن الانبار وهيت وطريق الفرات ثم اضاف له الى ذلك بعد سنتين
القضاء بكور الاهواز مجموعة لما مات قاضيها فما زال على الاعمال الى ان صرف
عنها سنة سبع عشرة وثلث مايه وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن
القاضي ابي طالب محمد ابن القاضي ابي جعفر ابن البهلول قال كنت مع ابي في جنازة
فجاء ابو جعفر محمد بن جرير الطبري فجلس الى جانبه فاخذ ابي يعظ صاحب المصيبة
ويسليه وينشده اشعارا ويروي له اخبارا فداخله محمد بن جرير الطبري في ذلك ثم
اتسع الامر بينهما في المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة من العلم والادب فلما افترقنا
قال لي ابي يا بني هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة من هو فقلت هذا
ابو جعفر الطبري فقال ما احسنت عشرتي يا بني فقلت كيف قال الا قلت لي في
الحال فكنت اذاكره غير تلك المذاكرة هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع في
صنوف من العلم وما ذاكرته بحسبها قال ومضت على هذا مدة فحضرنا في جنازة
اخرى وجلسنا فاذا بالطبري قد اقبل فقلت له ايها القاضي هذا الطبري قد جاء
مقبلا قال فاومى اليه بالجلوس عنده فجلس الى جنبه واخذ ابي يجاريه فلما جاء الى
قصيدة ذكر الطبري منها ابياتا قال لي ابي هاتها يا ابا جعفر الى اخرها فيتلعثم
الطبري فينشدها الى اخرها وكلما ذكر شيئا من السير قال لي ابي كان هذا في قصة
بني فلان ويوم بني فلان مر يا ابا جعفر فربما مر وربما تلعثم فيمر ابي في جميعه قال فما
سكت ابي يومه ذلك الى ان بان للحاضرين تقصير الطبري ثم قمنا فقال ابي
الان شفيت صدري وقال ابن الجوزي في المنتظم طلبت ام المقتدر
من القاضي ابي جعفر كتاب وقف ضيعة كانت ابتاعتها وكان الكتاب في ديوان
القضاء واردت اخذه لتحرقه وتبطل الوقف ولم تعلم احد بذلك فقيل لها قد احضر
القاضي الكتاب قالت نريد يكون عندنا فاحس القاضي الامر فقال لا طريق

الى هذا ابدا انا خازن المسلمين على ديوان الحكم فان مكنتموني من خزنه والا
فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة واحدة الكم واعملوا فيه ما شيتم واما ان تفعل
شي من هذا على يدي فوالله لا كان ذلك ابدا ولو عرضت على السيف ونهض القاضي
والكتاب معه فشكت ام الخليفة ذلك الى ولدها المقتدر فكلمه مشافهة في ذلك
فكشف له الصورة وقال مثل ذلك القول والاستعفاء فقال له المقتدر مثلك من
قلد القضاء اقم على ما انت عليه بارك الله فيك ولا تخف ينثلم محلك عندنا ثم قال المقتدر
لوالدته الاحكام ما لا طريق الى اللعب فيها والقاضي احمد مامون علينا محب لدولتنا
ولو كان هذا يجوز لما منعك اياه فقالت كان هذا لا يجوز فقيل لها الا هذه حيلة من ارباب
الوقف على بيعه وان الشرا لا يصح وتحريق كتاب الوقف لا يحل فارتجعت المال
وفسخت الشرا وعادت الى شكر القاضي وانقلب ذلك الامر جميلا عندهم فقال
القاضي من قدم امر الله على المخلوقين كفاه الله شرهم ومات في سنة ثمان عشرة
وثلث مايه

ومنهم محمد بن محمد ابو منصور الماتريدي امام كل العالم بعلمه يقتدون
وبنهجه يهتدون لو هبت ريحه على ابي حنيفة لتطيب به من زفر وايقن ان فوق
اللولوي من هو ادرى بالدرر ولما اسي لابي يوسف اذا انصت عنه من الحزن
وذهب سواد البصر ولا امهل اصحابه لغايب ولو كان محمد بن الحسن المنتظر ولا بالى
بالبلخي ان غاب او حضر ولا بابن ابي ليلي وان عكفت منه الطير على لحم كريم ولا
بالطاي وان رفعت ناره في دجى الليل البهيم ولكان سابع الستة الذين لا تثبت
الا بالجماعيم المسايل وثالث الصاحبين ولا رابع لهم في نوع الفضايل كان احد ايمة
الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا وديانة وخيرا مقبولا عند الموافق والمخالف مجمعا على
انه عديم النظير وسيف السنة وقامع اهل الزيغ والبدعة صنف الكتب ونوع على

السنن وذب عن حريمها وقمع مخالفيها ووصفه سيف الحق فقال ابو منصور
الماتريدي الذي غاص في بحر العلوم فاستخرج دررها واتي بحجج الدين فزين
بفصاحته وغزارة علومه غررها وقال غيره كانت المعتزلة يلقبون اهل السنة
به وينسبون سالكي طريقة ابي حنيفة في العقايد والاصول اليه فيقولون هولاء
الماتريدية لشدة ما يغيظهم شانه وقوة انتصاره لمذهب اهل السنة والجماعة بالبراهين
الساطعة والحجج القاطعة وله المصنفات الجليلة في الاصول والرد على اهل الزيغ ومات
بعد الاشعري بقليل وكانت وفاة الاشعري سنة اربع وعشرين وثلث مايه

ومنهم محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله السلمي ابو الفضل الوزير المروزي
قاضي بخارا المعروف بالحاكم الشهيد حصل من العلم على جانب موفور وحظ
به التعب مغفور وادرك رجالا من اهل الحديث الشريف كانت تشد اليهم
الرحال وتسمو اليهم الركايب حالا على حال فسمع منهم ما هو السور والمستمع
والسور الذي لا يباح لمبتدع فلقي افرادا ولقي منهم مثنى وفرادى وكان لو
امسك النجم بيده لم يقنع ولو بلغ الغاية لا يرضى بما يصنع فجد بقريحة تلتهب وفكرة
صحيحة تنتهب وعاش سعيدا ومات شهيدا لا يخاف وعيدا قال الحافظ
ابو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور ما رايت في جملة من كتبت عنهم من اصحاب
ابي حنيفة احفظ للحديث واهدى الى رسومه وافهم لرمزه ولما قلد قضاء بخارا
كان يختلف الى الامير الحميد فيدرسه الفقه فلما صارت الولاية اليه قلده ازمة
الامور كلها وكان يمتنع عن اسم الوزارة فلم يزل به الى ان تقلدها ولما ورد السلطان
نيسابور سنة ثلث وثلثين وثلث مايه ورد بوروده الحاكم وعقد له مجلس النظر
ثم التمسوا منه مجلسا للاملاء فاجابهم الى ذلك ولم يبق بنيسابور احد من مشايخ
الفريقين حتى حضر ذلك المجلس قال الحاكم وسمعت ابا العباس المعراني يقول

ما رايت في صدور الاسلام احدا اميل الى كتبة الحديث من الحاكم ابي الفضل كان
يقدمهم على كافة اهل العلم ويواسيهم ويتحرى مسرتهم ولا يقتصر في برهم وكان
يصوم الاثنين والخميس ولا يدع صلاة الليل في السفر والحضر ولا يدع التصنيف في
السفر والحضر كان يقعدوا والكتب بين يديه وهو وزير السلطان فياذن لمن لا يجد بدا
من الاذن له ثم يشتغل بالتصنيف قال الحاكم سمعت ابا العباس المصري
وكان من الملازمين لبابه يقول دعا الحاكم ابو الفضل بالبوابين وقال قد ذكرت لكم
غير مرة ان لا تحجبوا عني احدا من اهل العلم واحجبوا الفرسان واصحاب الاموال وانتم
لاطماعكم الكاذبة تاذنون للاغنياء وتحجبون الفقراء لرثاثتهم فلئن عدتم نكلت بكم
وكان الحاكم لم يزل يدعو في صلاته واعقابها دعوات ثم يقول اللهم ارزقني الشهادة
الى ان سمع عشية الليلة التي قتل من غدها جلبة فقال ما هذا فقالوا غارة العسكر
قد اجتمعوا يلزمون الحاكم الذنب في تاخير الارزاق عنهم فقال اللهم غفرا ثم دعا بالحلاق
فحلق راسه واستحن له الماء ونظف نفسه ولبس الكفن ولم يزل طول ليلته يصلي
فكبسوه فقتلوه وهو ساجد وقد صلى الصبح والكتب بين يديه في شهر ربيع الاخرة
سنة اربع وثلثين وثلثمايه

ومنهم عبيد الله بن الحسين دلال بن دلهم ابو الحسن الكرخي المصنف
على مذهب ابي حنيفة والمصنف في النكت اللطيفة اقتنى جوهر العلم النفيس
وجلس في صدر التدريس فاصبحت سوابح السيول تجري به وصفايح السيوف
دون تجريبه وما زال على هذا حتى قعدت به الزمانة وقيدت محنته مكانه فريق
كاس المرض آخر عمره وكان هذا آخر امره مولده سنة ستين ومايتين تفقه
على ابي سعيد البردعي ولقي ابا خازم القاضي وحضر مجلسه وسكن بغداد ودرس
بها فقه ابي حنيفة حتى اشتهر ذكره في الآفاق وبرع له غلمان حذاق وخرج

منهم علماء ومدرسون وقضاة وكان مع غزارة علمه وكثرة رواياته عظيم
العبادة كثير الصوم والصلاة صبورا على الفقر والحاجة منقبضا عن الدولة
مقبلا على نشر العلم وبثه متقشفا وله في المذهب قدم راسخ قال
الصيمري صار التدريس ببغداد بعد ابي خازم وابي سعيد البردعي الى ابي الحسن
الكرخي واليه انتهت رياسة اصحاب ابي حنيفة وانتشر اصحابه في البلاد
قال الصيمري لما اصاب ابا الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره حضرته
وحضر اصحابه ابو بكر الدامغاني وابو علي الشاشي وابو عبد الله البصري
فقالوا هذا مرض يحتاج الى نفقة وعلاج وهو مقل ولا نحب ان نبذله للناس
فيجب ان نكتب الى سيف الدولة ابن حمدان ونطلب منه ما ينفقه عليه
ففعلوا ذلك فلما احس الشيخ بما هم فيه سالهم عن ذلك فاخبروه فبكى وقال
اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتني قال فمات قبل ان يحمل سيف الدولة
شيئا ثم ورد كتاب سيف الدولة ومعه عشرة الاف درهم ووعد ان
يمده بامثالها فتصدق بها وقال ابو عبد الله الحسين بن علي بن
سلمة انشدت ابا الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي

ما ان ذكرتك في قوم احدثهم الا وجدت فتورا بين احشا ى

فانشدني ابو الحسن لنفسه يريد تضمين هذا البيت

كم لوعة في الحشا ابقت به سقما خوفا لهجرك او خوفا من النا ى
لا تهجرني فاني لست ذا جلد ولا اصطبارا على هجر الاخلا ء
الله يعلم ما حملت من سقم وما تضمنته من شدة الـدا ء
لو ان اعضاء صب خاطبت بشرا لخاطبتك بوجدي كل اعضا ى
فارعى حقوق فتى لا يبتغي شططا الا السلام بايحاء وايما ء

هذا على وزن بيت كنت منشده عارا اذا كان من لحن واقوا ء
ما ان ذكرتك في قوم احدثهم الا وجدت فتورا بين احشا ء
ولا هممت بشرب الماء من عطش الا وجدت خيالا منك في الما ء

وقال ابو القسم علي بن المحسن التنوخي الحنفي عن ابيه عن
جده قال خرج الينا ابو الحسن الكرخي يوما فقال تعرفون ببغداد رجلا يقال
له ابن اصدق قال فقلت اعرفه فقلت اي شيء يعمل فقلت ينوح على الحسين
ابن علي قال فبكى ابو الحسن الكرخي وقال عندي عجوز هي من صوالح النساء تكثر
من الصوم والتهجد فانتبهت في جوف الليل فصاحت ابو الحسن قلت ما لك
قالت الحقني فجئتها فوجدتها ترعد فقلت ما اصابك قالت رايت في النوم
كاني في درب من دروب الكرخ فيه حجرة مبيضة مفتوحة الباب وعليه نساء
وقوف فقلت لهن ما الخبر فاشرن الى داخل الدار واذا امراة شابة حسناء
بارعة الجمال عليها ثياب بياض مروية وفي حجرها راس يتشخب دما ففزعت
فقالت لا عليك انا فاطمة بنت رسول الله وهذا راس الحسين فقولي لابن اصدق
حتى ينوح • لم امرضه فاسلو ولا كان مريضا •
وانتبهت مذعورة ثم قال ابو القسم ابن المحسن التنوخي قال ابو الحسن
الكرخي لجدي قد حملت هذه الامانة في اداء هذه الرسالة فقال جدي سمعا
وطاعة لامر سيدة النساء رضوان الله عليها فخرجت الى ابن اصدق وقلت
له ان فاطمة تامرك ان تنوح بالقصيدة التي فيها لم امرضه فاسلو فانزعج
من ذلك وقصصت عليه وعلى من كان عنده فاكثروا البكاء وناح بذلك
طول ليلته •• وتوفي ابو الحسن الكرخي لعشر خلون من شعبان سنة اربعين
وثلث مايه وقيل للنصف من شعبان

ومنهم احمد بن عمرو الشيباني الامام ابو بكر الخصّاف فقيه لبيب
صالح واريب للفضايل مايح ومهيب لا تستثبته العيون اللواح وليس
ابحث لدلوساح اختصه المهدي بالتقريب واحله منه المكان القريب
وكان جليسه الذي لا يفارق وانيسه الذي لا ياسي بعده لمفارق اذ كان
كلاهما من المهتدين وكل منهما مذكر للاخر بالدين ثم لسببه اصيب
واخذ ماله ولم يكن له ماله نصيب ❊ كان فاضلا فارضا حاسبا عارفا بمذاهب
اصحابه مقدما عند المهتدي بالله وصنف له كتابه في الخراج فلما قتل المهدي
نهب الخصاف وذهبت بعض كتبه من جملتها كتاب عمله في المناسك لم
يكن خرج الى الناس وكان زاهدا يا كل من كسب يمينه وقال بعض
مشايخ بلخ دخلت بغداذ واذا على الجسر رجل ينادي ثلثة ايام يقول الا ان
القاضي احمد بن عمرو استفتي في مسئلة كذا فاجاب بكذا وكذا وهو خطاء
والجواب كذا وكذا رحم الله تعالى من بلغها صاحبها ❊ توفي ببغداذ سنة
احدى وستين وماتين وعد النديم مصنفاته اربعة عشر مصنفا منها الحيل
مجلدين ومنها كتاب العصر واحكامه

ومنهم احمد بن محمد بن عبد الله ابو الحسين النيسابوري الحنفي قاضي
الحرمين وشيخ اصحاب ابي حنيفة بلا مدافعة ومحيي آثاره النافعة جدد
رسومه الداثره وشيد علومه المتناثره قضى بالحرمين الشريف قضاء كانت
تقص الركبان خبره وتنشر حبره دام على هذا حينا من الدهر كان شيئا
مذكورا وسعيا مشكورا ثم آب به حب الوطن الى نيسابور وتفوق
والرجال تبور ❊ تفقه على ابي الحسن الكرخي وابي طاهر الدباس وبرع في
المذهب وتفقه به فقهاء نيسابور من اصحاب ابي حنيفة قال ابو بكر

بغداذ

الابهري المالكي شيخ الفقهاء بلا مدافعه ما قدم علينا من الخراسانيين افقه من
ابي الحسين النيسابوري وقال الحاكم سمعت ابا الحسين يقول
حضرت مجلس النظر لعلي بن عيسى الوزير فقامت امراة تتظلم من صاحب
التركات فقال تعودين الي غدا وكان يوم مجلسه للنظر فلما اجتمع فقهاء الفريقين
قال لنا تكلموا اليوم في مسئلة توريث ذوي الارحام قال فتكلمت فيها مع بعض
فقهاء الشافعية فقال الوزير صنف هذه المسئلة وبكر بها غدا الي ففعلت
وبكرت بها له فاخذ مني الجزء وانصرفت فلما كان ضحوة النهار طلبني الوزير
الى حضرته فقال لي يا ابا الحسين قد عرضت تلك المسئلة بحضرة امير المومنين
وتاملها فقال لولا ان لابي الحسين عندنا حرمات لقلدته احد الجانبين ولكن
ليس في اعمالنا اجل عندي من الحرمين وقد قلدته الحرمين فقلت للوزير بعد ان
رضي امير المومنين المسئلة وتاملها وجب على الوزير ان ينجز امره العالي بان
يرد السهم الى ذوي الارحام فاجاب اليه وفعله وانصرفت من حضرة الوزير
ووصل العهد الي ❊ وكانت مدة اقامته بالحرمين قاضيا بضع عشرة سنة ثم
انصرف الى نيسابور سنة ست وثلثين وثلثمايه ثم ولي القضاء بها سنة
خمس واربعين وتوفي سنة احدى وخمسين وثلثمايه

ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر ابو جعفر الهندواني البلخي
احد الفقهاء الكبار المشاهير فقيه لا يعيبه حجه ولا تعوبه محجه احيا مذهب
امامه حتى اطلق عليه اسمه واطلع على ما اطلع عليه فهمه ضرب اباد الابل
واعملها واخذ اوقار العلم وحملها واشرق به عصره فدقت ذهبيته وظهرت
بالطيب تحت ذيل النسيم خبيته ❊ تفقه على الاستاذ ابي بكر الاعمش
وكان اماما فاضلا عارفا جليلا تفقه على مذهب ابي حنيفة حتى كان يقال له من

للطيب صح

حاله في الفقه ابو حنيفة الصغير وافتى بالمشكلات وشرح المعضلات
ورحل من بلخ الى بخارا فوجد بها الميداني ومحمد بن الفضل البخاري فاجتمعوا في بيت
محمد بن الفضل في يوم جمعة وكان يوما مطيرا فقال ابو جعفر انا مسافر ولا جمعة
على مسافر وقال الميداني انا اعمى ولا جمعة على اعمى وقال محمد بن الفضل قد ورد
اذا ابتلت النعال فصلوا في الرحال وهذا شامل للكل وكان غرضهم عدم التفرق
فلما عاد ابو جعفر الهندواني الى بلخ سئل عن اهل بخارا فقال رايت فقيها ونصف
فقيه فقيل له من الفقيه فقال الميداني ونصف الفقيه محمد بن الفضل فقيل
له ولم قال لان محمد بن الفضل لا يعرف الحسابيات واما الميداني فانه اتقن هذا
الفن وقيل ان محمد بن الفضل بالحسابيات وصار رقدوة ومات في ذي الحجة سنة
اثنتين وستين وثلث مايه

ومنهم احمد بن علي ابو بكر الرازي الجصاص صاحب التصانيف
خطب للقضاء فما نظر اليه بطرف مقلته ولا التفت اليه استحقارا له لقلته
لحق عرف يقينه والف منه عوايد يقينه وانف لجواده السابق ان يقاد
بارسانه ولطوده الشاهق ان يلبس عليه جناح طيلسانه فما اعتز بالقضاء
وتحسينه ولا سلم اليه بحره ليذبحه بسكينه ∴ سكن بغداد وكان
وردها في شبيبته وعنه اخذ فقهها وها واليه انتهت رياسة الاصحاب بها تفقه
على الكرخي وصنف المصنفات التي لم ادرك بها من سبقه واعيا من رام ان
يلحقه وكلامه فيها يدل على تفقهه وسيلان ذهنه وكان حافظا للفقه مستنبطا
للاحكام من الكتاب والسنة مشهورا بالزهد ورحل اليه المتفقهة وخوطب ان
يلي قضاء القضاة فامتنع واعيد عليه الخطاب فلم يفعل قال ابو بكر الابهري
خاطبني المطيع على قضاء القضاة وكان السفير في ذلك ابو الحسن بن عمرو فابيت

عليه واشرت بابي بكر الرازي فاحضر للخطاب وخوطبت في المعاونة عليه
فامتنع فخلوت به فقال لي تشير علي بذلك فقلت لا ارى لك ذلك فقيل لي تشير
علينا بانسان ثم تشير عليه ان لا يفعل قلت نعم امامي في ذلك مالك بن انس اشار
على اهل المدينة ان يقدموا نافعا القاري في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار
على نافع ان لا يفعل فقيل له في ذلك فقال اشرت عليكم بنافع لا اعرف مثله واشرت
عليه ان لا يفعل لانه يحصل له اعداء وحساد وكذلك انا اشرت عليكم لاني لا اعرف
مثله واشرت عليه ان لا يفعل لانه اسلم لدينه توفي يوم الاحد سابع ذي الحجة سنة
سبعين وثلثمايه عن خمس وستين سنة وصلى عليه صاحبه ابو بكر محمد بن موسى
الخوارزمي

ومنهم الحسين بن علي بن محمد بن جعفر ابو عبد الله القاضي الحنفي
عرف بالصيمري صدع جنح زمانه حتى تكشف صدفه عن منضد لولوه وانجلا
سدفه عن مبيض جوجوه سكن بغداد من صباه معدودا في جلتها مردودا
فايض بحره على دجلتها مجاورا فيها الامام مجاريا للبحر وجارا للغمام ثم اتى الشام
فتفقه انهارا وفرقه نهارا وملاه علما مما تحمل اليه المهاري ∴ كان امام
اصحاب ابي حنيفة في وقته ومن اعيان المصنفين سمع الدارقطني وجماعه
وتفقه على القاضي ابي عبد الله الدامغاني وروى عنه هو وابو بكر وابو الوليد
الباجي وشرح مختصر الطحاوي في عدة مجلدات وله مصنف في مناقب ابي حنيفة
قال الخطيب في تاريخ بغداد احد الفقهاء المذكورين من العراقيين
حسن العبارة جيد النظر سكن وكتبت عنه وكان صدوقا وافر العقل
جميل المعاشرة عارفا لحقوق اهل العلم وولي قضاء المداين في اول امره ثم ولي
القضاء بآخره بربع الكرخ ولم يزل يتقلده الى حين وفاته وقال ابو القسم

ابن العديم في تاريخ حلب اجتاز بحلب او ببعض عملها حاجًا على طريق الشام
وهو من كبار الحنفيين واعيانهم المصنفين وكان قاضيًا عاقلًا خبيرًا ..
وتوفي ليلة الاحد حادي عشر شوال سنة ست وثلثين واربعمايه عن خمس
وثمانين سنه

ومنهم محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك الدامغاني قاضي
القضاه ابو عبد الله رجل سودته نفسه وسورته على منازل القمر شمسه
وسوغته الموارد تجراته وغرسه وعلا قدره حتى ناطح رتبة الوزراء ورمق
الكواكب بالازراء وعقدت عليه الخلفاء خناصرها وعدت منه حيث تبدخ
ناصرها فلهذا كانت رتبته لا تطاول وهضبته لا تحاول والايام تختلف عليه
وسعادته لها تتداول قال الخطيب كان يذكر ان مولده سنة
ثمان وتسعين وثلثمايه بالدامغان ورد بغداد في شبيبته ودرس بها الفقه
على ابي الحسين القدوري وابي عبد الله الصيمري وبرع في العلم حتى ساد اهل
زمانه عقلًا ونباهة وعلمًا ورزانة وله اصحاب كثيرون تفقهوا عليه وانتشروا
في البلاد ودرسوا ببغداد وولي قضاء القضاه ببغداد سنة سبع واربعين واربعمايه
وطالت ايامه وانتشر ذكره وكان نزهًا عفيفًا انتهت اليه الرياسة
في مذهب العراقيين وكان وافر العقل سديد الراي وجرت اموره في حكمه
على السداد وكان القاضي ابو يوسف قاضي الرشيد في ايامه حشمة وجاهًا
وسوددًا وعقلًا وبقي في القضاء مدة ثلثين سنة وثلثة اشهر ولقد شهد
عنده ابو الطيب الطبري شيخ الشافعية وكان يقول ابو عبد الله الدامغاني
القاضي اعرف بمذهب الشافعي من كثير من اصحابنا في ذيله اجتمع له ما لم يجتمع
لغيره في سيادته وعلو رتبته من الحلم والعلم وجزالة الراي والاطلاع على غوامض

الاحكام الشرعية قال وكان قد حصل العلم بجهد جهيد وفقر حتى سمعت
انه كان يحرس في درب بالكرخ ويأكل من اجرة الحراسة على ما جرت به عادة السلف
من احتمال المشقة في طلب العلم وقال محمد بن عبد الوهاب في طبقات
الفقهاء كان ابو عبد الله الدامغاني قد جمع الصورة البهية والمعاني الحسنة من
الدين والعقل والعلم والحلم وكرم المعاشرة للناس والتعصب لهم وكانت له
صدقات في السر وانصاف في العلم لم يكن لغيره وكان يورد من المداعبات في مجلسه
والحكايات المضحكة في تدريسه نظير ما يورده الشيخ ابو اسحق الشيرازي فاذا اجتمعا
صار اجتماعهما نزهة وقال السمعاني امامان ما اتفق لهما الحج ابو اسحق
الشيرازي وقاضي القضاه ابو عبد الله الدامغاني اما ابو اسحق فلم يقدر على الاستطاعة
الزاد والراحلة ولكن لو اراد الحج حملوه على الاحداق الى مكة واما الدامغاني
فلو اراد الحج على السندس والاستبرق كان يمكنه ذلك ولم يحج .. وتوفي في
رجب سنة ثمان وسبعين واربعمايه ودفن بداره ثم نقل ودفن في القبة الى
جانب ابي حنيفة

ومنهم احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر قاضي القضاه رجل
يرى النجم احد مواطي قدميه وعبيد الليل واماء النهار من خدميه كان الرمح احد
قلميه والعلم احد علميه اذعنت الابطال لشجاعته وتوقته الاسود اوان
مجاعته وامنت العلماء على مقالته وانضمت العلماء دايرة لهالته وكان زعيم
الجيش ومقيم صدر المحفل اذا مال به الطيش لولا آخره اوقعت حطة في ابناسه
ووصلت شعاعه بانعكاسه وحركت من القذى آخرما رسب في كاسه .. ذكره
ابو الحسن عبد الغافر الفارسي في السياق فقال صدر المحافل المقدم العزيز من
وقت صباه في بيته وعشيرته الفايق اقرانه بوفور حشمته رئي في حجر الامامه

وكان من اوجه الاحفاد عند القاضي الامام صاعد واخصهم بحسن نظره وكان في
عهد الصبي برجولية في طبقه وميل الى الاشتغال بالفروسية والرمي واستعمال
الاسلحة وتعلم ما يتعلق بذلك فراي جده صاعد ذلك منه فاقره عليه وعلم انه
سيسود به عشيرته بالتفرس فنشا على ذلك وكان من اجمل شبان زمانه
واحلم آلة واجمعهم لاسباب الفروسية والسياسه حتى اضطرب الزمان
وانقرضت دولة آل سبكتكين عن خراسان وتحركت رياح آل سلجوق
في حدود سنة ثلثين واربع مايه ووقع القحط مع انقلاب الدولة واظهر الغلا
والجلا وتتابعت المحن وظهر اللصوص والعيارون في البلد وكانوا يغيرون على
السكك والخانات المعروفه الموسومة بالخزاين فاحتاج البلد واهله الى
ان يطاف بالليالي ويحرس الناس عن القتل وبالبيات ويدفع اذى العيارين
وكان هذا الصدر متهيبا لذلك فاشار عليه جده صاعد بردع المفسدين وافتاه بدفع
ذلك وقتل العيارين واللصوص لما فيه من المصلحة فقام بذلك احسن قيام وساس
الرعايا ابلغ سياسة ولم يزل باهل الزعارة والفساد واللصوص حتى اتى على اكثرهم
وتولى قتلهم بنفسه ودفعهم عن المسلمين حتى سكنت تلك النايرة واستقلت
الدولة السلجوقيه وزال الغلا بعض الزوال فحصل له ما سبق به اقرانه واقاربه
من اهل العلم وسادهم وتقدم عليهم ثم لم يزل يرتفع امره لما فيه من المروة والرجوليه
والهمة العالية الى ان فوضت رياسة نيسابور اليه فصار رئيس الرؤسا بها
وساعدته الاتفاقات الحسنة من اسباب الدنيا فاجرى الرياسة ورسومها على
احسن مجاريها ورسم المحافل والمشاهد والجامع احسن رسم وازينه وكان ملحوظا
من السلطان واركان الدولة بعين الاحترام والاكرام سافر الى العسكر مرات
ونال من المكرمة والحشمة والجاه ما لم ينله غيره ولم يلحق وجه حاله غيره في هذه

المدة الى نيف واربعين واربع مايه فمال بعد ذلك بعض الميل الى التعصب في المذهب
واخذ الهوى بزمام اختياره الى ما لا يليق بالكبار مثل ذلك من المبالغه في العناد
ومطاولة الاقران من ساير الفرق حتى ادى الى ايحاش العلماء والايمة واغرا بعض
الطوايف على بعض والخروج عن الاعتدال في المصاحبة والموالفة فكان ذلك غضا
من منصبه واتساق احواله وامور الى ان فترت تلك الفتن بعد اشتعال نيرانها
وتاذي طايفة من اهل السنة بها الى سنة نيف وخمسين وافضى الامر الى احوال
غير مرضية حتى انتهت نوبة الولاية الى السلطان الب ارسلان فانجلت تلك السحابه
عن نوبة العدل والانصاف واستقامة الامور وازالة الرسوم الممقوته وكان هذا
الصدر صاحب الترجمه خاليا عن العمل مشتغلا بامور نفسه مع الابهة والحشمة والنعمة
وقد بعث رسولا الى ما وراء النهر واحمد سعيه في الدولة الماضية وعهد من حشمته
ورزانة نفسه امور فبقي على ذلك مدة الى ابتداء الدولة الملكشاهية فصار مقدم
البلد ايام الكهولة وادى الحال الى تفويض القضاء بنيسابور الى هذا الصدر
فصار قاضي القضاه على الاطلاق وجرى في ذلك من العدل والانصاف ونقاء الجيب
وصون اليد وصيانة النفس ورد الحقوق الى اهلها والقبض على الايدي الخاطيه وكان
يجمع الوصايا وما يفضل من التركات طول السنة ثم يفرقها على العلماء والصالحين
من الفرق في شهر رمضان وسن سننا صالحة في الامور وعقد مجلس الاملاء عشية
الخميس في الجامع القديم على رسم اسلافه وكان يحضر ذلك المجلس من دب ودرج من
الفرق بالنوب ويتقرب اليه المشايخ والامور بالحضور ولم يزل يرتفع امره لحسن
سيرته وكان صدوق اللهجه يحب كل من ظهر عنده صدقه في مقالته ويبغض الكذب
واهله اشد البغض وكانت اموره كلها متناسقه واسبابه منتظمه ومساعيه
مع قضاء حقوق المعارف وحضور التهاني والمهاني والقيام لكل من يستعين به

ما بلغ ما يوول الي صلاح حاله الي ان ادركه قضاء الله الذي لا بد لكل احد منه بعد امتداد مرض به كفر عنه بعض ما سلف له من الخطايا التي لا يخلو الانسان منها . ومات ليلة الثلثاء قبل الصبح الثامن من شعبان سنة اثنتين وثمانين واربع مايه

ومنهم علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب الدامغاني قاضي القضاه ابو الحسن ابن قاضي القضاه ابي عبد الله الحنفي جدوهم لداته ان يلعبوا واستراح وداب امثاله ان يلغبوا وهان عليه الطلب وشان نظرايه ان يستصعبوا ثم كان اشد ما يكون في دين الله قوة واعظم ما يكون وقارا في فتوة لم ياخذه في الله معارضة تانيب ولا معارضة مريب ولا مفاوضة صديق حميم ولا سلطان مهيب حتى طار رعب مجلسه في النفوس وطاح رداء الكبرياء عن مناكب متزرين الكبر بالرووس . مولده في مستهل رجب سنة تسع واربعين واربع مايه تفقه علي والده وبرع في مذهبه وولي القضاء بباب الطاق ومن بغداد الي الموصل وله من العمر ست عشرة سنة وهذا شي لم يكن لغيره قال ابن النجار ولم يسمع ان قاضيا تولي القضاء اصغر سنا منه وسمع الحديث من ابن هزارمرد الصريفيني وابي بكر الخطيب وابي يعلي الحنبلي وغيرهم وحدث باليسير روي السلفي عنه وولي القضاء لاربعة من الخلفاء القايم والمقتدي والمستظهر ولما ولي المسترشد اقره علي قضاء القضاه قال ابن الجوزي في المنتظم ولا نعرف ان قاضيا تولي لاربعة خلفاء غيره وغير القاضي شريح قال ابن النجار جرت اموره في قضاياه واحكامه علي السداد والاستقامة وكان فقيها فاضلا كثير المحفوظ متدينا عفيفا نزها ذا مروة وصدقات وبر ومعروف وكانت له معرفة حسنة بالشروط وكتب السجلات وقال ابو العباس الواسطي

حكي لي جماعة ان عاملا من عمال السلطان محمد بن ملكشاه وجب عليه حق فحبسه قاضي القضاه علي بن محمد الدامغاني فنفذ السلطان لاجل الافراج عنه فقال الرسول للقاضي السلطان يقول لك تفرج عن هذا العامل فقال له من السلطان فقال محمد العجمي فقال قل له ان السلطان محمد العربي قال لي لا تفرج عنه فعاد الرسول وقد ضاق صدره من ذلك فحكي للسلطان ما قال له فقال السلطان للرسول قل للقاضي يقبل من السلطان محمد العربي وقال ابن الجوزي حضر ابو الحسن الدامغاني باب الحجرة فقال له الخادم امير المومنين يسمع كلامك ويقول الحق تحكمك ام انت تحكمنا قال فكيف يقال لي هذا وانا احكم امير المومنين فقال اليس قد تقدم اليك بقبول قول فلان فلم تفعل قال فبكي وقال قل لامير المومنين اذا كان يوم القيامة جي بديوان ديوان فتسلك عنه فاذا جي بديوان القضاء كفاك ان تقول وليته لذلك المدبر ابن الدامغاني فتسلم انت واقع انا فبكي الخليفة وقال افعل ما تريد قال ابن الجوزي وناب في الوزارة في الايام المستظهرية والمسترشدية مرات بمشاركة غيره معه وتفرد باخذ البيعة للمسترشد وكان ورعا مهيبا مقدما عند الدولة ذا راي وحزم وسودد وهو احد من قتله الطب قال محمد بن عبد الملك الهمداني علا جوفه فظنوه استسقاء فاعطوه الحرارات ومنعوه البوارد وكان في جوفه مادة دواوها البقلة فلم يمكنوه من شرب الماء فلما انضجتها الحرارات بان لهم الخطا وقيل انه انشد عند موته

والناس يلحون الطبيب وانما غلط الطبيب اصابة المقدار

ومات في المحرم سنة ثلث عشرة وخمس مايه وصلي عليه ولده وحضر ارباب الدولة ونواب القضاء والشهود واهل العلم وخدم الخليفه

ومنهم الحسين بن علي ابن ابي القسم ابو علي اللامشي من اهل سمرقند

كان يضرب به المثل في علم الخلاف وعدم التكليف على طريقة الاسلاف وقول الحق ولو ان على راسه الاسياف يلج على الاسد غابه وينبسط في القول ولا تقصه المهابه تقدم على كل موصوف ودوم نشر الطاير على كل معروف لعلم اني الله انه تخفيه ودين حسبه منه ان يوصف بما فيه ؛ ذكره ابو سعد السمعاني في ذيله فقال امام فاضل مسدد بن خير غزير الفضل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يدخل على الملوك ويقول الحق في وجوههم قدم بغداد سنة خمس عشرة وخمسمايه في رسالة من جهة خاقان محمد بن سليمن ملك ما وراء النهر الى الامام المسترشد بالله وقال ابو الفرج ابن الجوزي بعث رسولا الى دار الخلافة فقيل له لو حججت وقد وصلت بغداد فقال لا اجعل الحج تبعا لرسالتهم فرجع الى سمرقند وقال ابو سعد قدم علينا مرة فتكلم مع في عدة مسايل واجاد الكلام فيها قال وسمعت ابا بكر السمرقندي الزاهد يقول بت مع الامام اللامشي فخرج نصف الليل ومر على وجهه فقمت وتبعته بحيث لا يراني فوصل الى نهر كبير عميق فخلع ثيابه واتزر بميزر وغاص في الماء وبقي زمانا لا يرفع راسه من الماء قال فظننت انه غرق فصحت وقلت يا مسلمين غرق الشيخ فاذا بعد ساعة قد ظهر وقال لي يا بني ما غرقت ولكن اردت ان اتخذ لله تعالى سجدة على ارض هذا النهر فان احدا لم يسجد لله عليها سجدة قال ابو سعيد وسمعت ابا بكر محمد بن عمر البلخي بمرو يقول خرجت مع الامام اللامشي الى بستان له فلما رجعنا وعبرنا في وسط البلد وكان الناس في الاسواق والدكاكين يسلمون عليه ؛ توفي في فجر يوم الاثنين خامس شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وخمسمايه وهو ابن احد وثمانين سنه

ومنهم عمر بن عبد العزيز بن مازه البخاري ابو حفص ابن ابي المفاخر المعروف بالحسام الشهيد والامام القانع بالعيش الزهيد حرص على الشهادة حتى

ختم بها عمله وخدم بنجاح سعيه لها امله وكان مدة حياته في جهاد لا تنزع سرابيله ولا تمسك حجج الباطل غرابيله ولا تنقشع عن رؤس اهل العناد ابابيله ؛ مولده في ذي الحجة سنة ثلث وثمانين واربع مايه تفقه على والده وسمع الحديث وحدث باليسير وبرع في المذهب واجتهد وبالغ الى ان صار اوحد عصره وفريد دهره في علم النظر وحاز قصب السبق دون اقرانه وراى الخصوم والكبار بخراسان والعراق في حياة والده وناظرهم وظهر كلامه عليهم وارتفع امره بما وراء النهر الى ان صار السلطان يصدر عن رايه ويتلقي اشارته بالقبول وعاش مدة محترما مقبولا عند الخاص والعام وعاش في حرمة وافرة وقبول زايد الى ان رزقه الله الشهادة بعد وقعة قطوان وانهزام المسلمين في صفر سنة ست وثلثين وخمسمايه بسمرقند ونقل الى بخارا بعد سنة فدفن عند والده قال السمعاني سمعت انه لما خرج في هذه الكرة كان يودع اصحابه واولاده وداع من لا يرجع اليهم ، ومن تصانيفه الجامع الصغير المطول والفتاوي الصغري والفتاوي الكبرى

ومنهم عمر بن محمد بن احمد بن اسمعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي ثم السمرقندي العلامة ابو حفص نجم الدين صاحب المنظومه في الخلافيات المظهره للمحاسن الخفيات الباهرة بالمعاني الوفيات وكان رجل دهره اطلالا على النوب والطلالا لدمه الماقي في الكرب والطلاعا لصبحه في ظلم النوايب واتلاعا لجيد مناظرته غير هايب كل هذا الى ادب ما نقص منه حظه ولا نكص عنه حفظه وكان لا يماثل لفظه الدر الثمين ولا تفارق عقود السبح في يده وثغور اللاهين ؛ مولده سنة احدي او اثنتين وستين واربع مايه قدم بغداد حاجا سنة سبع وخمسمايه وحدث بكتاب تطويل الاسفار لتحصيل الاخبار من جمعه وتاليفه روي فيه عن عامة مشايخه ومستجازاته ومناولاته عن جميع مشايخه قال وهم

خمس مايه وخمسون رجلا كان مبرزا متفننا صنف في كل نوع من العلم في التفسير والحديث والشروط ومن مصنفاته القند في ذكر علماء سمرقند، ومن شعره قوله

كم ساكت ابلغ من ناطق … وراجل اشجع من فارس

ولاحق يسبق عربا مضوا … بفضل دين وهو من فارس

ومنه قوله

تزور المشاهد مستشفعا … بحرمة من دفنوهم هناك

فكن انت اخذا اوصافهم … نزورك حيا وميتا لذاك

وقيل ان ابا حفص لما حج اراد ان يزور الزمخشري فلما وصل الي منزله دق الباب فقال له الزمخشري من ذا فقال عمر فقال انصرف فقال عمر لا ينصرف فقال الزمخشري اذا نكر ينصرف، وتوفي بسمرقند في جمدي الاولي سنة سبع وخمسين وخمس مايه

ومنهم الحسن بن احمد ابن ابي سهل ابو بكر شمس الايمة السرخسي استمد من شمس الايمة حتي كان بدرا تماما وصدرا اماما وبحرا يربك كل قطرة غماما ثم كان به امس ومنه خلفا لما غابت الشمس لقب بلقبه واخذ من علمه مل حقابه ومل احقبه، تفقه علي شمس الايمة ابي محمد عبد العزيز بن احمد الحلواني ولقب لقبه وكان اماما فاضلا متكلما فقيها اصوليا مناظرا يتوقد ذكاء لزم شمس الايمة وتخرج به حتي صار في النظر فرد زمانه وواحد اقرانه واخذ في التصنيف والتعليق وناظر وشاع ذكره وصنف كتاب المبسوط في الفقه في اربعة عشر مجلدا املاء من خاطره من غير مطالعة كتاب ولا مراجعة تعليق بل كان محبوسا في الجب بسبب كلمة نصح بها وكان يملي عليهم من الجب وهم علي اعلا الجب يكتبون ما يملي عليهم حكي عنه انه كان يجالسا في حلقة الاشغال فقيل له حكي عن الشافعي

انه كان يحفظ ثلث مايه كراس فقال حفظ الشافعي زكاة ما احفظ فحسب حفظه فكان اثني عشر الف كراس وله عدة مصنفات كلها معتمد عليها وحكي عنه انه لما خرج من السجن كان امير البلد قد زوج امهات اولاده من خدامه الاحرار فسال العلماء الحاضرين عن ذلك فقلهم قال نعم ما فعلت فقال شمس الايمة اخطات لان تحت كل خادم امراة حرة فكان هذا تزوج الايمه علي الحرة فقال الامير اعتقت هولاء ووجد العقد فسال العلماء فقلهم قال نعم ما فعلت فقال شمس الايمة اخطات لان العدة تجب علي امهات الاولاد بعد الاعتاق فكان تزوج المعتدة من الغير ولا يجوز فالبس الله جواب هذه المسلة علي العلماء في موضعين من مسلة واحدة ليظهر فضل شمس الايمة علي غيره

ومنهم علي بن ابي بكر بن عبد الجليل بن ابي بكر برهان الدين ابو الحسن المرغيناني الراشدي ارشدت تصانيفه الضلال ومد بتثقيفه افياء بها وارفه الضلال واوقدها مصابيح تشب لقفال وقلدها مفاتيح تناشب معها اقفال كواكبه طلع وكواعبه تطلع، كان اماما جليلا زاهدا مجاجا استاذا عاملا فاضلا متبحرا نحريرا قدوة محققا فصيحا كاشفا للاسرار الفقهية كبير القدر بعيد الصيت ومن تصانيفه بداية المبتدي وكفاية المنتهي قريب من ثمانين مجلدا، والتجنيس، والمزيد، ومناسك الحج، واما كتاب الهداية فهو العمدة في المذهب، وغالب المدرسين منه يلقون دروسهم وعليه يرمون نفوسهم

ومنهم علي بن الحسن بن محمد البلخي ابو الحسن الزاهد الفقيه الحنفي الجعفري عرف بالبرهان البلخي امام الحرم وغمام الكرم اقام بجوار البيت الحرام وقام بما قعد عنه الكرام واقبلت الرغايب تهوي اليه وبري تمام

الجو الوقوف عليه حتى استدعت عروس دمشق ودّ الفارك واسترعت عهده وقد حيل دونها بضرب كافواه المحاض الاوراك فراجعها بعد مطال وضاجعها بعد هجر طال وكان بها ظاهر الكرامه طاهر الثوب من دنس الملامه تفقه ببخارا على الامام عبد العزيز بن عمر بن مازه وغيره وسمع الحديث من جماعة بما وراء النهر قال ابن عساكر قدم دمشق سنة بضع عشرة وخمس مايه ونزل بالمدرسة الصادريه فناظر في الخلافيات وعقد مجلس التذكير وحصل له قبول فحسده علي بن مكي الكاساني مدرس الصادرية اذذاك وتعصب عليه الحنابلة لانه اظهر خلافهم فمضى الى مكة وجاور بها وصار الحنفية بالمسجد الحرام ثم ندم الكاساني على خروجه وقال لجماعة من اصحابه كاتبوه الى مكة ورغبوه في الرجوع الى دمشق واذكروا له ان عليًا الكاساني يسلم المدرسة اليه قال ابن عساكر وكانت الكتب على يدي فاوصلتها اليه بالمسجد الحرام سنة احدى وعشرين وخمس مايه فذكر ان عوده في ذلك العام متعذر فلما كان بعد ذلك مضى اليه الفقيه سعيد بن علي بن عبد الله البوركندي وحمله الى بغداد وتوجه به الى دمشق فقدمها وتسلم المدرسة واشتغل بالتدريس والتذكير فحصل له جماعة كثيرة ووجاهة عند الخاصة والعامة وكان صحيح الاعتقاد حسن السمت محبًا لنشر العلم مراعيًا للاصحاب سخي النفس وعقد مجلسًا للاملاء فحضره خلق كثير وجمع كبير وكانت كتبه بخراسان فوجه من جاءه بها وجعلت له دار طرخان مدرسة فدرس بها ودرس ايضا بمسجد خاتون ووقفت عليه اوقاف وفتح عليه فتوح ولم يدخر منها شيئا ولا يمسكها ثم انه خرج الى حلب ليفقه اهلها وينشر السنة بها فانتفع به خلايق هناك وازال البدعة التي كانت في التاذين قال الصاحب ابو القسم ابن العديم اخبرني والدي قال لما فتح نور الدين محمود المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاويه

30

بحلب لاصحاب ابي حنيفة استدعى البلخي اليها فجاء ومعه جماعة من الفقهاء ودخلها والقى بها الدرس وكان الاذان بحلب في المنارة على قاعدة الشيعة يزاد فيه حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر فلما سمع البلخي ذلك امر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الاذان وقال لهم مروا المودنين ليوذنوا الاذان المشروع ومن امتنع منهم كبوه على راسه فصعد الفقهاء وفعلوا ما امرهم به فاذن المودنون الاذان المشروع واستمر الامر على ذلك الى ان مرض نور الدين بقلعة حلب ودخل نصير الدين اخوه الى حلب فاعاد الشيعة الاذان اياما ثم ترك قال ابن العديم كان سبب خروج البلخي بعد ذلك من حلب ان بعض الامراء المختصين بمجد الدين ابي بكر ابن الداية كان ساكنا الى جانب المدرسة فبلغ البلخي عنه انه يشرب الخمر فامر الفقهاء ان ينكروا عليه فمشوا اليه فقام اليهم وضربهم فجمع البلخي الفقهاء وامرهم بالدخول اليه فدخلوا اليه واراقوا الخمر وضربوه فشق ذلك على ابن الدايه واخرجه من حلب قال ابن العديم واخبرني قاضي العسكر قال حدثت عن حاجب شمس الملوك صاحب دمشق انه كان لشمس الملوك في مقابلة المسجد الذي عمرته والدته الخاتون للبلخي مدرسة قصر له يشرب فيه وعنده المغنون له بالملاهي فكان الشيخ اذا علم بهم امر الفقهاء باسرهم فيصعدون الى السطح ويكبرون ليشوشوا عليهم ما هو فيه فكان يتكدر عليه لذته ويتشوش عليه قال الحاجب فاخذني في بعض الليالي وليس معنا ثالث وقال لي لا بد من قتل هذا الشيخ الكلب العجمي واستصحب معه سيفا وجاء الى المسجد واذا بالشيخ قاعد فيه فاعمى الله بصره عنه وانا ابصره فقال لي ما اراه هنا واين هو هذا الفاعل الصانع فلما رايته كذلك لم اعلمه اني اراه فجعل يدور عليه ولا يراه ثم جاء الى حايط هناك فقال اقعد الى الارض حتى اصعد الى الحايط على كتفيك قال ففعلت ذلك وصعد على كتفي فلما وضع يده على راس

الحايط انقلب الي خلف ووقع مغشي عليه قال فابتدرت اليه ووضعت راسه على ركبتي
وجعلت اسكنه واساله فلما افاق قال لي لا تسل ما تم علي وان حدثت به احدا
ضربت عنقك اعلم اني لما هممت بالطلوع فما هو الا ان وضعت يدي على راس الحايط
وصعدت واذا باسد عظيم قد لطمني فالقاني وانا استغفر الله مما جرى ولا بد لي في
غد من زيارة هذا الشيخ فلما كان في الغد اتي شمس الملوك الي الشيخ وزاره واستغفر
وتاب ثم كان من بركة الشيخ ان ذلك القصر وقف خانقاه على الصوفيه الى الآن
بطريق الشرب وقال ـــــ ابو العلي ابن امين الدولة كان سبب توبه نور الدين
محمود بن زنكي عن شرب الخمر واقباله على الخير والصلاح انه دخل ذات يوم على البلخي
يزوره فاخذ الشيخ يعظه فرق قلبه وبكى فقيل للشيخ سرا اذكر له شيا في الخمر
فشرع الشيخ واطنب في ذكر الخمر وذكر ما جاء فيها من الاحاديث ونور الدين
يبكي ولم يزل حتى تاب نور الدين على يد الشيخ توبة نصوحا في ذلك الوقت
قال ـــــ ابن العديم حدثني ابن قاضي العسكر قال حدثني جماعة من الفقهاء
من اصحاب البلخي منهم والدي قال عمر ابق صاحب دمشق دارا فاحتاج فيها الي
رخاما فذكرت له اسكفه عظيمة من الرخام على باب مسجد بدمشق فامر
بقلعها وعمل اسكفه عوضها من غيرها فجاؤا واقتلعوها وحملوها ومعهم الملاهي
لحملها فبلغ الخبر الشيخ فخرج من منزله وتبعه جماعة من الفقهاء وجعل لا يمر بمحلة
الا اجتمع معه خلق منها حتى كثروا جدا ولا يعلمون الي اين يذهب فلقيهم في
الطريق ومعهم الاسكفه فقال لهم ارجعوا فلم يسعهم الا امتثال امره فعادوا ووضعوها
في مكانها ثم اتوا ابق صاحب دمشق فاخبروه فانكر عليهم امتثال امره فقالوا لو
لم نفعل ذلك هلكنا من كثرة الخلق علينا فانفذ اليه فقال له السلطان دمشق
لك هبها لي فقام وخرج ماشيا حتى الي بصري والوالي بها ربيع الاسلام امين الدولة

فاكرمه واحسن اليه وانزله في مدرسة كانت له هناك فوقع بين صاحب دمشق
ووالي بصري خلف فاتي صاحب دمشق الي بصري محاصرا لها فارسل الي واليها
انفذ الي البلخي ليصلح بيننا فقال ربيع الاسلام للشيخ ان هذا الجبار قد سال ان تخرج
اليه فاجابه الشيخ الي ذلك فخرج اليه فالتقاه صاحب دمشق واكب على قدميه يقبلها
والشيخ لا يرفعه عنهما ثم قال له ما جيت الا لاجلك فاني لم الق خيرا منذ خرجت
ولا لقيت دمشق خيرا منذ خرجت ولا بد من الرجوع اليها معي فاخذه معه وعاد فتلقاه
اهل دمشق احسن لقاء قال ـــــ ابن العديم في تاريخه انا داود بن عمر
خطيب بيت الابار حدثني عبد الرحمن بن عساكر قال احكي لي حكايتين عن الشيخ
البلخي اما احداهما فانه استفتي في قضية فافتى فيها فحمل صاحب الفتيا الفتوى
الي ديوان نور الدين فلم يعملوا فجاء الي الشيخ فحكى له ذلك فشق عليه وقال بلد
لا يعمل فيها بما يفتي به الفقهاء لا اسكنه وقام ولبس ثيابه وخرج ليرحل من دمشق
فبلغ ذلك نور الدين فخرج في اثره فلحقه بالمزه فجاء ونزل وتلقاه وقال ما الذي دعاك
الي هذا فقال افتي بشي لا يعمل به لا حاجة لي الي سكنى بلدة تكون بهذه الصفة
فاعتذر اليه وقال لا بل يعمل بقولك وبما تفتي به وساله في العود فاجاب الي ذلك
فرجع نور الدين معه ماشيا على قدميه من المزه حتى دخل الي المدرسة الصادرية
بباب الجامع واما الثانية فانه كان بالصادرية بواب يتصفح حال الفقهاء فجاء
الي الشيخ يوما وقال ان فلانا وفلانا من الفقهاء يجتمعان بالبيت الفلاني ويشربان
الخمر فقال لا تتكلم بشي واذا رايتهم على هذه الحالة فاعلمني بذلك وعمد الشيخ الي
السوق فاشترى منه ما يصلح للنقل على الشرب وتركه في ميزر مشدود عنده
فجاءه البواب في بعض الليالي فقال له هما يشربان الساعة فاخذ الشيخ ذلك
النقل بيده واتى الي الباب الذي فيه الفقيهان ووقف على الباب وقال اللهم

ثب عليهما ونقر الباب فلم يسعهما الا فتحه فناولهما ذلك النقل وقال خذا هذا
واستعملاه فاخذاه فلما اصبحا جاءا الي الشيخ وتابا علي يده وحسنت توبتهما ثم صارا
امامين في الفقه ودرس كل منهما بمدرسة بدمشق ❊ وسئل يوما في مجلس وعظه
عن مسئلة في الزهد فنزل عن المنبر وقال مكانكم حتي ارجع اليكم وراح الي بيته
بالمدرسة وكان عنده ديناران فاخذهما وتصدق بهما ثم عاد الي مجلس وعظه وقال
سالني هذا عن الزهد وكان عندي ديناران فاستحييت من الله ان اتكلم في الزهد
وعندي شي من الدنيا ❊ وقبل موته بقليل جري بين الصوفية بخانقاه السميساطي
تنازع فجاءهم الشيخ ودق الباب فقالوا من فقال علي البلخي فعرفوه وفتحوا له فدخل
واصلح بينهم وخلع ثيابه لتعمل الصوفية بها استغفارا كما جرت العادة لهم فلم
يبق عليه الا ثوب واحد وخرج وصلي فاصابه برد فتاثر بدنه لذلك فاصبح وذكر
الدرس ثم بعد ايام خرج وصلي بهم الصبح وكان يؤم بهم ويطيل الصلاة يبداء
بغلس ويختم باسفار فقرا في الصلاة ويتم السيات ومن تق السيات يومئذ
فقد رحمته فاجهش الناس بالبكاء عندما قراه ذلك فركع واتم الصلاة ودخل
منزله فلم يخرج منه بعد ذلك حتي مات يوم الخميس في شعبان سنة ثمان واربعين
وخمس مايه ودفن بمقبرة باب الصغير قال ابن قاضي العسكر دعوت
عند قبره في امور اهمتني ثلث دعوات فاستجيبت لي وهو اول من درس
بالمدرسة الحلاوية بحلب وبالطرخانية بدمشق وبمسجد خاتون ظاهر دمشق
وبالمدرسة البلخية المجاورة للصادرية جوار الجامع الاموي واليه نسبت

ومنهم محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة ابو الفتح
السمرقندي المعروف بالعلا العالم فهو ابو الفتح المعروف بالعلا بل الموصوف
بالعلا جمع الاسفار المفيدة ولزم الاسفار البعيدة وكان لسانه في الجدال امضي

من الصفاح في الجلاد واوحي من الرماح في الجهاد اقرب اصابة من السهام
واسرع اجابة من الالهام واشد انارة من التخيل في الافهام واشد من تحقيق
البراهين في ازالة الاوهام وقع الاتفاق علي حسن طرايقه في الخلاف وحدايقه
البديعة الافواف تفقه واعتزل وجد في العبادة وقط ما هزل ❊ مولده في
جمدي الاخرة سنة ثمان وثمانين واربع مايه صنف التصانيف في علم الخلاف منها
الطريقة المعروفة بطريقة العلا العالم في مجلدات عدة وشاعت في البلدان ❊
وكان اماما فقيها فاضلا مناظرا بارعا وله عبارة حسنة والباع الطويل في علم الخلاف
والجدل ثم انه تنسك وترك المناظرة واشتغل بالخير الي ان توفي سنة اثنتين
وخمسين وخمس مايه

ومنهم عبد الغفور بن لقمان بن محمد الكردري ابو المفاخر
القاضي الحنفي الدانقيني قاضي حلب رجل عنده الناس اسوياء لا يثنيه اللين
والرياء ولديه السلطان كاحاد الناس في اطراد القياس لا يبالي اذا رضي الله بمن
غضب ولا اذا وصل سبب الحق بما اقتضب ولا اذا الطل دم الباطل باي كف
خضب وقوفا مع الشريعة المطهرة ونزعا لجلابيب الاباطيل المشهرة ❊ تفقه
علي الامام ابي الفضل عبد الرحمن الكرماني وبرع في الفقه وحدث بحلب وكان
يحفظ المبسوط لمحمد بن الحسن وصنف التصانيف الحسنة قال ابو القسم
عمر بن العديم في تاريخ حلب قدم الكردري حلب فولاه الملك العادل نور الدين
محمود القضاء بها وولي التدريس بالمدرسة التي وقفها حسام الدين لاجين بحلب
وسمعت شيخنا ابا هاشم عبد اللطيف يصفه بالدين والصلاح ويثني عليه بالعلم
والفقه ويفضله علي العلاء بن الغزنوي وعلي الكاساني وكان يتورع ان يجلس
للحكم علي حصر المدرسة ويامر برفعها اذا جلس للقضاء ويقول هذه الحصر للدرس

فلا يجوز استعمالها لغيره وكان له برسم القضاء حصير صغير يجلس عليها للحكم
قال ـــ ابو هاشم لما ولي الملك العادل نور الدين لابا الفضل الشهرزوري
قضاء القضاه بالبلاد الشامية واستناب ابنه ابا حامد قال السلطان نور الدين
نريد حاكما يحكم على مذهب الامام ابي حنيفة بحلب فذكر له الكردري فسير
اليه وعرض عليه القضاء فامتنع وقال بني الشهرزوري لا اقدر على النيابة عنهم
فسير اليه نور الدين وقال له انت نايب نور الدين لا غير وليس للقاضي عليك امر
ولا ولاية فاجاب وتولى القضاء فجعل ابو حامد ابن القاضي يقول امضوا للنايب
وقولوا للنايب فغضب القاضي الكردري من ذلك وتبين الغيظ في وجهه فقيل
له لست الا نايب نور الدين فجعل بعد ذلك يمضي القضايا على ما يختار استقلالا
وكان له غلام جعله لمجلس الحكم يدعى سويدا يحضر الخصوم الى مجلس الحكم فحضر
بعض التجار وادعى ان له على نور الدين دعوى فقال الكردري لسويد امض
الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره فمضى
سويد في طلب نور الدين فقيل لنور الدين ان تاج الدين الكردري قد ارسل سويدا
يطلب المولى الى مجلس الحكم وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى شرعيه على
المولى فقال نور الدين تحضر الفرس حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ثم نهض وركب
حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم
عليه وقل له اني جيت الى هنا امتثالا لامر الشرع وهذا وكيلي يسمع الدعوى وان
توجهت على يمين احضر ان شاء الله تعالى قال ـــ فحضر الوكيل وسمع الدعوى
وتوجهت اليمين فقال الكردري قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين
ذلك استدعى التاجر واصلح الامر فيما بينه وبينه وارضاه ؞ توفي بحلب في رجب

سنة اثنتين وخمسين وخمسمايه

ومنهم محمد بن محمد بن محمد ابو عبد الله السرخسي رضي الدين صاحب
المحيط بوأته حلب مقامها وقصرت في عينه مددا اقامها وقدمت له من
حلاوة حلاوتها ما طاب له به كل زمان مر واريته كل اوان ما سر واقام بين
اهلها ولا يظن الا انه بين الكواكب نازل وان ما وجده سهم جدوى صوب السحايب
هازل ولم يزل بينهم حتى اثرى واصبح لا يرى المال وان جل كثيرا قال ـــ
كان من الفقهاء المعتبرين من الحنفية قدم حلب ودرس بالمدرسة النورية الحلاويه
بعد محمود الغزنوي فتعصب عليه جماعة ونسبوه الى التقصير والى انه ادعى
تصنيف المحيط وحاله في الفقه تقصر عن ذلك وذكر ان هذا الكتاب صنفه
وانه وقع به وادعاه لنفسه وكان اكثر الناس في ذلك تعصبا افتخار الدين
الهاشمي وكتبوا فيه رقاعا الى نور الدين الشهيد يذكرون انهم اخذوا عليه
تصحيفا كثيرا فاوجب ذلك عزله عن التدريس فسار الى دمشق فتولى تدريس
المدرسة المعروفة بمسجد خاتون فلما مرض مرض الموت احضر المحيط وفتق
كعابه جميعها فاخرج منها ذهبا مقداره ست مايه دينار واوصى ان تفرق
على فقهاء المدرسة ولم يكن له وارث ومات فجاء نواب الحشر وطلبوا ان ينزعوه
وكانت خاتون واقفة المدرسة في الحياة ولها جاه فامتنع الفقهاء من دفع ذلك الى
نواب الحشر بجاهها

ومنهم ابو بكر بن مسعود بن احمد الكاساني علا الدين صاحب
البدايع وصاحب جلباب الصنايع وندرة اصحاب الامام ابي حنيفة في الزمن
الاخير لم يكن فيهم من ملاصق بمجاله ولا من تضايق مجاله وكان نسكهم
اذا هدر وسيكتهم في حلبة السباق اذا بدر هذا الى سعة صدر ورفعة

قدر وقرب من الملوك وبعد لا تطا قدم الثريا اثر المسلوك وكثرة استحضار
وقدرة قوي لا يتدرك باحصار الا انه ربما احتد وجدل الخصما وما اعتذر
وكان ياخذ نفسه بلقاء الاقران اذا التقي الجمعان واتقي الصدعان وبربط
لمذاكرايم الخيل وبنعت من سبقه البانك زايد السيل ؛ تفقه علي محمد ابن
ابي احمد السمرقندي وقرا عليه معظم تصانيفه وزوجه شيخه بابنته فاطمة الفقيهه
العالمة قال ابن العديم في تاريخ حلب كان الكاساني قد اقام ببلاد
الروم فناظره هو وبعض الفقهاء في مسئلة المجتهدين مصيب ومخطي والحق في جهة
واحدة وهذا الذي يقول له مذهب المعتزلة وجري بينهما كلام في ذلك فرفع الكاساني
علي ذلك الفقيه المقرعه فتاذي ملك الروم وقال لوزيره هذا قد افتات علي الرجل
فاصرفه عنه فقال الوزير هذا الرجل شيخ العلم وله حرمة وافرة ولا ينبغي ان
نصرفه بل ننفذه رسولا الي نور الدين محمود بن زنكي ونتخلص منه بهذه الطريق
فسير من الروم رسولا الي حلب وكان قدم الرضي السرخسي صاحب المحيط
حلب فولاه السلطان نور الدين المدرسة الحلاويه وكان في لسانه لكنة فتعصب
عليه جماعة من الفقهاء الحنفيه وصغروا امره عند نور الدين فاوجب ذلك عزله
عن التدريس فاتفق وصول الكاساني في الرسالة الي نور الدين فاحترمه واكرمه
فاجتمع فقهاء المدرسه وطلبوا من السلطان ان يوليه التدريس فعرض عليه
نور الدين ذلك فاجاب الي ذلك وقال هذه الرسالة امانة معي فاذا اعدت الجواب
اليهم عدت بعد ذلك فكتب نور الدين خطة للكاساني بالمدرسة فرجع واعاد
الجواب وبسطت له سجادة بالمدرسة وكانت تبسط كل يوم وتجتمع الفقهاء
حولها الي ان عاد فخرج جماعة عظيمة من الفقهاء وتلقوه واكرمه السلطان
وفوض اليه النظر في امر المدرسة وزاوية الحديث بالجامع فحدث ودرس

ايضا بالمدرسة الجاوليه قال ابن العديم وكان حريصا علي تعليم العلم
ونفع الطلبة مواظبا علي ذكر الدرس فقيها عالما صحيح الاعتقاد كثير الذم
المعتزلة واهل البدع مصرحا بشتمهم ولعنهم في دروسه وصنف في الفقه
والاصول وكان له حصان يركبه ولا يركب غيره ويقول لا يركب الفحل الا الفحل
وكان له رمح يصحبه في الحضر والسفر وكان عنده نخوة الامارة وعزة النفس
وكان شجاعا وكان لا ياكل في عمره الا اللحم المطبوخ بالماء والحمص قال
ابن العديم وحدثني والدي قال كان الكاساني كثيرا ما يعرض النقرس في رجليه
ووجع المفاصل وكان يحمل في محفة من منزله ويخرج الي الفقهاء ويذكر الدرس
ولا يمنعه ذلك الالم من الاشتغال ولا يخل بذكر الدرس وكان نور الدين ربما
عاده في بعض الوقت قال ولم تزل حرمة الكاساني تعظم وتزيد ويرتفع
امره عند نور الدين ومن بعده من الملوك الي ان ثنا فقطنت في ايام الملك الناصر
صلاح الدين فلزم مكانه بالمدرسة ثم عظم بعد ذلك امره عند الملك الظاهر غازي
ومازال بحرمة الي ان مات وكان يصعد الي القلعة راكبا وينزل حيث ينزل
الملك الظاهر فاتفق ان صعد يوما والفقهاء باجمعهم بين يديه فلما وصل الي باب
القلعة قام البواب وقال يدخل الشيخ ويرجع الفقهاء فلوي الشيخ عنان حصانه
وقال يرجع الشيخ ايضا فبلغ الملك الظاهر ذلك فارسل في الحال من ادخل الشيخ
والفقهاء الي مجلس السلطان قال ابن العديم وسمعت قاضي العسكر
يقول قدم الكاساني دمشق فحضر اليه الفقهاء وطلبوا منه الكلام معهم
في مسئلة فقال انا لا اتكلم في مسئلة فيها خلاف اصحابنا فعينوا مسئلة فعينوا
مسايل كثيرة فجعل يقول ذهب اليها من اصحابنا فلان فلم يزل كذلك حتي انهم
لم يجدوا مسئلة الا وقد ذهب اليها واحد من اصحاب ابي حنيفة فانفض المجلس

ولم يتكلموا معه ∴ ومما وجد ونقل من شعر الكاساني على ظهر
نسخة بكتاب البدايع

سبقت العالمين الى المعالي بصايب فكرة وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليال بالضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفوه ويابى الله الا ان يتمه

قال ابن العديم سمعت ضياء الدين محمد بن خميس الحنفي يقول
حضرت الشيخ الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابرهيم حتى انتهى الى
قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فخرجت
روحه عند فراغه من قوله وفي الاخرة ∴ وكانت وفاته يوم الاحد بعد الظهر عاشر
رجب سنة سبع وثمانين وخمسمايه ودفن داخل مقام ابرهيم الخليل بظاهر حلب
وخلف ولدا ذكرا فتولى الملك الظاهر غازي تربيته والقيام بامره وكان صبيا
واجتهد في اشتغاله بالفقه فلم ينجب

ومنهم محمد بن يوسف بن الخضر بن عبد الله الحنفي الحلبي ابو عبد الله
ويعرف بابن الابيض شمس الدين قاضي العسكر وقايل القول لا ينكر
وقايد الجحفل الا انه لخفايه لا يظهر ولظهوره لا يذكر تقلد الملك منه رايا
ماضيا وجرد عزما قاضيا وصرح لحلب منه زبدتها ووضح به في وجه
شهبايها المغبر ربدتها وعلا مقامها بمقامه في موطنها وطارت بروق
صرايرها المصقلة السيوف دعرا من جوشنها وترسل بحلم الطف من
الوسايل واشجى من تغريد حمام الرسايل ∴ مولده بحلب في صفر سنة ستين
وخمسمايه وتفقه على والده يوسف بن الخضر وابي بكر الكاساني وتفقه عليه
ابو القسم ابن العديم مورخ حلب وقال نشا بحلب فلما انتقل ابوه الى دمشق وولي

القضاء بها سار الى والده وتقدم ونفق على الملك العادل فولاه قضاء العسكر
وسيره الى الملوك في الرسايل وقلده عدة مدارس ولم يزل كذلك حتى حصل بينه
وبين ابن شكر وحشة خاف منها على نفسه وكان العادل قد سيره رسولا الى حلب
والى الديار البكرية قال ابن العديم وكان قد اتصل بوالدي فلما ورد حلب
عرض عليه الملك الظاهر غازي المقام بحلب وضمن له اشياء فاجابه الى ذلك وسار
الى البلاد الشرقيه لاداء الرسالة وعاد الى حلب فاقام بها وسير جواب الرسالة
الى الملك العادل وولاه الملك الظاهر مدرسة شاذبخت قال وحكى
لي انما سيره الملك العادل في هذه الرسالة ليتلطف في طلب الدستور بالطف
حيلة وذلك انه قال له قد علم مولانا انني قد تاهلت بحلب وانا استخرج الاذن
الكريم في المقام عند اهلي عند قضاء شغل السلطان فاذن له في ذلك ظنا منه
انه يقيم مدة ثم يعود ولم يزل بعد ذلك مقيما بحلب الى ان ولى الملك الظاهر افتخار الدين
ابا هاشم عبد المطلب الهاشمي رياسة اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه فاستوحش
لذلك وترك منصبه وسافر الى حماه فانزله الملك المنصور محمد بن عمر بها واكرمه
وولاه المدرسة النورية بها ثم ان الملك الظاهر طلب من والدي عوده فسار والدي
اليه الى حماه واعاده الى منصبه بحلب قال ابن العديم وكان حسن
الاخلاق حسن المحاضرة كريم الطباع غزير العلم كثير الورع مليح النظم
والنثر ∴ انشدني لنفسه

اشد المحبين اشتياقا ووحشة لمحبوبه صب يبيت على وعد
يخاف اجتنابا واقفا عن تعمد واصعب ما كان التجنب عن عمد

توفي في رمضان سنة اربع عشرة وستمايه فجاءة وكان قد استدعى فقهاء
المدرسة للافطار عنده ثم صلى العشاء والتراويح وسجد فمات رحمه الله ودفن

من صبيحته بمقابر ابرهيم الخليل عليه السلام
ومنهم عبد الله بن علي بن صابر بن عبد الجليل الفرغاني ابو بكر
الفقيه الحنفي احد الشهداء الذين قتلوا صبرا وبوّاو من حواصل الطير
الخضر المعلقة بساق العرش قبرا من الاحياء الذين عند ربهم يرزقون
والاوعياء غير انهم لا ينطقون وامسوا نورا في قناديل الجنة التي اليها ياوون
وروحا في سرابيل النعيم فلهذا على الاحياء لا يلمون قال ابن النجار
في ذيله سكن سمرقند وكان متولي الخطابه قدم علينا بغداد حاجا في صفر
سنة ست مايه وسمع الحديث من شيوخنا وكان اماما كبيرا في المذهب والخلاف
والجدل ومعرفة الحديث والنحو واللغة وله النظم والنثر وما رات عيناي انسانا
جمع حسن الصورة مع لطف الاخلاق وكمال التواضع وغزارة الفضل ومتانة
الدين والورع والبراعة وحسن الخط والقدرة على الانشاء نظما ونثرا
وفصاحة اللسان وعذوبة الالفاظ والصدق والنبل والثقة ولقد كان
من افراد الدهر ونوادر العصر كامل الصفات بعيد المثل قل ان تلد النساء
مثله ولقد تادبنا باخلاقه واقتدينا بافعاله وتعلمنا من فوايده وفرايده
واقتبسنا من علومه ما سفر بالخناجر على الحناجر قال وانشدنا لنفسه

تحرّ فديتك صدق الحديث ولا تحسب الكذب امرا يسيرا
ومن كان بالكذب مستهترا سيدعو ثبورا ويصلى سعيرا

قال ابن النجار وبلغنا انه قتل شهيدا ببخارا صابرا محتسبا على يد التتار
الكفرة حين استولوا عليها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمايه
ومنهم محمود بن احمد بن عبد السيد بن عثمان بن نصر بن عبد الملك
ابو المحامد جمال الدين الحصيري البخاري المولد الحنفي نزيل دمشق احد ايمة الحنفيه

وربيسهم في وقته غير مدافع ورأسهم الذي يتابع ذو المكانة التي تفرج لها الصدور
وتحرج لرفعتها البدور وقرله في خاطر السلطان ما تسلط به عليه وتطاطا
بسببه لديه وكان يدخل عليه اذا عرضت له اليه حاجة راكبا حماره لا ينزل
عنه حتى يصير الى ايوانه وليسير من باب القلعة فتتشعلب حوله اسود اعوانه
وكان اذا انتهى الى السلطان قام اليه وانزله عن حماره بيده ومشى معه حتى
يجلسه في مقعده ولولاه زمان الملك الاشرف موسى ما سلم ابن عبد السلام
ولا تجلى عنه الظلام ∴ مولده ببخارا سنة ست واربعين وخمسمايه وتفقه بها على
جماعة منهم الحسن بن منصور قاضي خان وتفقه عليه جماعة منهم العلامة ذو الفنون
محمود بن عابد الصرخدي وابو المظفر سبط ابن الجوزي وابو الفتوح الملك المعظم
عيسى ابن العادل وسمع الحديث بنيسابور وهو كهل ولو سمع في صغره لكان سند
اهل الشام وروى مولفات محمد بن الحسن وتفرد بروايتها وروى عنه الكبار
من الشاميين قال ابو المحامد ابن الصابوني كان اماما فاضلا تفقه
وصنف ودرس وافتى وحدث وانتفع به جماعة كثيرة وكان جامعا للعلم والعمل
كثير التواضع حسن المعاشرة قال ابو اسامة فوض اليه تدريس
المدرسة النورية بدمشق الشيخ محمود الحصيري وحضر الملك المعظم درسه مع
الفقهاء وذلك في ربيع الاول سنة احدى عشرة وستمايه وكان سيدا فقيها
دينا متواضعا وصنف في الفقه الكتب الكبار وصارت عمدة في المذهب خصوصا
التحرير في شرح الجامع الكبير ∴ وتوفي في ثامن صفر سنة ست وثلثين وستمايه
وازدحم الخلق على جنازته وحملة الفقهاء على الاصابع ودفن بمقابر الصوفية في
جانب الطريق
ومنهم عبد الله بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر الحنفي

الاذرعي ابو محمد قاضي القضاه شمس الدين عرف بالشمس عبد الله قاضٍ لا
يهاب ملكا ولا يحابي موتفكا ولا يحل عقدًا بذيل الشعر متمسكا يقفي
بالحق ولا يهاب ويقول الصدق فما يعاب ولقد شهدله يوم تكلت عنه القرنا
ونكصت الجنبا ارغم فيه معطس السلطان وصدع في داديه دجي العدوان
لعوة وهبها ونعمة لولاها وجدت كثيرًا قد سلبها هو اول من ولي القضاء
بدمشق على مذهب الامام ابي حنيفة استقلالا مولده سنة خمس وتسعين
وخمس مايه كان والده حنبلي المذهب وكان يتغالى في الشيخ الفقيه محمد اليونيني
ويحبه محبة مفرطة وبسببه انتقل الي بعلبك وقرا ولده هذا عبد الله على الشيخ
الفقيه القران العزيز واستاذنه والده فيما يشتغل به ولده المذكور فاشار
عليه الشيخ الفقيه ان يشتغل في الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة فاشتغل
وحفظ مختصر القدوري ورحل الي دمشق وتفقه بحيث صار المشار اليه في المذهب
فكان احد الايمة المشكورين رفيع القدر كثير الفضل حسن الهيئة وافر الديانه
علي الاسناد قوالا بالحق كثير التواضع عديم النظير قليل الرغبة في الدنيا
يقنع منها باليسير ولا يحابي احدًا في الحق ودرس بالمدرسة المعظمية بسفح
قاسيون وبالمدرسة المرشدية وهو اول من درس بها واستنابه ابن سني الدوله
ومن بعده في نيابة الحكم على مذهبه ثم وليه مستقلا للحنفية في سادس جمدي الاول
سنة اربع وستين وست مايه واستمر قاضي القضاه الي ان توفي قال
ابو شامه وفي سنة اربع وستين وست مايه جا من مصر من سلطانها الملك
الظاهر بيبرس الصالحي ثلثة عهود لثلثة من القضاه شمس الدين عبد الله بن
محمد بن عطا الحنفي المذكور وشمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ ابي عمر الحنبلي
وزين الدين عبد السلام الزواوي المالكي وجعل كل واحد منهم قاضي القضاه كما هو

لشمس الدين ابن خلكان الشافعي وكان قد فعل بديار مصر في العام الاول كذلك
ولوا اربعة كل واحد منهم قاضي القضاه من المذاهب الاربعة ولكل واحد منهم نايب
فلما وصلت العهود الثلاثه لم يقبل المالكي والحنبلي واعتذرا بالعجز والتقصير وقبل
الحنفي لانه كان نايبا للشافعية واستمر على الحكم ثم ورد الكتاب بالزامهما واخذ
ما بايديهما من الاوقاف ان لم يفعلا فاجابا ثم اصبح المالكي واشهد على نفسه بانه عزل
نفسه عن القضاء وعن الاوقاف فترك واستمر الحنبلي ثم ورد الامر بالزامه فقبل
واستمر الجميع لكن امتنع المالكي والحنبلي من اخذ جامكية على القضاء وقالا نحن
في كفاية فاعفيا منها قال ابو شامه ومن العجب اجتماع ثلثة على
ولاية قضاء القضاه في زمن واحد كل واحد منهم لقبه شمس الدين واتفق ان الشافعي
منهم استناب ايضا من لقبه شمس الدين فقال بعض الظرفاء

اهل دمشق استرابوا من كثرة الحكام • اذ الجميع شموس وهم في ظلام

وقيل ايضا

بدمشق اية قد ظهرت للناس عاما • كلما ولي شمس قاضيا زادت ظلاما

ولما وضعت الايدي واحتيط على البساتين في الدولة الظاهرية حضر السلطان
بدار العدل وجري الكلام في ذلك فتكلم القاضي شمس الدين عبد الله المذكور
من بين الحاضرين وقال اليد لارباب الاملاك ولا يحل لاحد ان ينازعهم في املاكهم
ومن استحل ما حرم الله فقد كفر فغضب السلطان الملك الظاهر غضبا شديدا
وتغير لونه وقال انا اكفر فجعل بعض ارباب الدولة يسكن غضبه ويقول
القاضي انما اشار بالتكفير الي من افتي السلطان بذلك وكان الذي حمل
القاضي على ذلك مخافة الله عز وجل وخشيته والقي الله على خاطره في ذلك
الوقت قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس

ولا يكتمونه وكانت العقبى الى سلامة وخير وصار للقاضي منزلة عند السلطان
وعلم دينه وصدقه في المقالة وعظم في عينه ثم كان يقول لا تثبتوا كتبنا الا عند
القاضي الذي شتمنا ∴ توفي يوم الجمعة ثامن جمدي الاول سنة ثلث وسبعين
وست مايه ودفن بقاسيون

ومنهم سليمن ابن ابي العز ابن وهيب بن عطاء ابو الربيع
وابو الفضل الحنفي قاضي القضاه صدر الدين صدر مذهبه الفسيح ولسان
فتاويه الفصيح وسليمن وقته الذي نعم وسابق اقرانه الذي قدم صدر الدين
الملو وبدر الايمان المجلو اضيف اليه بمصر مع القضاء قضاء عسكرها
وحضر الحروب فاضاء به وجه عثيرها ثم جذبه الحنين الى البلد وازعجه الانين
شوقا الى الولد فاعيد الى دمشق متوليا للقضاء ومتصديا للمضاء فكان
بها موافاة وفاته ومكان محياه ومماته ∴ تفقه على ابي المحامد محمود الحصيري
حتى برع في المذهب ودرس بالظاهرية بدمشق قبل الفراغ من عمارتها واتياء
قبتها المبتنية الى الهلال باشارتها وكان الملك الظاهر يحبه ويبالغ في
احترامه واذن له في الحكم حيث حل وكان لا يفارقه في غزواته وحج مرافقا له
وكان اماما عالما متبحرا عارفا بدقايق المذهب وغوامضه انتهت اليه رياسة
الحنفية بمصر والشام واقرا الفقه بدمشق مدة ثم توجه الى الديار المصريه
واستوطنها وحكم بها وافتى ودرس وتصدر وقرا عليه جماعة ثم عاد الى الشام
قبل وفاته بيسير واتفق وفاة ابن العديم فتقلد بعده القضاء بالشام وكتب
له تقليد بخط ابي جعفر احمد بن سعيد بن الاثير قال فيه ولولا تشوقه
الى ولده وتشوفه الى بلده لما حكم الا بمراى منا ومسمع ولما نقلنا خاتم تصرفه
من اصبع الى اصبع ∴ ثم ادركته المنية فمات في ليلة الجمعة سادس شعبان

سنة سبع وسبعين وست مايه ولم يخلف بعده مثله في المذهب وكان عنده فضايل
في غير الفقه وولي الحكم بعده الزازي وله شعر ومن شعره المروي ما قاله في
مملوك حسن الصورة من مماليك المعظم ابن العادل زوجه بجارية من جواريه
موصوفة بالحسن

يا صاحبي قفا لي فانظرا عجبا ... اتى به الدهر فينا من عجايبه
البدر اصبح فوق الشمس منزلة ... وما العلو عليها من مراتبه
اضحى يماثلها حسنا وشاركها ... كفوا وسار اليها في مواكبه
فاشكل الفرق لولا وشي نمنمة ... بصدغه واخضرار فوق شاربه

ومنهم عمر بن محمد بن عمر ابو محمد الخبازي المعروف بالشيخ
جلال الدين الخبازي هو الطود وله يواري والبحر لا بل البحر بعض ما يجاريه
رجل من خجند ونهرها يترقرق عليه دمعا بل نهر جيحون لا بل ساير تلك الانهار
جمعا واسفت خوارزم فقامت تلطم بايدي الامواج بحيرتها ويظهر في منقطع
الرمل حيرتها فلما قدم دمشق استحسن على خجند غوطتها الفسيحه وبقعتها
التي كانها مدا وس صفيحه فحل فيها اينقه ورعى في جانبها المخضر مونقه
وهجر ما سواها قايلا

وحاشت من بلاد الصغد نفسي ... وخافت من جبال خوارزم

ورد دمشق وحج سنة تسعين وست مايه ودرس بالعزية البرانيه بدمشق
ودرس ايضا بمسجد خاتون في رجب سنة تسعين وست مايه وبقي مدرسا به
الى ان مات ودرس ايضا بخوارزم واعاد بنظامية بغداد ومن تصانيفه
المغني في اصول الفقه ومصنف في اصول الدين وحواشي على كتاب الهدايه
وكان فقيها زاهدا عابدا متنسكا عارفا بمذهب ابي حنيفة واصحابه ∴ وتوفي

لخمس بقين من ذي الحجة سنة احدي وتسعين وستمايه عن اثنتين وستين سنة

ومنهم محمد بن محمد بن نصر القلانسي ابو الفضل المنعوت حافظ الدين شيخ الاسلام ببلاد الشرق والظاهر في السواد الاعظم ٥ الفرق ادي الفرض شكره وقارب وقارض بوصفه الدر وما راقب اتي البيت الحرام مرة بعد اخري بر شدهم هداه وبرشهم بوبل الغمام فيض نداه وبريهم مناسكهم حيث تحر رقاب الجساد قبل الجزر مداه ولد ببخارا في حدود سنة خمس عشرة وستمايه وتفقه علي شمس الايمة الكردري وقرا عليه الادب وساير العلوم وسمع من جماعة وذكره ابو العلاء الفرضي فقال كان اماما عالما ربانيا زاهدا عابدا مفتيا مدرسا نحريرا فقيها فاضلا محققا مدققا محدثا جامعا لانواع العلوم حايزا لقصب السبق في فنون الفضايل علامة في فني الاصولين مشارا اليه في حل مشكلات الكشاف قدم بغداذ حاجا في الايام المستعصمية فحج وتوجه الي الشام قاصدا الزيارة الخليل ابرهيم عليه افضل الصلاة والسلام والصلاة في بيت المقدس واقام بدمشق مدة ثم حج ثانيا ورجع الي بغداذ وتوجه الي بخارا فدخلها ونشر العلوم بها وكان شيخ الاسلام ببلاد الشرق وكان مكرما للطلبة الواردين من البلاد محسنا اليهم مشفقا علي التلامذة ذا مروءة تامة وسخاء وكرم نفس وكان ذا هيبة في الدين يهابه كل احد وكان علي قاعدة السلف علما وعملا وزهدا وعبادة قد جزا الليل ثلثة اجزاء فالثلث الاول للاستراحة والثلث الثاني للعبادة والثالث لمطالعة الدروس وكان نبيلا لا وجهه نورا لم تر عيناي مثله في حسن سمته وطريقته انتهي كلامه قال وتوفي ببخارا في النصف الثاني من شعبان سنة ثلث وتسعين وستمايه

ومنهم الحسن بن احمد بن الحسن بن انوشروان ابو الفضايل قاضي القضاه حسام الدين الرازي الحنفي فاق فضلا متنوعا وعلما متفرعا ذكره يفيض سلسالا ويفوت الغمام ارسالا بجود ينبت رياح المطالب الكسالي ويدع سجاج البروق كاجنحة البزاة رمت نسالا هذا مع مروة غزيرة وسيرة غزيرة وسريرة ما ترع شبهها السحاب غديرة وفواضل عطت علي الرفاق وفضايل بالقصد وكانها بالاتفاق وعلمان علم اديان يزكو بالانفاق وعلم ابدان لو عالج الزمان افاق وخط ما حلت مثل شعاره المنابر ولا امدت الاحداق نظير سواده في المحابر ولد في ثالث المحرم سنة احدي وثلثين وستمايه باقسرا وكتب الخط الحسن الفايق علي الولي التبريزي وكان مجموع الفضايل يعرف الفقه والنحو والشعر والادب والانشا والطب ولي قضاء ملطيه اكثر من عشرين سنه ثم توجه الي الشام سنة خمس وسبعين وستمايه خوفا من التتار واقام بدمشق ودرس في عدة من مدارسها الكبار ثم باشر قضاء الحنفيه بها في رمضان سنة سبع وسبعين وستمايه فحمدت سيرته وكثر احسانه ومروءته وجرت احكامه علي السداد وامتدت ايامه الي ان تسلطن المنصور لاجين فسار اليه الي الديار المصرية سنة ست وتسعين فاقبل عليه اقبالا وافرا واكرم مورده وعظمه واجب مقامه عنده للمودة كانت بينهما فولاه القضاء بالديار المصرية عوضا عن السروجي وولي ولده جلال الدين قضاء دمشق حتي قتل المنصور لاجين وزالت دولته ثم عاد الي دمشق سنة ثمان وتسعين وستمايه فخرج الناس للقايه فورد دمشق علي ما كان عليه من قضايها والتدريس بها وغير ذلك من المناصب بتقليد جديد وخلعة سلطانية لبسها يوم دخوله قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي في تاريخه حضرت مجلسه فجري شي من الكلام فرايته يرجح طريقة السلف ويصوبها وكان اخر امره انه خرج الي الغزاه وشهد المصاف وكان اخر العهد به وذلك سنة تسع وتسعين وستمايه فقيل اسر وقيل استشهد والله اعلم بما صار اليه

ومنهم اسمعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن تمام القرشي
الدمشقي الفقيه الحنفي ابو الفدا رشيد الدين عرف بابن المعلم نزيل القاهرة
حيث شيدت قصورها وجيدت بسحب الوفود المنهمرة دورها اذ ساقت اليها
سيوف هولاكو من ابقت وضمت اليها من وقت واكتنت في حجرها اوليك الشذاذ
ومنت على الطردا من وراء بغداد فلاذوا منها بركن الحطيم وعادوا من امها
الرؤف بحنو الوالدات على الفطيم ووصلوا اليها اشلاء حتوف مزقتهم القواضب
وفرقتهم النوايب وارقتهم المخاوف فجاوا اليها يقطعون السباسب ؞ مولده
في رجب سنة ثلث وعشرين وستمايه قرا القران بالروايات على علم الدين
السخاوي وقيل برواية ابي عمرو وتفقه على الحصيري وغيره وقرا النحو على ابن مالك
وروى الحديث عن الحسن بن الزبيدي وشيخه السخاوي وابن الصلاح وابن خليل
وانفرد بالرواية عن الحسين بن الزبيدي بالديار المصرية وسمع منه جماعة من
الاعيان ودرس بدمشق وعرض عليه قضاوها فامتنع وكان شيخا جليلا علامة من
اعيان الفضلاء واصحاب الفتوى لديه علوم شتى وعنده زهادة وانقطاع عن الناس
ثم توجه الى الديار المصرية في جفل التتار هو وولده واقاما بها فلازم الشيخ بيته
جوار الجامع الازهر وكان ابو الفتح ابن دقيق العيد يعظمه ويثني على علمه وديانته
وفضله وتوفي بالقاهرة سحر يوم الاربعا خامس رجب سنة اربع عشرة وسبع مايه
وصلي عليه بدمشق صلاة الغايب

ومنهم محمد بن محمد ابن ابي العز ابن صالح ابن ابي العز ابن وهيب اقضى
القضاه الحنفي الخطيب شمس الدين ابو عبد الله ابن ابي البركات حاكم لا يجنح
وعالم لا يخضع ومصرف اقضية لا ترد وعيون المنايا اليه تتطلع ومطرف
اندية بمثل جلابيب الشمس تتوشح وملحف اردية من الفخار جاءت المجرة على اثارها

تتبع يقضي وانف الرمح راغم ويمضي وطرف السيف واجم وغير هذا من المحاسن
التي تملا بالوسامة عين المتوسم والماثر التي قل ان تكون لغيره وبالله اقسم ؞ مولده
ليلة الاثنين سابع عشرين رمضان سنة ثلث وستين وستمايه ببستان قاسيون
تفقه على الشيخ رشيد الدين سعيد وتقي الدين التركي وغيرهما وسمع الحديث وحدث بدمشق
وطريق الحجاز ودرس وخطب وافتى وكان اماما فقيها فاضلا يعرف الفقه بصيرا بالاحكام
والقضايا محمود السيرة في حكمه حكم بدمشق نيابة عن ابن الحريري وخاله صدر الدين علي
الحنفي فحكم بدمشق نيابة مدة عشرين سنه ودرس بالظاهرية والقليجيه والمعظميه
وخطب بجامع الافرم وهو اول خطيب خطب به بحضور بانيه نايب السلطنه والقضاه
والاعيان ولبس الخلعة من القصر الظاهري فشكرت فصاحته وتوفرت الادعيه
لمنشي الجامع وكان فيه ديانه وخير حسن الشكل تام المروءة دمث الاخلاق طيب
المعاشره كثير التودد والاحسان الى اصحابه ومعارفه عنده قوة نفس في الاحكام
وامضايها ويقول على طريقة الفقهاء ونظم عدة مسايل في الفقه ذكر فيها ضوابط
وقيودا وكان اذا صعد المنبر ليخطب تغير لونه وطار لبه واحمرت وجنتاه وخنقته
العبره وعزر مرة رجلا معتبرا من ذوي السيوف لسفه بدا منه في حق ابن
قاضي القضاه صدر الدين وابوه اذ ذاك خاله ومستنيبه فطلبه كافل الممالك تنكز
وانكر عليه ما فعل بغير اذنه وقال له كيف تعزر انت مثل هذا لاجل قرابتك وابن
الذي استنابك فقال له يا امير الناس عندي سوآء في الحق ان كان قرابتي او غير
قرابتي والذي استنابني او غيره واذا وجب على واحد منهم اوله فعلته فقال
كالمستهزي به فغدا بعده اذا وجب عندك علينا شي افعله فقال نعم والله لو وجب
عليك شي بحكم الشرع فعلته وها قد عزلت نفسي وامتنع من الحكم حتى استرضي
واعيد على كره منه له فلما آن وقت الحج عزل نفسه وحج ومات رحمه الله عقيب

قدومه متبرما من الاحكام فملك بكرة يوم الخميس اخر يوم من المحرم سنة اثنتين
وعشرين وسبع مايه بمسجد ابن تغمور ظاهر دمشق ودفن عند اقاربه بالقرب
من المدرسة المعظميه بسفح قاسيون

ومنهم علي ابن ابي القسم بن محمد بن عثمان ابو الحسن قاضي
القضاه صدر الدين البصروي الحنفي ابو حنيفة الثاني والنعمان لمذهبه المذهب
اوالباني بحر يقذف امواجا وسحاب يرسل افواجا واستاذ يا كل مزاهل
الجدل ماجا وسحاب يرسل افواجا وبراع حطم القنا وحط السيوف الي
الدنا وكانت الفتاوي لا تنهض الا اذا راشها مداد قلمه ولا تدحض الا
اذا نصلها ماضي تقدمه والمدارس لا تطير ان لم بجنحه محاريبها والفوايد
لا تسير ما لم تصبحه جلابيبها والعلوم تجلي اذا قال اوكتب وتجلي من
حصباء ياقوت علي ارض من الذهب ∴ مولده في ايام الخوارزميه سنة اثنتين
واربعين وستمايه بقلعة بصري وتفقه علي والده ثم علي القاضي شمس الدين
ابن عطا وتفقه عليه جماعة وسمع الحديث من ابن عبد الدايم واسمعيل ابن الدرجي
وابن عطاء القاضي وابن النحاس وغيرهم وخرج له جزء حديث عن شيوخه وحدث
به وكان من اعيان الفقهاء الحنفيه درس قديما سنة اربع وستين وستمايه
واذن له في الافتاء في ذلك الوقت وكانت له بنجم شهاب الدين سابق صحبه
وحج معه عديله في المحمل ولم يزل يترقي في المدارس الكبار الي ان ولي الحكم
بدمشق علي مذهبه وحظي بصحبه رجل قدمته واطلقته الايام واخدمته وبقي
قاضي القضاه اكثر من عشرين سنه وتفرد في اخر عمره بالتقدم علي جميع اهل
مذهبه لكثرة تحصيله وجودة ذهنه وغزارة استحضاره واذعن له الناس وانتهت
اليه رياسة العلم وكان نزها نظيف العرض عفيفا مستغنيا بماله ومناصبه

وكان له ثروة واملاك وقاربت تركته الف الف درهم واوصي منها بثلثها صدقه
وكان حفظة لكثير من الحكايات والاشعار حسن المناظرة كثير الفوايد ولي
قضاء العساكر الشاميه سنة تسع وسبع مايه علي قاعدة من تقدمه من قضاة
العساكر ∴ توفي ببستانه لسطري ظاهر دمشق يوم الاربعا ثالث شعبان سنة
سبع وعشرين وسبع مايه ودفن بسفح قاسيون بالقرب من المعظميه

ومنهم محمد بن عثمان ابن ابي الحسن ابن عبد الوهاب الانصاري
الدمشقي ابو عبد الله قاضي القضاه بمصر والشام شمس الدين ابن الحريري حافظ كتاب
الهدايه وحامل هذه الرايه قوي الايلين قويم لا يسل له طعين معتصم كالسيف في
اليمين متمم طريق السلف لولا افراط التكليف المبين ماش علي الجدد لو لم تنكب
به خيلاوه ويخرج به عن الحد استعلاوه كان متوعر الطريق متعذر التحقيق
منفجر الالفاظ يخرجها بطلاقة كانت به خوانق وكما يحكي عنه انه كان في بيته
بين اهله وجواريه اذ تطرح المونه وتذاع الاسرار المصونه لا يزداد حيث يتوسع
مثله الا تضييقا وحيث ترق حاشية الا تعميقا ثقالة جلت عليها جلته
وابغضت لاجلها جملته حتي قيل انه اتخذ له نقيبة في بيته اذا دخل اليه قالت
قدامه بسم الله مولانا وسيدنا قاضي القضاه ومن هذا وامثاله وانه كان يقول
لزوجته اكرمي النقيبه فانها تكرم بعلك الي غير هذا مما يثقل علي القلوب سماعه
ويعرف انه من الجبل الاصم قد نحت طباعه مما يضحك منه من سمع ويعلم منه انه
ممن تبدد عرضه ثم ما جمع ∴ مولده بدمشق في عاشر صفر سنة ثلث وخمسين
وستمايه وتفقه علي الشيخين عماد الدين ابن الشماع ورشيد الدين سعيد وتفقه
عليه جماعة من اعيان العلماء الدمشقيين وسمع الحديث وخرج له جزء عن عشرة
من شيوخه وحدث به بدمشق والقاهره وشرح محفوظه في عدة مجلدات وله تعاليق

ومسودات درس بدمشق بالمدارس الكبار وتولي قضاء القضاه بها ثم صرف
فتثبت لذلك والتزم ان لا يتعرض لطلب هذا الامر وانه كان في تعب ثم اعيد الي
القضاء وبعض مدارسه التي كانت بيده ثم اعيدت اليه المدرسة التي كانت خلقت
عنه من مدارس درس بها نحو شهر ونصف ثم صرف عنها ثم طلب الي الديار المصرية
لقضاء القضاه بها فتوجه اليها ودخلها في شهر ربيع الاخر وكان عنده قوة نفس في
الاحكام وامضايها مراعيا للمذهب لا يراعي زيدا ولا عمرا ولا يالو ذما ولا شكرا ولما
كان بالديار المصرية اتفق ان الامير الكبير بكتمر الساقي كان له اصطبل بارض
بركة الفيل والارض لورثة الملك الظاهر بيبرس وقف عليهم فتعرض اليهم وقيل
ان الارض زادت معهم فارسل وكيل بيت المال ونواب الحكم والعدول لقياس الارض
فلم تزد شيا فارسلوا مرة اخري فقيل انها زادت قطعة فقالوا اعطونا ارض الاصطبل
عوضا عن هذه الزيادة فقيل الارض وقف وما يمكن التعويض ولكن يشهد علينا
بقبض اجرة الارض مهما اردتم من السنين فقيل للسلطان ان مذهب ابي حنيفة
يجوز فيه الاستبدال بالوقف وطلب منه ذلك فامتنع وقال هذه رواية عن ابي يوسف
وانا لا اعمل بها فولي السلطان بمصر سراج الدين عمر صهر السروجي حاكما وعزل
ابن الحريري عن الحكم بمصر دون القاهرة واجاب سراج الدين الي الحكم بالاستبدال
واختاره وبقي علي قضاء مصر مدة يسيرة ثم مات قبل ان يحكم بالاستبدال واعيد
ابن الحريري فعظمت مكانته عند السلطان بهذه الواقعة وخلع عليه ليلة عيد الفطر
وكان ذلك سنة سبع عشرة وسبع مايه ولم يزل متولي الحكم الي ان توفي يوم السبت
خامس جمدي الاخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مايه وكان له جنازة عظيمه وكان حسن
السيرة في منصب الحكم له همة ونهضه وعليه مهابة وله وقع في قلوب الاكابر والاصاغر
والخاص والعام وله قصد في استخلاص الحقوق وفصل القضايا وهو موصوف بالطريقة

الحميدة والنزاهه والديانه نقي العرض لا يقبل لاحد هدية ولا رشوة القريب والبعيد
عنده سواء في الحق وكان ملازما للاشتغال واعادة محفوظاته وله اوراد في ذلك
وكان فيه مودة لاصحابه ومعارفه كثير النفع لهم

ومنهم ابرهيم بن علي بن احمد بن علي بن يوسف المعروف بابن عبد الحق
ابو اسحق قاضي القضاه برهان الدين حق ظهر به برهانه وصدق تجلي به زمانه ابرهيم
حلم وحل الناس ضيفانه ونوح علم وبحر الفقه طوفانه وبقية في مذهب الامام ابي حنيفه
رضي الله عنه بقي فيه وحده امه وتفرد وقد درجت الايمه فقام للدين برهانا وقام
للحق فقعد الباطل مهانا ولي قضاء القضاه بالديار المصرية بسيرة ملات صدور الايمان
سرورا وانبثت في مقل النجوم نورا وكان يحضر مجلس السلطان يصدع بما يومر
ويتكلم ورفاقه جلوس كانه عليهم مومر ليس الا في فقه ينقله في موضعه وعلم يتحقق
لا نفعه ثم عمل عليه عند السلطان من عمل علي الناس عنده حتي اخلي منه الاوطان
واتي دمشق وصار بها صدر ناديها وبدر واديها وغيث صنايعها وجميل اياديها
تفقه علي الشيخ تقي الدين ابي الربيع سليمن التركي الزاهد وسمع الحديث من ابن النجار
وطايفة وخرج له مشيخة في الحديث وحدث بها بالقاهرة ودرس بدمشق بالمدرسة
الشبلية وبالمدرسة الفرخشاهية ظاهر دمشق واعاد في كبار المدارس وتصدر
للافادة بالجامع الاموي ورجع اليه في مهمات الفتاوي والوقايع ولم يكن في وقته افقه منه
في مذهبه ولا اتم بحثا ولا ادق نظرا ولا اعذب لسانا عارف بغوامض المذهب ومشكلاته
جيد النظر شديد الفكر في الفقه وله تصرف في جملة من علوم الشريعة ويحب الفضلاء
من ارباب المذاهب وطلبة الحديث وبرز المرسوم السلطاني الملكي الناصري في سنة
ثمان وعشرين وسبع مايه بطلبه من دمشق الي الديار المصرية قاضيا بعد ابن الحريري
فقابله بالامتثال وتوجه اليها علي خيل البريد وفوض اليه قضاء القضاه وتدريس المدارس

الكبار وخلع عليه واكرم مورده ورسم له ببغلة سلطانيه وركب الاعيان والحجاب
وبعض ارباب الدولة في خدمته وقري تقليده وحكم والقي الدروس البديعه واقام هناك
نحوا من عشر سنين ثم صرف عن القضاء وعاد الي دمشق سنة ثمان وثلثين وسبع مايه
واقام بها مدة ليس له راتب ولا معلوم وهو قانع صابر ثم ولي تدريس المدرسة العذراوية
بدمشق ولم تزل الفضلاء يترددون اليه ويستفيدون منه ويرجعون الي رايه وله
المصنفات المفيدة وله مسايل مفردة عديدة ∴ توفي ليلة الاربعاء سابع عشري ذي الحجة
سنة اربع واربعين وسبع مايه

ومنهم احمد بن الحسن بن احمد بن الحسن ابن انوشروان الرازي الحنفي
ابو المفاخر قاضي القضاه جلال الدين نزيل دمشق طالما تكلم والناس سكوت وامتد
به البقاء وحياة العلم انه لا يموت مع كرم منهل اليدين وسماح منهلل الفرقدين
وعلم وعمل وسوي ذين ومروة كانما يتقاضي منها يدين واريحية يهتز طربها ويلذ
اربها ويعتز بها فريقا الامم عجمها وعربها يوفي حقوق الناس بسعة بذل بسلفهم
ويحذهم بلسان حال فعله ثم لا يخلفهم ويبسط كفا ما تعود في السماح قبضها
ويد الا تحت يد الثريا في عرق البرق نبضها ∴ مولده بمدينة انكوريا سنة
احدي وخمسين تفقه علي والده وغيره وقرا القران الكريم والتفسير والنحو والتصريف
والخلاف والجدل واصولي الدين والفقه والفرايض وسمع الحديث وحدث بدمشق
وولي القضاء بخرتبرت واعمالها وعمره سبع عشره سنه ثم قدم دمشق فناب عن
والده في الحكم سنة ست وتسعين وست مايه ثم وصل تقليده بالاستقلال بالحكم سنة
سبع وتسعين واستقر والده بالديار المصرية ودرس بالمدارس الكبار بدمشق وحج
ثلث مرات وهو كثير المروة لقصاده حسن المعاشرة طيب الاخلاق سخي النفس
جدا محبوب عند الفرق كلها متودد الي الناس لا يرد سايلا ولا يخيب قاصدا يحب

اهل العلم ويصلهم كل وقت ويبرهم وله نيف وسبعين سنة يدرس بدمشق وغالب مفتيي
مذهبه من الحكام والمدرسين والمفتيين كانوا فقهاء عنده وقل منهم من درس وافتي
بغير خطه وهو محترم عند الدولة مسموع الكلمه مقبول القول لا يصدر عنه الا الخير
ولا يوثر عنه الا الجميل ولما قدم السلطان من الكرك دمشق في سلطنته الاخيره
سنة تسع وسبع مايه تردد الرازي اليه ونفق عليه وحضرته وقد جلس هو والقضاه
الي جانب السلطان وقت صلاة الجمعة بالميدان الصغير فقرا القاري عشرا فسال
السلطان عن معني اية منه فلم يحر القضاه جوابا فقال هو للسلطان بالتركي هولاء حمير
ما فيهم من يعرف التفسير ثم اخذ يفسرها له بالتركي فقال له لم لا تقول بالعربي فقال
لان هولاء ما هم اهل لان اعلمهم وانما الخطيب يعرف عن القزويني وسيتفرج مولانا
السلطان علي وعليه ويظهر له ذلك الوقت جهل هولاء القضاه فضحك السلطان وجميع
من حضر وفسر ايدمر الدوادار لوالدي قوله وانا اسمع ثم جاء الخطيب فخطب وصلي
فلما فرغ طلبه السلطان واعاد السوال فتكلم هو والرازي وتناظرا والقضاه
سكوت قد سقطوا من الاعين كلها وكان الاستظهار للرازي وحكي
لي اعجوبة جرت له قال كان والدي قد سفرني لاحضار اهله من الشرق فلما جزت
البيره الجانا المطر الي ان نمنا في مغارة وكنت في جماعة فبينا انا نايم اذا بشي يوقظني
فانتبهت فاذا انا بامراة وسط من النساء لها عين واحدة مشقوقة بالطول فارتعت
فقالت ما عليك انما اتيتك لتتزوج ابنة لي كالقمر فقلت لخوفي منها علي خيرة الله ثم
نظرت فاذا برجال قد اقبلوا فنظرتهم فاذا هم كهيئة الامراة التي اتتني عيونهم كلها
مشققه بالطول في هيئة قاض وشهود فخطب القاضي وعقد فقبلت ثم نهضوا وعادت
الامراة ومعها جارية حسناء الا ان عينها مثل عين امها وتركتها عندي وانصرفت
فزاد خوفي واستيحاشي وبقيت ارمي من كان معي بالحجارة لينتبهوا فما انتبه والله ولا

واحد منهم فاقبلت على الدعاء والتضرع ثم آن الرحيل فرحلنا وتلك الشابة لا
تفارقني فدمت على هذا ثلثة ايام وانا مقبل على الدعاء والتضرع فلما كان في اليوم
الرابع اتتني الامراة وقالت كان هذه الشابة ما اعجبتك وكانك تحتا رفراقها فقلت
إي والله قالت فطلقها فطلقتها فانصرفنا ثم لم ارهما فسالته ان كان افضى اليها
فزعم ان لا **وهذا** اخر من ذكرته من الفقهاء الحنفية بالجانب
الشرقي فامّا من بالجانب الغربي من الحنفية فلم ار من اهل الذكر منهم
بالجانب الغربي المحض الا رجلا واحدا كدت اكون له لعدم عرفاني جاحدا هذا
وقد نقبت في البلاد وممت لهذا الامر ملقيا عن كتفي النجاد
وهو محمد بن عبد الله بن عبدون ابن ابي ثور الرعيني قاضي افريقيه
المعروف بابن عبدون الحنفي مولى رعين ومرقي كل عين انبت في ارض المغرب
شقايق النعمان وصرح بذكر ابي حنيفة في اذنها في ذلك الزمان حتى ملا المذهب
الكوفة تلك المسالك وملك ابو حنيفة الغرب كانه مالك وتولى القضاء بافريقيه
فكانت لا تعدل بعلمه احدا ولا تقول لغير حكمه دايم النفوذ ابدا قال
ابن يونس حدث عن سليمن بن عمران الافريقي وغيره حدثنا عنه غير واحد وحدثنا
ابو جعفر الطحاوي عنه بما كتب اليه اجازة وذكره ابو بكر عبد الله بن محمد في رياض
النفوس في علماء افريقيه وقال كان عالما بمذهب العراقيين يتفقه لابي حنيفة ويحتج
له قال وله تواليف كثيرة وكان اكثر علمه الشروط وله في ذلك تواليف حسنه
وكان حسن الغريب والنحو وقلمه خير من لسانه وقال ابو عبد الله محمد بن
عبد الله الربعي عن ابيه قال ولي الامير ابرهيم بن احمد محمد بن عبدون قضاء القيروان
وجلس في جامعها سنة خمس وسبعين ومايتين وكان الامير محبا له معجبا به وعزل
عن القضاء في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومايتين وقال ابو علي في المغرب

انثنى محمد بن عبدون في الدجة ورفيع الذكر الى ما فاق به على اقرانه وسبق
نظراه واصبح نسيج وحده وواحد عصره معرفة وفقها وادبا ومنظرا وجمالا
وابهة ونزاهة وصيانة آل به عظمها الى ان وصف بالكبر والعجب في فعله وخلقه
وكان يضرب به المثل يقال اذا اغلق ابن عبدون بابه لم يحتج الى غيره لعلمه
بالفقه واللغة والشعر والرسايل قال وكان يتفقه بفقه ابي حنيفه ∴
وتوفي بافريقيه سنة ثلثمايه وقيل سنة تسع وتسعين ومايتين
وهذا بالمغرب اول القوم وآخرهم وبعضهم وسايرهم كانما كان في ذلك الجانب
بيضة الديك او الفار من مضايقة الشريك فامّا من كان منهم بمصر
فجماعات في كل حين تزين بهم الدهر وشرف الزمان
فمنهم ابرهيم بن الجراح بن صبيح التميمي ثم المازني القاضي الحنفي قاضي
مصر مولى بني تميم ثم لبني مازن من اهل مرو الروذ والقاعد في الصدور وسواه
منبوذ والزناد الذي من سنا قبسه ماخوذ خراساني غلبت مصر عليه بلده
البعيد وجذبت منه الذهب جذب المغناطيس للحديد واستهدت ديباجة
الخسرواني الخراساني واستشفت زجاجة النيراني النوراني واستهرت
في جانبها الغربي نيره الذي افتر عنه ثغر الصباح ونهاره الذي تجر بها لما انفجر
فجره من الافق الشرقي وساح ∴ تفقه على ابي يوسف وهو من اصحابه خاصة وكتب
عنه الامالي وكان ابو يوسف يقول له تاخذ المسئلة من عندنا طرية وتردها متحيله
وسمع الحديث وترك مصر فولي القضاء بها سنة خمس ومايتين وعزل نفسه سنة
احدى عشرة ومايتين قال يونس بن عبد الاعلى كان ذا همة عالما وكان
الذي كتب الشروط لعبيد الله بن السري فاخذ الامان له ولجميع جنده ولم ياخذ لنفسه
امانا ففعل ابن طاهر به الافاعيل وقال عبد الرحمن ابن عبد الحكم لم يكن ابرهيم

ابن الجراح بالمذموم في اوله ولا بنه حتي قدم عليه ابنه من العراق فتغير حاله
وفسدت احكامه ∴ توفي بمصر في المحرم سنة سبع عشرة ومايتين وقيل
مات بالرملة

ومنهم القاضي بكار بن قتيبة ابن ابي برذعة ابن عبيد الله ابن ابي بكرة
نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفي والحرث بن كلدة صاحب رسول الله صلي الله
عليه وسلم وبكار قاضي الديار المصرية البر الرفيع والعز المنيع والورع المشهور
شهرة الاعلام المشهود به شهادة الاسلام الراسخ علما الراسي ثباتا وقد حبس
ظلما ابت له عفته ان يرنقها بتكدير وامانته ان يضيعها بالوف الدنانير
وكان نعلم الحمد لله هكذا قدر ايذانا بانه اكره علي القضاء اذ ولي وانه كان
يكره منه ما بلي كفرت به ثقيف سية مبيرها وغطت سوءة شريرها
وعفت اولها واخيرها ولاهل مصر فيه حسن معتقد وفرط غلو لا ينتقد
وصدق فراسة اخمدت جمر البرق وقد وقد كان حنفي المذهب ∴ تولي القضاء بمصر
وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور وله مع احمد بن طولون
صاحب مصر وقايع مذكورة وكان يدفع له في كل سنة الف دينار خارجا عن المقرر
له فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه الي خلع الموفق بن المتوكل وهو والد
المعتضد من ولاية العهد امتنع القاضي بكار من ذلك والقضية مشهورة فاعتقله
ابن طولون وطالبه بجملة المبلغ الذي كان ياخذه في كل سنة فحمله اليه بختمه فكان
ثمانية عشر كيسا فاستحيا احمد منه وكان يظن انه اخرجها وانه يعجز عن القيام
بها فلهذا طالبه ولما اعتقله امره ان يسلم القضاء الي محمد بن شاذان الجوهري
ففعل وجعله كالخليفة له وبقي مسجونا مدة سنين وكان يحدث في السجن من
طاق فيه لان اصحاب الحديث شكوا الي ابن طولون انقطاع سماع الحديث من

بكار وسألوه الاذن له في الحديث ففعل ∴ توفي قاضيا يوم الخميس لست بقين
من ذي الحجة سنة سبعين ومايتين وقبره معروف باستجابة الدعاء

ومنهم احمد بن محمد بن عبد الله بن محمد عرف بابن ابي العوام السعدي
الحنفي قاضي مصر وبها الاسماعيلية لا يحكم الا بارآيها ولا تزداد اضاليلها باللوم
الا من اغرآبها فقضي بالحق وعدل ومضي علي سننه وما لواه الجدل ولم يظلم في
وجهه سواد تلك النحل المضلة ولا سدت عليه تلك الشبه طرق الادلة ولا ربطته
تلك البدع علي ما نيا في الملة وكذلك كان شانهم في الدين لا يكرهون وعلي الباطل
لا ينيمون ولكنهم له ينبهون لا يقلبون الصور ولكنهم يشوهون ولا يغلطون
الحقايق ولكنهم يشبهون ولا يحشون الخالص بغشهم ولكنهم يموهون ∴ مولده
بمصر سنة تسع واربعين وثلثمايه له بيت لهم يتفقهون علي راي ابي حنيفة
وكان من صباه من اهل الصيانة طالبا للحديث والفقه قال اسمعيل بن
علي الحسيني في اخبار القضاة بمصر حدثني ابو حفص الفرايضي انه دخل الي مجلس القاضي
ابي الطاهر هو وابو يوسف يعقوب بن اسحق فقال للحكمي الوراق يا ابا حفص
تري هذين الحدثين سوف يكون لهما بمصر شان فما مضت الايام والليالي حتي ولي
ابو العباس القضاء وصار ابو يوسف شيخ الشيوخ ولما استخلفه ابو الطاهر علي
الفرض كان الخصوم يخرجون من عنده وهم يشكرون تانيه ولطفه وحصل له
في قلوب الناس الموضع الجليل ولم يعلم عليه الا الخير والصيانة والديانة فلما قتل ملك
ابن سعيد بقي الناس بلا قاض من ربيع الاخر الي شعبان سنة خمس واربع مايه وتطلع
كل انسان الي القضاء غير انهم جزعون بما جري علي من تقدمهم وقام في نفر ابي يعقوب
ابن اسحق وكذلك سليمن بن رستم وما يجري مجراهما فلزموا موكب الحاكم وابو العباس
ابن ابي العوام هذا لازم داره ينظر في الفرض ويشهد ولم يسال الحاكم ان يكون في

جملة من يدخل اليه وكان بمصر رجل مكفوف يعرف بابي الفضل جعفر
الضرير من اهل العلم والنحو واللغة فقدمه الحاكم وخلع عليه واقطعه ولقبه بعالم
العلماء وساله عن الناس واحدا واحدا من يصلح منهم وهو اعلم بما يسال عنه وانما اراد
ان ينظر مبلغ عقله فذكر ابو العباس ابن ابي العوام وغيره فوقع الاختيار على ابي العباس
فقيل للحاكم يا امير المومنين ما هو على مذهبك ولا من مذهب من تقدم من سلفك
غير انه نفسه مامون مصري عارف بالقضاء عارف بالناس وما في مصر من يصلح
لهذا الامر غيره وقام ابو الفضل الضرير من عند الحاكم وقد احكم له الامر فامر الحاكم
ان يكتب له سجل وشرط عليه فيه انه اذا جلس في مجلس الحكم يكون معه اربعة من فقهاء
الحاكم كيلا يحكم الا على المذهب وقرئ عهده على المنبر بالجامع العتيق وزكاه فيه باحسن
تزكية وخلع عليه وحمله على مركب حسن وجعل له النظر في القاهرة ومصر والحرمين
وساير الاعمال ما خلا فلسطين فان الحاكم ولاها ابا طالب المعروف بابن بنت الزندي
ولم يجعل لابي العباس عليه نظرا وكان هذا يجل نفسه عن قضاء مصر واعمالها غير
ان هيبة الحاكم حملته امتثال امره وجعل الحاكم لابي العباس ابن ابي العوام هذا
النظر في العيار في دار الضرب والموازين والمواريث والنظر في احباس المساجد
والجوامع فوليها ابو العباس وهو موسر من نفسه وعلم انه مقتول لا محالة وانما
حب الدنيا غلب عليه ومنع الله يد الحاكم ان تمتد اليه بسوء لما بقي له من الاجل
وكان يركب ايام الجمع مع الحاكم ويطلع يوم السبت اليه يعرفه ما يجري من امر
الاحكام والشهود والامناء وغيرهم وما يتعلق بالحكم ويوم الاحد يجلس في الجامع
العتيق ويوم الثلثا يجلس في القاهرة في الجامع الازهر يحكم بين اهلها ويوم الاربعا
سال الحاكم ان يجعله له راحة فاشترى دارا بالقرافة ينقطع فيها يوم الاربعا من
بكرة النهار الى المغرب يتعبد فيها ويخلو بمن يريد من الشهود ومن غيرهم ويجلس

يوم الخميس ايضا في الجامع العتيق ولم يزل ناظرا في الاحكام الى ان مات في ربيع الاول
سنة ثمان عشرة واربع مايه

ومنهم احمد بن ابرهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي ابو العباس
قاضي قضاه الديار المصرية شمس الدين ممن مهد منصب القضاء لاجل حلوله
واخليت افيدة المدارس لحط حموله والنظم بحر العلم بين جنبيه واضطرم
فريد الذكاء بين عزيمه وعز مكانا وعد من خيرانه شهب السماء شانا وعلا
قدرا شخصت الحدق اليه وسما شمسا فلم تتجاسر العيون عليه كم نودي باسمه فجعل
داعي الفلاح وعودي بحكمه فالقى الزمان السلاح وذكر منه السروجي صاحب
المقامات ولكنها مقامات اهل الصلاح ووقفت له في الهيئة على ما لم الطنه لغيره
تهيبا ولا لسواه قسمت السماء العليا ممسوحة بشبر الثريا ورايت غير
رجال من اهل مصر ادركوه تعبق بذكره افواههم وتعبت في بحار شكره سوابح
النجوم وهم واشباههم ∴ مولده سنة تسع وثلثين وستمايه تفقه على ابي الطاهر
الحلبي وصدر الدين سليمن ابن ابي العز وقيل انه كان يتفقه اولا على مذهب الامام
احمد وقرا طرفا من المقنع ثم خوطب في الاشتغال على مذهب ابي حنيفة فشكى الفقر
وعدم كتاب يشتغل فيه فدفع اليه كتاب البداية فحفظها واجتهد في طلب العلم
الى ان ولي قضاء الديار المصرية وصنف وشرح شرحا كبيرا للهداية ولم يتمه وكان
له مشاركة تامة في علم التفسير والنحو مع مكارم اخلاق وطلاقة وجه وبسط
نفس ومروءة تامة ورياسة وجلالة وحسن معاشرة صحب الفقراء وكان موثرا
لهم مكرما للغرباء محبا للعلم واهله يذب عن طايفته ويحسن اليهم بجاهه وماله
وروي انه لما حج سال الله في الملتزم حاجة في نفسه لم يطلع عليها احدا من
الناس فجاءه شخص فقير بعد مدة فخلا به وقال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم

وامرني ان اجي اليك واقول بامارة ما سالت الله تعالي في الملتزم كيت وكيت
اعطني ما معك كله لانفقه في مصالح ذكرها لي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال هذه امارة صحيحة ثم اخرج له جميع ما كان عنده وكان نحو مايه دينار والف
درهم وقال خذها فوالله ما اطلع علي هذا احد الي الآن ولو كان عندي اكثر
من ذلك لدفعته اليك وقيل انه شرب من ماء زمزم لقضاء مصر كما ورد
في الحديث ماء زمزم لما شرب له فرزقه بتوفيق الله ومشيته ومما يوثر
عنه انه كان له درج يكتب فيه جميع ما عليه من الدين فاتفق انه لما توفي
اوفوا ما عليه بذلك الدرج فجاء شخص فقال لي عليه مايتا درهم فنظروا في الدرج
وفتشوه فلم يجدوا شيا فقالوا له ما كتب لك شيا فراه بعض الفقهاء في النوم
وهو يقول اعطوا فلانا مايتي درهم فان له علي ذلك فقال له لم لا كتبتها في
الدرج فقال هي مكتوبة بخط دقيق في الدرج فاصبح وطلب الدرج وفتشوه
فوجدوه كما قال فاعطوا صاحب الدين المايتين ∴ وتوفي يوم الخميس ثاني عشر
رجب سنة عشر وسبع مايه ودفن بالقرافة الصغري

ومنهم الامير علا الدين علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي الحنفي
رجل اخمله عند السلطان فضله واخره اذلم يكن يابي مثله ما شد في زمانه
علي نظيره حمايله سيف ولا سحبت بشبهه حمية طيف علما متقنا وحلما متيقنا
وفضلا عزيزا امدده مزيزا منه مميزا ما نطق به لسانه واثرت يده مغيرا به
زمانه علي كل عصر يفني بحوه ولا وبلي تحت غلايله حسده الا انه وسم بتشيع
كان يسيره ووصم بتتبع كاد يفضحه لكنه سلم لما اعتزل وقنع بكفاف قوت
له واختزل ∴ مولده سنة خمس وسبعين وست مايه بالقاهرة تفقه علي السروجي
وشرح الهدايه علي ابن المعلم وقرا الاصولين والمعاني والبيان والبديع والمنطق علي

الشيخ علا الدين القونوي الشافعي وقرا العربية علي الشيخ ابي حيان وسمع الحديث
وورد دمشق مع العسكر مرتين فسمع بها الحديث وشرح الجامع الكبير للاخلاطي
شرحا جيدا في اربع مجلدات وصنف عدة مصنفات وشهد له بصلاحية الافتي
والاشغال والتدريس واعتزل عن الناس واختار الخمول وترك الشهرة ولازم بيته
واشتغل بالجمع والتصنيف وهو باق علي زي الاجناد ولباس الاتراك لم يغير زيه الي
زي العلماء ولا تغير عن اقطاع الجندية ∴ توفي سنة تسع وثلثين وسبع مايه بالقاهره

ومنهم عثمان بن علي بن محجن بن يونس ابو عمرو فخر الدين الصوفي
ويعرف بالبارعي الزيلعي الحنفي كان من اعيان الفقهاء المرجوع اليهم والمعول
ما لديهم يعول علي ما افتي ويجاذب في المسلة حتي لا ينكثر برياش ولا
ينكثر بخشاش لا يقنع من سحب العلم برشاش ولا يتهافت علي الفتوي
تهافت الفراش لما وقر في صدر العصر من مكانه وما اقر له به كل عدو من
فضل دين وامانه ولانه كان رحمه الله حيث محمد ويعرف انه في كل خلق احمد ∴
ورد القاهرة سنة خمس وسبع مايه واشتغل بالفقه علي مذهب ابي حنيفة
وبرع فيه ودرس بالعاشورية والدوادارية والتربة المسعودية بالقرافة
الصغري وكان فقيها فاضلا يعرف الفقه والنحو والفرايض وتصدر للافادة
والافتاء وكان قضاة عصره في مذهبه يميلون اليه ويسمعون كلامه وكان
اسمر اللون شديد السمرة

ومنهم علي بن عثمان بن ابرهيم بن مصطفي الماردیني الحنفي
ابو الحسن هو آخر من بقي وفاخر الدر بما انتقي علما وعملا هما الغاية التي
لا مزيد عليها والنهاية التي يحز المجتهد ولا يصل اليها ترى الفضل لديه انواعا
وبيديه يتقسم افتراقا واجتماعا ونوع الفقه علي مذهب ابي حنيفة اليوم بمصر

ابن عروة قدم المهدي فبعث الى مالك بن انس بالفي دينار او قال بثلثة
الاف دينار ثم اتاه الربيع فقال ان امير المومنين يحب ان تعادله الى مدينة
السلام فقال مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
والمال عندي على حاله وقال قتيبة كنا اذا اتينا مالكا خرج الينا
متزينا مكحلا متطيبا قد لبس من احسن ثيابه فتصدر ودعا بالمراوح فاعطى كل انسان
مروحة وكان يجلس في منزله ضجاع له ونمارق مطروحة يمنة ويسرة لمن ياتيه
وكان مجلسه مجلس وقار وحلم وعلم وكان رجلا مهيبا نبيلا ليس في مجلسه شيء
من المراء واللغط ولا رفع الصوت وكان الغرباء يسالونه عن الحديث فلا يجيب
الا الحديث بعد الحديث وربما اذن لبعضهم يقرا عليه وكان له كاتب قد نسخ كتبه
يقال له حبيب يقرا للجماعة فليس احد ممن يحضره يدنوا ولا ينظر في كتابه
ولا يستفهم هيبة لمالك واجلالا وكان اذا اخطا حبيب فتح عليه مالك قال
عبد الرزاق في حديث يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل في طلاب العلم فلا
يجدون عالما اعلم من عالم المدينة فكنا نرى انه مالك وقال عبد الرحمن
ابن مهدي مالك افقه من الحكم وحماد وقال الشافعي لولا مالك وابن
عيينة لذهب علم الحجاز وقال ابن وهب لولا مالك والليث لضللنا
وقال الشافعي ما في الارض كتاب في العلم اكثر صوابا من موطا
مالك وقال اشهب كان مالك اذا اعتم جعل منها تحت ذقنه
ويسدل طرفها بين كتفيه وقال مصعب كان مالك يلبس الثياب
العدنية الجياد ويتطيب وقال القعنبي كنا عند ابن عيينة فبلغه
نعي مالك فحزن وقال ما ترك على ظهر الارض مثله وحكى عبد الله الباجي
في سبب ظهور مالك ان امراة غسلت امراة ماتت فلما غسلت فرجها ضربت

الغاسلة بيدها على فرج الميتة وقالت يا فرج ما كان ازناك فلصقت يدها بالفرج
فسيل علماء المدينة في ذلك ومالك صفه طالب للعلم فاختلف علماء المدينة في
ذلك بين تغليب حرمة الميت على الحي او حرمة الحي على الميت فمن قايل يقطع يدها
ومن قايل بقطع الفرج ومالك حاضر فقال ما ارى ان سمعتم الان تجلد الغاسلة
جلد الفرية فلعله تخلى عنها قال فجلدت ثمانين فانطلقت يدها فمن هناك عرف
علماء المدينة فضل مالك في العلم ❁ ولد مالك سنة خمس وتسعين للهجرة وحمل به ثلث
سنين وقيل سنة تسعين وتردد السمعاني فقال ولد سنة ثلث او اربع وتسعين
والله اعلم وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومايه وعاش اربعا وثمانين
سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة وقال ابن
الفرات سنة تسع وسبعين وقيل سنة ثمان وسبعين والله اعلم وكانت وفاته
بالمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفا ودفن بالبقيع وقال
القعنبي دخلت على مالك بن انس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست
فرايته يبكي فقلت يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب وما
لي لا ابكي ومن احق بالبكاء مني والله لوددت اني ضربت لكل مسئلة
افتيت فيها برايي سوطا سوطا وقد كانت لي السعة فيما سبقت اليه وليتني
لم افت بالراي او كما قال ❁ وكان مالك شديد البياض الى الشقرة طويلا
عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب
ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه

ومن اصحابه عبد الرحمن بن القسم بن خالد بن جنادة الفقيه
المالكي علمه يثري العدم وعمله يجلي العتم وفضله ذو المطلب العمم
صنف كتابا لا يتعداه من راجع ولا يتعصاه معنى الاطاوع بفقه الليث

ابن عروة قدم المهدي فبعث الي مالك بن انس بالفي دينار او قال بثلثة
آلاف دينار ثم اتاه الربيع فقال ان امير المومنين يحب ان تعادله الي مدينة
السلام فقال مالك قال النبي صلي الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
والمال عندي علي حاله وقال قتيبة كنا اذا اتينا مالكا خرج الينا
متزينا مكحلا متطيبا قد لبس من احسن ثيابه فتصدر ودعا بالمراوح فاعطي كل انسان
مروحة وكان يجلس في منزله ضجاع له ونمارق مطروحة يمنة ويسرة لمن ياتيه
وكان مجلسه مجلس وقار وحلم وعلم وكان رجلا مهيبا نبيلا ليس في مجلسه شي
من المرآء واللغط ولا رفع الصوت وكان الغربآء يسالونه عن الحديث فلا يجيب
الا الحديث بعد الحديث وربما اذن لبعضهم يقرا عليه وكان له كاتب قد نسخ كتبه
يقال له حبيب يقرا للجماعة فليس احد ممن يحضره يدنوا ولا ينظر في كتابه
ولا يستفهم هيبة لمالك واجلالا وكان اذا اخطا حبيب فتح عليه مالك قال
عبد الرزاق في حديث يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل في طلاب العلم فلا
يجدون عالما اعلم من عالم المدينة فكنا نري انه مالك وقال عبد الرحمن
ابن مهدي مالك افقه من الحكم وحماد وقال الشافعي لولا مالك وابن
عيينة لذهب علم الحجاز وقال ابن وهب لولا مالك والليث لضللنا
وقال الشافعي ما في الارض كتاب في العلم اكثر صوابا من موطا
مالك وقال اشهب كان مالك اذا اعتم جعل منها تحت ذقنه
ويسدل طرفها بين كتفيه وقال مصعب كان مالك يلبس الثياب
العدنية الجياد ويتطيب وقال القعنبي كنا عند ابن عيينة فبلغه
نعي مالك فحزن وقال ما ترك علي ظهر الارض مثله وحكي عبد الله الباجي
في سبب ظهور مالك ان امراة غسلت امراة ماتت فلما غسلت فرجها ضربت

الغاسلة بيدها علي فرج الميتة وقالت يا فرج ما كان ازناك فلصقت يدها بالفرج
فسيل علماء المدينة في ذلك ومالك صفه طالب للعلم فاختلف علماء المدينة في
ذلك بين تغلب حرمة الميت علي الحي او حرمة الحي علي الميت فمن قايل يقطع يدها
ومن قايل بقطع الفرج ومالك حاضر فقال ما اري ان سمعتم الآن تجلد الغاسلة
جلد الفرية فلعله تخلي عنها قال فجلدت ثمانين فانطلقت يدها فمن هناك عرف
علماء المدينة فضل مالك في العلم ⁂ وولد مالك سنة خمس وتسعين للهجرة وحمل به ثلث
سنين وقيل سنة تسعين وتردد السمعاني فقال ولد سنة ثلث او اربع وتسعين
والله اعلم وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومايه وعاش اربعا وثمانين
سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة وقال ابن
الفرات سنة تسع وسبعين وقيل سنة ثمان وسبعين والله اعلم وكانت وفاته
بالمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفا ودفن بالبقيع وقال
القعنبي دخلت علي مالك بن انس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست
فرايته يبكي فقلت يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب وما
لي لا ابكي ومن احق بالبكاء مني والله لوددت اني ضربت لكل مسالة
افتيت فيها براي سوطا سوطا وقد كانت لي السعة فيما سبقت اليه وليتني
لم افت بالراي او كما قال ⁂ وكان مالك شديد البياض الي الشقرة طويلا
عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب
ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه
ومن اصحابه عبد الرحمن بن القسم بن خالد بن جنادة الفقيه
المالكي علمه يثري العدم وعمله يجلي العتم وفضله ذو المطلب العمم
صنف كتابا لا يتعداه من راجح ولا يتعصاه معني الاطاوع بفقه الليث

له من الحديد واعين منه بالجيد حتي اصبح ومدونته ديوان كل ذي غني وافتقار
وعناء، كل ذي منبر ومنار ؛ جمع بين الزهد والعلم وتفقه علي مالك ونظرآيه
وصحب مالكا عشرين سنة وانتفع به اصحاب مالك بعد موت مالك وكتابه
المدونة عمدة المالكية في الفقه ومن اجل كتبهم وعنه اخذ سحنون ؛ مولده في
ارجح الاقوال سنة ثمان وعشرين ومايه وتوفي سنة احدي وتسعين ومايه
ليلة الجمعة لسبع ليال مضين من صفر ودفن خارج باب القرافة الصغري قبالة
قبر اشهب وهما بالقرب من السور

ومنهم عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون
ابو مروان القرشي التيمي المنكدري مولاهم المدني الاعمي الفقيه المالكي معدن
فصاحة وعلم وسماحة وحلم وجدال لا يخصم وحجة لا تفصم وسعد ظهره لا يقصم
شرف بواديه في البطحاء ورواحه وغدوه في الروحاء وتفيا في قريش دوحة
علياء وذروة تطاول النجوم علاء ؛ تفقه علي الامام مالك وعلي والده عبد العزيز
وغيرهما وقيل انه عمي في آخر عمره وكان مولعا بسماع الغناء قال احمد
ابن حنبل قدم علينا ومعه من يغنيه وحدث وكان من الفصحاء روي انه كان اذا
ذاكره الامام الشافعي لم يعرف الناس كثيرا مما يقولون لان الشافعي تادب
بهذيل في البادية وعبد الملك تادب بخؤولته من كلب البادية قال يحيي
ابن احمد بن المعذل كلما تذكرت ان التراب ياكل لسان عبد الملك صغرت الدنيا
في عيني وسيل احمد بن المعذل فقيل له اين لسانك من لسان استاذك عبد الملك
فقال كان لسان عبد الملك اذا تعايي احسن من لساني اذا تحايي ؛ وتوفي عبد الملك
سنة ثلث عشرة ومايتين

ومنهم عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي القعنبي المدني لاذت
به العلوم فاضحي عصمتها واخرس عنها السنة الخطوب واصمتها وسهر الليالي
في طلب المعالي فاقال عاثر الجدود واطلع غارب السعود واتي الزمان منه
بالعذر الجلي والروض الجني استصحب مراده في كنف مالك واستقرب
مراده من شرف ما هنالك ؛ اخذ العلم والحديث عن مالك وهو من جلة اصحابه
وفضلايهم وثقاتهم وخيارهم وهو احد رواة الموطا عنه فان الموطا رواه وبين
الروايات اختلاف واجلها رواية يحيي بن يحيي وكان القعنبي يسمي الراهب
لعبادته وفضله قال عبد الله بن احمد بن الهيثم سمعت جدي يقول كنا
اذا اتينا عبد الله بن مسلمة خرج الينا كانه مشرف علي جهنم نعوذ بالله منها
وكان من اهل المدينة ثم سكن البصرة وتوفي بها يوم الجمعة لست خلون من
المحرم سنة احدي وعشرين ومايتين وذكر ابن بشكوال انه توفي بمكة

ومنهم عبد الوهاب القاضي بن علي بن نصر بن احمد بن الحسين بن
هرون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي من ذرية مالك بن
طوق صاحب الرحبة فقيه لا يفاضل واديب لا يناضل وكريم بين معروف
كرمه لا يتغاضل بلي بالاملاق وضني بالرزق الذي لا يبل الآماق ورمي
بالتشتيت في الآفاق وكان يغني به السفر ويعلم كل دار فارقها هي الفقر وكان
حيث تنقل من البلاد او بقي حيث فارق الميلاد مثل الدرة المكنونة ان فارقت
البحار وزايلت المحار نقلت الي التاج او نفيت في الادراج وسواه كالثمرة اذا فارقت
الشجرة ذبلت نضرتها بمفارقة الامواه وابتذلها الايدي والافواه علي انه وصل
في وقت من المضايقة الي حال ترحمه فيها الاعداء وتساعده البعداء ومع هذا فكم
تخلي في زمان من رفعة قدر وتلبية مضطر وقال فيه ابن بسام
كان بقية الناس ولسان اصحاب القياس وجدت له شعرا معانيه اجلي من

الصبح ومعانيه احلى من الظفر بالنجح ونبت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها
وعلى حكم الايام في محسني اهلها فخلع اهلها وودع ماءها وظلها وحدث انه شيعه
يوم فصل عنها من اكابرها واصحاب محابرها جملة موفورة وطوايف كثيرة وقال لهم
لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ امنيه
وفي ذلك يقول

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها مني سلام مضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي باسرها ولم تكن الارزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت اهوى دنوه واخلاقه تناى به وتخالف

ثم توجه الى مصر فحمل لواءها وملا ارضها وسماءها واستتبع سادتها وكبراءها
وتناهت اليه الغرايب وانثالت في يديه الرغايب فمات لاول ما وصلها من اكلة
اشتهاها فاكلها زعموا انه قال وهو يتقلب ونفسه تتصعد وتتصوب لا اله الا الله
اذا عشنا متنا وله اشعار رايقة ظريفه فمن ذلك قوله

ونايمة قبلتها فتنبهت فقالت تعالوا ناخذ اللص بالحد
فقلت لها اني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكفي عن اثيم ظلامتي وان انت لم ترضي فالفا على العد
فقالت قصاص يشهد العقل انه على كبد الجاني الذ من الشهد
فباتت يميني وهي هميان خصرها وباتت يساري وهي واسطة العقد
فقالت الم اخبر بانك زاهد فقلت بلى ما زلت ازهد في الزهد

ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران امشي في ازقتها كانني مصحف في بيت زنديق

انتهى كلام ابن بسام في ذلك وانشد ابن خلكان له

متى تصل العطاش الى ارتواء اذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الاصاغر عن مراد اذا قعد الاكابر في الزوايا
وان ترفع الوضعاء يوما على الرفعاء من احدى الرزايا
اذا استوت الاسافل بالاعالي فقد طابت منادمة المنايا

صنف في مذهبه كتاب التلقين وعدة مصنفات وكان فقيها اديبا شاعرا ثقة
لم يلق من المالكيين احدا افقه منه وكان حسن النظر جيد العبارة وتولى القضاء
ببادرايا وباكسايا من العراق وخرج في آخر عمره فاجتاز في طريقه بمعرة النعمان
وبها ابو العلاء المعري فاضافه وفي ذلك يقول المعري من جملة ابيات

والمالكي ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا الناي والسفرا
اذا تفقه احيا مالكا جدلا وينشر الملك الضليل ان شعرا

وتوفي ليلة الاثنين رابع عشر صفر سنة اثنتين وعشرين واربعماية بمصر
وقيل في شعبان منها ومولده في شوال سنة اثنتين وستين وثلثماية ببغداد

ومنهم ابو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي
الملقب سحنون الفقيه المالكي ويكفيه صيت يرفع محله ويسميه ويكبت
عدوه ويصميه ويثبت عمر عزه وينميه ويصون جانب فخاره ويحميه ولم تزل
عين الشرع به قريرة واسباب العلياء بسببه مريرة يسري كان له الى
المحراب يخلع على الظلام ثوب الصباح وخوا في دعاء اذا طارت من اوكار المساجد
جاءت محلقة الجناح وكانت مجالسه شفاء لكل غلة وسدادا لكل خلة وجامعة
من الفضل لكل خلة بحديث كالنسيم يجني كل نسمه وكالشمس تجلي كل ليلة مظلمة

قرا علي ابي القسم وابن وهب واشهب وانتهت اليه الرياسة في العلم بالمغرب
وكان يقول قبح الله الفقر ادركنا مالكا وقرانا علي ابن القسم وكان اصله
من مدينة حمص قدم به ابوه مع جند اهل حمص وولي القضاء بالقيروان وعلي
قوله المعول بالمغرب وحصل له من الاصحاب والتلامذة ما لم يحصل لاحد من
اصحاب مالك مثله وعنه انتشر علم مالك بالمغرب ∴ وتوفي يوم الثلثاء تاسع
رجب سنة اربعين ومايتين

ومنهم علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي ابو الحسن
الفقيه الحافظ رجل نورت بصيرته وسرت سريرته وظهرت بزيادة نور الباطل
خيرته فلم يكن ضررا عماه ولا عادما فضل البصر ونعماه ولم تزل نكبات الايام
عنه ناكبه ونوايب الحدثان علي اعدائه متناوبه اختلج بحرا لا تسع مثله
الصدور واخرج درا لا تولد شبهه البحور فما تلم الا امتدت اليه يد الالتقاط
وضاق به فسيح الفضاء والبحر في مثل سم الخياط ولم يزل علي طرق العلم راصدا
ولسبل الحلم قاصدا الي ان قطعت حباله وغاضت ابحره الزواخر ودكت
جباله ∴ مولده سنة اربع وعشرين وثلث مايه وكان حافظا للحديث والعلل
بصيرا بالرجال عارفا بالاصلين راسا في الفقه وكان ضريرا وكتبه في نهاية
الصحة كان يضبطها له ثقات اصحابه وكان زاهدا وربما يقطالم ارباالقيروان
احدا الا معترفا بفضله وله تواليف بديعه ككتاب الممهد في الفقه واحكام
الديانات وانما قيل له القابسي لان عمه كان يشد عمامته شدة اهل قابس ∴
قال الداني اخذ القراءة عرضا عن ابي الفتح ابن بدهن وعليه كان
اعتماد اهل القيروان ثم قطع الاقراء لما بلغه ان تلميذا له اقرا الوالي ثم اعمل نفسه
في الفقه حتي صار امام اهل زمانه كتبت عنه شيا وارتحل سنة اثنين وخمسين

فغاب خمسة اعوام قال حاتم توفي في ربيع الاخر سنة ثلث واربع مايه
بمدينة القيروان وبات عند قبره خلق كثير وضربت لهم الاخبية ورثته القراء.

ومنهم سليمن بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي
ابو الوليد امام لولاه ما وجدت الالسن مقالا ولا جليت من العلم عقالا ولا
تفرت من الخواطر المعاني خفافا وثقالا ثم تفقه فسلم من كل ظنه ولم يكن
علي نفسه لغيرها منه وفضله اشهر من بشاير الصباح واظهر من امايرالسماح
علي ان المجد فيه لا يبلغ المرام والمجيد معترض للملام قال ابن بسام
فيه نشا الوليد هذا وهمته في العلم تاخذ عنان السماء ومكانه في العلم يسامي
مناط الجوزاء وبدا بالادب فبرز في ميادينه واستظهر باكثر دواوينه وجعل
الشعر بضاعته فوصل له الاسباب بالانساب ونال به من كل الرغاب
ثم رحل عن القيروان الي جهة مصر فما حل بلدا الا وجده ملان بذكره نشوان
من قهوتي نظمه ونثره فمال الي علم الديانه وقد كان قبل رحلته تولي الي ظله
ودخل في جملة اهله فمشي بمقباس وبني علي اساس حتي صار كثير من العلماء
يسمعون منه ويرتاحون للاخذ عنه حتي علم العلم ان له اشكالا ويتقن
العراق ان بالاندلس رجالا ثم كر وقد نفع وضر واحلي وامر واستقضي
في طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام ثم نازعه هوي نفسه الي مسقط راسه
دم هدر ومال لا عين ولا اثر فاسف علي ما ضيعه وندم لو اجري عليه ذلك
او نفعه علي انه لاول قدومه رفع صوته بالاحتساب ومشي بين ملوك اهل
الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الاسباب يبدا نه كلما وفد علي ملك منهم
باداه بالترحيب وهو في الباطن يستثقل به وكان يفطن بامورهم ولكنه
كان يرجو حالا يثوب ومذنبا يتوب ∴ اصله من مدينة بطليوس فانتقل

جده الي باجه المدينة التي بقرب اشبيليه فنسب اليه وليس هو من باجة
القيروان ولد سنة ثلث واربع مايه وارتحل سنة ست وعشرين فحج اربعا
وجاور ثلثة اعوام ملازما لابي ذر الحافظ الهروي وكان يسافر معه الي
سراه بني شبابه ويخدمه ثم رحل الي بغداد فاقام بها ثلثة اعوام يدرس الفقه
ويقرا الحديث ودمشق فسمع من جماعة كالقاضي ابي الطيب الطبري والشيخ
ابي اسحق الشيرازي والقاضي ابي عبد الله الحسين الصيمري وابي الفضل ابن عمروس
المالكي واقام بالموصل سنة ياخذ علم العقليات عن ابي جعفر السمناني فبرع في
الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه وخلافه وفي الكلام ومضايقه ورحل
الي الاندلس وكان مقامه بالمشرق نحو ثلثة عشر عاما وروي عن الحافظ ابي بكر
الخطيب وروي عنه الخطيب بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف وروي عنه الجبار
وتخرج به الاصحاب قال القاضي عياض آجرا بو الوليد نفسه ببغداد
لحراسة درب وكان لما رجع الي الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد للوثايق
قال لي اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفي يده اثر المطرقه الي ان فشا علمه وهيت
الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتي مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان
في ترسلهم ويقبل جوايزهم وولي القضاء بمواضع من الاندلس وقال ابن ماكولا
اما الباجي ذو الوزارتين ابو الوليد ففقيه متكلم اديب شاعر سمع بالعراق ودرس
الكلام وصنف الي ان قال وكان رفيع القدر والخطر وقال ابو علي ابن
سكرة ما رايت مثل ابي الوليد الباجي وما رايت احدا علي سمته وهيئته وتوقير مجلسه
ولما كنت ببغداد قدم ولده ابو القسم فسرت معه الي شيخنا قاضي القضاة الشاشي فقلت
له ادام الله عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لعله ابن الباجي فقلت نعم فاقبل عليه
وقال القاضي كثرت القالة في ابي الوليد لمداخلته الرؤساء وولي قضاء

اماكن تصغر عن قدره فكان يبعث الي خلفاه وربما اتاها المرة ونحوها وكان في
اول امره مقلا حتي احتاج في سفره القصد بشعره واستيجار نفسه مدة مقامه
ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره قال ولما
قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا انه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس
من يشتغل بعلمه فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه علي رايه
جماعة من اهل الجهل وحل بجزيرة ميورقه فراس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد
كلموه في ذلك فدخل اليه وناظره وشهد باطله وله معه مجالس كثيرة ولما
تكلم ابو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري قال بظاهر لفظه
فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصايغ وكفره باجازة الكتب علي الرسول صلي الله
عليه وسلم الامي وانه تكذيب للقران فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتي اطلعوا
علي الفتنة وقبحوا عليه عند العامة وتكلم به خطباوهم في الجمع فقال شاعرهم
برئت ممن شري دنيا باخرة وقال ان رسول الله قد كتبا
فصنف ابو الوليد رسالة من ان ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة قال
ابن سكرة مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين واربع مايه
قال ابن بسام وبلغني عن ابي حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب
المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل ابي الوليد الباجي لكفاهم وناظره بميورقه ففل
من غربه وسبب احراق كتبه وتوفي هو باشبيلة في تصنيف الدواوين في
علوم الدين وانشد له

اذا كنت اعلم علما يقينا بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها واجعلها في صلاح وطاعه

ومما روي عنه الخطيب ابو بكر الحافظ قوله في قلم

واسمر ينطق في مشيه ويسكت مهما امر القدم
علي ساحة ليلها مشرق منير وابيضها مظلم
وشبهته ببياض المشيب تخالط منه سواد اللمم

وقوله يمدح قاضي القضاه السمناني ببغداذ وكان قد اتاها من مكة المعظمه فاناله ما احسبه واكسبه بقصيدة منها

يا بعد صبرك اتهموا او انجدوا هيهات منك تصبر وتجلد
باي سلوك بارق متالق وشميم عرف عرارة ومغرد
في كل افق لي علاقة خلة تهدي الهدي وبكل ارض تمهد
ولقد مررت علي المعاهد بعدما لبس البداوة رسمها المنابد
طفقت تسابقني الي امد الصبي تلك النوي وهناك شاني يبعد
ايام انفض للمراح ذوايبي بيد الشباب ودرع بردي مجسد
اتقنص الظبيات في سبل الصبي فتصيدها الي العذار الاسود
حتي علاني الشيب قبل تحكمي وان مما سبق المشيب المولد
اسري اذا اعتكر الظلام وقادني امل مطالبه العلي والسودد
حيث استقر حمي السماحة والعلي ورست قواعده وحل العقد
نما الي محل النار في طلب القري وبالحضيض لغيره مستوقد

ومنه قوله

ولله طيف لا يلم كانما له من سهادي في الزيارة عاذل
ولما التقينا للجمار وابرزت اكف لتقليب الحصا وانامل
اشرت الينا بالغرام محاجر وباحت به منا جسوم نواحل
سقي اثلات الجزع من ام مالك وهيهات دون الجزع سحب حوافل

ومنهم سليمن بن عبد الحكيم

المالكي صدر الدين ابو الربيع صدر فيه لله سر وبدا جاشي لله ان يستتر قام في البدع حتي قمعها وقاوم فرق الباطل فقطع طمعها ولم يبل وقد انتصر لله ولرسله وجال في طرق الخير وسبله ان ضرس بانياب وطمس واتي الله لصباحه المنجاب وامسك قلم الفتوي بيده وهو منطلق وصرف سحابه وهو منطبق وهو الان بدمشق لعلوم تنتشر وعلو اليه النجوم تحتشر ومساجد ينورها بتهجده ومعابد يسعي بها نوره بين يديه الي مسجده هذا الي ما له من صالح الاعمال وصدقات سر لا يعرف لانفاقها اصل مال ومعاناة صبر لا عدم معه حسن الاحتمال اشتغل ببلده وقرا فقه مالك علي

وقدم دمشق سنة واستوطنها فناظر بها فقهاء مذهبه وغيرهم ودرس بالمدرسة الشرابيشيه وافتي وانتهت اليه رياسة مذهبه بالشام وقصد بالفتاوي واشتهر بالعلم والفضايل والتحرير في الفتاوي وعدم التسرع فيها ولديه مشاركات جيده وله رغبة في اقتناء الكتب ومواظبة علي الحج وحج عدة مرات وهو كثير المواظبة علي الجماعات والذكر والتلاوة والخير وعنده مبالغة في ردع المبتدعين والقيام في نصرة الحق واظهاره واعلا كلمة الشرع وتتبع اهل الزيغ والعناد لا ياخذه في الحق لوم اللايم ولا يرده عنه عذل العذول وفيه مكارم اخلاق وانبساط نفس وقضاء لحقوق صحابه ولين جانب مع قوة في الحق وفيه بر للفقراء ومحبة الصالحين وزهد في الدنيا وعدم اكتراث بالفايت منها وبسط مع الطلبة وبراعيهم ويرغبهم في العلم والاشتغال به

واما المالكية

بالجانب الغربي فهم جمهور سكانه وعمار دياره خلا ان افرادهم الذين هم علي الشرط نحو ابن عبد البر وابي عبد الله المازري والقاضي عياض وابي بكر ابن العربي وابي القسم السهيلي وغير هولاء فابت الضرورة

الآن تاتي بهم في المحدثين وفقهاء المحدثين اذ كانوا بهم امس وعلى الجملة
فما غربت لهم عن الافق الغربي شمس فاما من هو بخاصة مصر منهم فنأتي
على ذكرهم

فمنهم اشهب بن عبد العزيز بن داود بن عبد العزيز بن داود
ابن ابرهيم القيسي الجعدي المصري وكان اشهب هو السابق الذي لا يلحق
له بغبار ولا يعلم له من غير الرياح اخبار ولا ينقص ادهم الليل نهارا شهبه ولا
تنقض حوايم الطلبة على شهبه ولا ينفض سواد العين صبغة اهدابه على هدبه
ولا ينبلج النهار الا بغرة صباحه المذهب ولا يجلب النهار ند نداه العبق وعنبره
الاشهب ولا يعد مال مالك الا ما احرزه جواده السابق وابرزه والغمام له
مطابق واتى به والنجم في الليل مشغول بارشاد جايره ووافى عجلا وقد القى الهلال
نعل حافره وكان من اهل مصر اول من مال الى مالك واوضح له مسالك وكان
اباعذره معرفته وسابق مصر الى تلقي تحفته اشرب قلوب اهلها محبته
واقتادها وما وراها الى البحر المحيط في آخر الغرب الى صحبته ∴ تفقه على مالك
ثم على المدنيين والمصريين قال الامام الشافعي ما رايت افقه من
اشهب لولا طيش فيه ولم يدرك الشافعي من اصحاب مالك سوى اشهب وابن
عبد الحكم وكانت المنافسة بينه وبين ابن القسم وانتهت الرياسة اليه بمصر بعد
ابن القسم وقال ابو عبد الله القضاعي كان لاشهب رياسة في البلد
ومال جزيل وكان من انظر اصحاب مالك وقال ابن عبد الحكم سمعت اشهب
يدعو على الشافعي بالموت فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلا

تمنى رجال ان اموت وان امت ... فتلك سبيل لست فيها باوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تزود لاخرى غيرها فكان قد

قال فمات الشافعي فاشترى اشهب من تركته عبدا ثم مات اشهب فاشتريت
انا ذلك العبد من تركة اشهب قال محمد بن عاصم المعافري رايت في
المنام كأن قايلا يقول يا محمد فاجبته فقال

ذهب الذين يقال عند فراقهم ... ليت البلاد باهلها تتصدع

قال وكان اشهب مريضا فقلت ما اخوفني ان يموت اشهب فمات في مرضه
ذلك وكانت وفاته في شعبان سنة اربع ومايتين

ومنهم عبد الله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث بن رافع الفقيه المالكي
المصري ابو محمد صدر لا تخلفه المشاهد وامام ما عمرت بمثله المساجد ومبلغ
لا ينطق عن الهوى ومسوغ لموارد الفتوى لم تزل ربوعه بالعز مانوسه وثغور
الاسلام به محروسه وصحف محامده بالسنة الانام مدروسه واسود عرايه
بانياب النوايب مفروسه ماله في الحقوق منتهب وامواله لا يطيش بها الذهب
وتلقيه لاهل العلم بقبل عليهم سافرا ويقلب من اتاه منهم ظافرا فما صدر عنه الا
من ثقل سمعته ولا ورد اليه الا من اخصب بجعته وما برح على هذا حتى قبض
ودفن وفني الزمان وافن وما فني ذكره ولا افن ∴ كان اعلم اصحاب مالك
بمختلف قوله وافضت اليه رياسة الطايفة المالكية بعد اشهب وكان من
ذوي الاموال والرباع له جاه عظيم وقدر كبير وكان يزكي الشهود ويجرحهم
ولهذا لم يشهد ولا احد من ولده لدعوة سبقت فيه ويقال انه دفع الى الامام
الشافعي عند قدومه الى مصر الف دينار واخذ له من ابن عامه التاجر الف دينار
ومن رجلين آخرين الف دينار ∴ وروى بشر بن بكر قال رايت مالك بن انس
في النوم بعد ما مات بايام فقال ان ببلدكم رجلا يقال له ابن عبد الحكم فخذوا عنه فانه
ثقة ∴ وتوفي في رمضان سنة اربع عشرة ومايتين بمصر وقبره الى جانب قبر الشافعي

وهو الاوسط من القبور الثلثه • ومولده سنة خمسين ومايه وقيل سنة خمس وخمسين ومايه

ومنهم اصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري مارس العلم منه كافيا وشرع له من نطاف الفضل صافيا بتثقيف كف الدهر من جماحه وتعلم كف البحر من سماحه وحاط الدين حيث لا يعفو كلمه ولا يعفو حلمه فاسبل رداء نعمايه واسبغ وجاءت فوايده فانست ابن الصباغ الوان اصبغ ومد في مصر منه ما لا جاء به مد نيلها وقد حشد ولا جاد به الزمان من طلابه التي تشد ولا ابقاه من خلل النوار فيض مايه وجاءه من زهر الازهار لا زوردي سمايه •• تفقه بابن القسم وابن وهب واشهب قال عبد الملك بن الماجشون في حقه ما اخرجت مصر مثل اصبغ فقيل ولا ابن القسم قال ولا ابن القسم وكان كاتب ابن وهب وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان ابن الحكم الاموي والي مصر •• وتوفي اصبغ في اخر شوال سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين وماتين

ومنهم علي بن الانجب بن المفضل ابن ابي الحسن اللخمي المقدسي الاصل الاسكندري المولد المالكي المذهب ابو الحسن افرج له عن مضايق العلياء فتبواها فسيحه وتخرت له السنة الماثر فانطقها فصيحه وقامت دلايل الحق فادى منها كل نصيحه وله مقامات كريمة لو استطاع الجريري حكاها في هذا المذهب وحاك عليها طرازه واني له والجريري دون المذهب وقام في البلاغة منه الخطيب البليغ والعلم منبره وزاخر البحر العباب واللسان غواصه والكلم جوهره •• كان فقيها فاضلا في مذهب مالك من اكابر الحفاظ المشاهير في الحديث وعلومه صحب الحافظ ابا طاهر السلفي وانتفع به وصحبة الحافظ زكي الدين

المنذري ولازم صحبته وبه انتفع وعليه تخرج وذكر عنه فضلا غزيرا وصلاحا كثيرا ومما انشد عنه

• تجاوزت ستين من مولدي فاسعدا يا ابي المشترك •
• فيا ليتني زايري حالتي وما حال من حل في المعترك •

وقوله

• ايا نفس بالماثور عن خير مرسل واصحابه والتابعين تمسكي •
• عساك اذا بالغت في نشر دينه بما طاب من نشر له ان تمسكي •
• وخافي غدا يوم الحساب جهنما اذا لفحت نيرانها ان تمسكي •

ومنه قوله

• ولمياء تحيي من تحيي بريقها كان مزاج الراح بالمسك من فيها •
• وما ذقت فاها غير اني رويته عن الثقة المسواك وهو موافيها •

وهذا معنى مستعمل قد سار في كثير من اشعار المتقدمين والمتاخرين فمن ذلك قول بشار بن برد من جملة ابيات

• يا اطيب الناس ريقا غير مختبر الا شهادة اطراف المساويك •

وقال الابيوردي من جملة ابيات ايضا

• واخبرني انيابها ان ريقها على ما حكى عود الاراك لذيذ •

وكان ابو الحسن ابن الانجب ينوب في الحكم بثغر الاسكندريه ودرس به في المدرسة المعروفة هناك به ثم انتقل الي القاهرة ودرس بمدرسة الصاحب ابن شكر واستمر بها الي ان مات يوم الجمعة مستهل شعبان سنة احدى عشرة وست مايه •• ومولده ليلة السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة اربع واربعين وخمس مايه بالثغر المحروس

ومنهم عيسى الزواوي المالكي شرف الدين ابو الروح رجل
لا يخاطر معه في شرف مروم ولا يخاطب منه ما دون النجوم سكن مصر
فطاب بوناديها وطال المجرة واديها ونظر في افانين العلم فاسمى فروعها
واهمى ضروعها واقتنى الكتب فابرأت يد العيسوية سقم صحفها وابدت
كرم تحفها وطلب للقضاء خلافه بمصر والقاهرة غير ما مرة وبرىء به شرف
دينه وشرف زهده فلم يمسكه بيمينه ولج عليه ولي الامر في هذا وابى الا
خلافه وترفع عن رتبة القضاء وان يسمى له خلافه ولقد جالسته فخفت الغرق
اذ فجاني سيله وجاءني نهاره الذي تجلى ليله اصله من زواوه من بلاد
افريقيه قدم البلاد كبيرا وقد حصل واشتغل وصار يعد من الفقهاء واقام
بمصر واشتغل بها وحضر فيها الدروس وزادت نباهته وظهرت فضيلته ثم
قدم دمشق وولي بها نيابة الحكم وصرف القضايا والاحكام بجاش رابط ونفس
قوية في الحق ودام على هذا مده ثم عاد الى مصر واقام بها وفارقنها وهو احد ايمتها
الاعلام وفقهائها الافاضل وكنت اسمع فضلائها اذا ذكر قالوا هو شيخ المالكيه
بمصر واليه يرجع فيما اشكل من الفتاوي في مذهب الامام مالك رضي الله عنه وكان
يتردد الي ويجتمع بي وهو من احسن الناس خلقا وخلقا واتمهم فضلا في الفقه
ومشاركة في النحو والعربية ونظرا في الهيئة ومعرفة مقادير الافلاك واشكال
الارض واحوال الاقاليم والبلاد ووضع المدن واحوال الاقاليم الشاسعه والبحار
الغامرة ولما الفت هذا الكتاب وسمع به كان يجي الي ويقف على ما انتهي فيه
شيا بعد شي وربما عاملني بالاحسان ووقع منه موقع الاستحسان ولقد استفدت
منه فوايد في هذا الكتاب ومعارف لولاها لما قدرت على الدخول من هذا الباب
وسياتي في مواضع من هذا التاليف مقرا بما اعزوه من الرواية اليه ولم ار في

امثاله من اهل الفقه مثله في التجمل وحسن الهيئة ومكارم الاخلاق اللهم الا
ان كان ابن القويع ولقد يحكى عنه من سعة الصدر وكرم النفس ما يستغرب
من المغاربه ويستبعد وقوعه من نفوسهم المقاربه ولقد كنت ارى منه واسمع
عنه ما يملا العين والاذن وعهدي به يجتمع هو وابن القاصح احد فقهاء الشافعية
الاخيار وشيخنا ابو حيان بالمدرسة الصالحيه على تخت هناك ويجري بينهم بحوث
مفيده ومذاكرات جليله وربما تخلل ذلك بنكت طريفه ومداعبات لطيفه كان
ابن القاصح على علمه وزهده تحدثه نفسه بقضاء القضاه ويظن ان الولاية تاتيه
بكرة او عشاء لا يشك في هذا وعرف هذا منه فبقي كل مستفرغ ياتي اليه
ويقول له يا سيدي سمعنا بان السلطان ذكرك وبلغنا بان فلانا شكرك وان
فلانا وصفك عند امراء الدولة وكبرائها وقيل لنا انك ذكرت للقضاء وذكر
معك فلان وفلان فرجحت عليهم وعينت دونهم ومن هذا ومثله مما يعلم القايل
انه ينفق عليه ويقع موقع الاعجاب منه وهو ياخذ ما يقال له من هذا بالقبول
ويميل اذنه اليه وكان شيخنا ابو حيان ينهاه ولا ينتهي بعذله ولا يقبل فاتفق
شرف الدين عيسى هذا مع رجل من الفقهاء يعرف بالنجم سعيد كان ظريفا مطبوعا
له نوادر وطلبا ابن شيخنا اثير الدين ابي حيان وكان اذ ذاك صغيرا وقررا معه
ان يقول لهما مقوله عن ابن القاصح من هذا الباب لينقلوه اليه ويقولون قال
لنا ابن الاثير كذا وكذا ليظن انه علا الدين ابن الاثير كاتب السر في ذلك
الزمان فقال لهم اعلموا ان ابن القاصح قد ولاه السلطان القضاء ورسم بكتابة
تقليده فلما قال هذا طار اليه النجم سعيد وقال له يا سيدي جيتك ببشارة قال
وما هي قال الساعة رايت ابن الاثير وقال لي ان السلطان قد ولى ابن القاصح
قضاء القضاه ورسم بكتابة تقليده ودخل شرف الدين عيسى وهم في هذا الحديث

فقال وانا سمعت ابن الأثير يقول هذا فما شك ابن القاصح في هذا وعمم عمامته
ولبس قماشه وتهيا للطلب والتولية وخرج الى التخت وقعد حتى جاء ابو حيان
فقال له مالي اراك على هذه الهيئة فاخبره الخبر فانكر ابو حيان ثم قال والله ما
كانهم عنوا الا ابن ابي حيان فانه ابن الأثير والا فهذا ما له صحه وعيسى ما يكذب
وانقلب الجد هزلا والتهنية له ضحكا عليه
وهذا من المالكية آخر من ذكر ويتلوهم من الفقهاء ثالث
الأيمة واصحابه فاما من نذكره منهم ممن كان بالجانب الشرقي فهو
الامام الشافعي رضي الله عنه محمد بن ادريس بن العباس بن
عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف
القرشي المطلبي الشافعي ابو عبد الله بحر امتدت من دفعه الجداول وطود انحطت
من قنته الجنادل ومرقب درجت من عشبه النسور القشاعم والصقور
الاجادل وامام بفخر البيت المقدس بمولده وبطحاء مكة بمحتده والمطلب
ابن عبد مناف بكونه من ولده وابن اخيه عبد المطلب بن هاشم بتالق فرقده
ما كان يقصر عن اوليك الاول من اهل الشعب لو حضر يوم الصحيفه وحظر على
سروات قريش قبح تلك الآراء السخيفه ولما غدا مطلب بني المطلب أبيه وانتمى
لبني عمه بني هاشم على اخيه حتى تنقاد شموس بني عبد شمس وتذعن نوفل بان
عدم مباينتها لهم امس بل لو تقدمت شمسه قليلا حتى ادرك ذلك الجيل وجال
في ذلك الصدر الجليل لكان من اركان البيت بيت هاشم المعرق في بني لوى
وسكان بيت البطحاء المجمع عليه لقصى واقرباء اهل العباء والمعد للمفاضله في
اهل المباهله بيد انه من قريش في سرة اباطحها واسرة جحاجحها واباتها
الشم الانوف الكرام الضيوف الخضر الاندية والكفوف المتقدمة

على العرب تقدم الامام على الصفوف وقد حفظ دين محمد صلى الله عليه وسلم على
امته واقتاد العلم بازمته فاصبح يجادل بحججه ويقتحم البحر في لججه وطلب الحديث
حتى التقفه من افواه الرجال واقتطفه قبل تحيز الآجال وتفقه على مالك ثم مال
الى اوسع مجال وجثا له على ركبتيه وللمشابهم فعود ربات الحجال وخاف الرشيد
منه على الخلافة وحق له ان يخاف وظن الناس تثب معه لولا العقول السخاف
ولم يكن في عصره اجمع منه لشروط الامامه ولا انفع للغلل ولا الغمامه وكان
جلس الحرب وحلف الغمام اذا اشتد الكرب لندي تفيض سواكبه وتغيض البحار
وادناها مواهبه مع حب اشربته له النفوس وشربته على هلال جبين ما مثله شفاه
الكووس وقرب من الناس ينأى مداه ويتأى الغيث جداه مع آداب لا الغواني
كاسيها ولا تاثيم واطراب لا حرج فيها ولا تجريم وانما هي جنى جنات قطوفها دانيه
وصفوفها متدانيه وشنوفها لا تقرط بها حسناء ولا تجد غنى غانيه نهلة من العرب
جرعها وذروة من الأدب فرعها ومرو من الشعر كحوصفا المشقر فرعها بابيات
ما هو له نفخ فيها الروح ونفح بينها النسيم كانها الخيام بذي طلوح كان يحفظ ديوان
هذيل ويلفظ اشهر من سهيل وكانت له فراسة لا تخطي وظنانه كمخيلة
النوء لا تبطي سكن مكة المعظمه حيث شرب العلم ماء زمزمها وطلع قمرا
في افق مازمها ثم استوطن مصر يزيد على نيلها في وفايه وعلى مقطعات خلجها
في صفايه وانتشر هنالك علمه الغزير وتوارى في سرار ترابها بدره المنير
ودفن بها بالقرافة حيث هو الآن القبة المعقودة وآثار الجود الموجودة ولوامع
البركات الباقية المشهودة كان الشافعي رحمه الله كثير المناقب جم المفاخر
منقطع القرين اجتمعت فيه العلوم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب

واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي مع جلالة قدره في هذا الشان قرا
عليه اشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره حتى قال احمد بن حنبل
ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي وقال
ابو عبيد القسم بن سلام ما رايت رجلا احمل من الشافعي وقال عبد الله بن
احمد بن حنبل قلت لابي اي رجل كان الشافعي فاني سمعتك تكثر من الدعاء له
فقال يا بني الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن فهل لهذين من خلف او
عنهما عوض وقال احمد ما بت منذ ثلثين سنة الا وانا ادعو للشافعي
واستغفر له وقال يحيى بن معين كان احمد بن حنبل ينهانا عن
الشافعي ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه فقلت يا ابا عبد الله
تنهانا عنه وانت تمشي خلفه فقال اسكت لو لزمت البغلة انتفعت وحكى
خطيب بغداد في تاريخه ان ام الشافعي لما حملت به رات كان المشتري خرج من
فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد شظية فتاول اصحاب الرؤيا انه يخرج
عالم يخص علمه اهل مصر ثم يتفرق في ساير البلدان وقال الشافعي
قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطا فقال لي احضر من يقرا لك فقلت
انا قاري فقرات عليه الموطا حفظا فقال ان يكن احد يفلح فهذا الغلام وكان سفين
ابن عيينة اذا جاءه شي من التفسير والفتيا التفت الى الشافعي فقال سلو
هذا وقال الحميدي سمعت الزنجي بن خالد يعني مسلما يقول للشافعي
افت يا ابا عبد الله فقد والله آن لك ان تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة
وقال محفوظ بن ابي توبة البغدادي رايت احمد بن حنبل عند الشافعي
في المسجد الحرام فقلت يا ابا عبد الله هذا سفين بن عيينة في ناحية المسجد يحدث
فقال ان هذا يفوت وذاك لا يفوت وقال ابو حسان الزنادي ما رايت

محمد بن الحسن يعظم احدا من اهل العلم تعظيمه للشافعي ولقد جاءه يوما فلقيه وقد
ركب محمد بن الحسن فرجع محمد الى منزله وخلا به يومه الى الليل ولم ياذن لاحد عليه
والشافعي اول من تكلم في اصول الفقه وهو الذي استنبطه وقال ابو ثور
من زعم انه راى مثل الشافعي في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب
كان منقطع القرين في حياته فلما مضى في سبيله لم يعتض منه وقال احمد بن
حنبل ما احد من بيده محبرة ولا دواة الا وللشافعي في رقبته منة وقال
الزعفراني كان اصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فايقظهم فتيقظوا ومن
دعايه الماثور عنه المداومة عليه في احيانه كلها اللهم يا لطيف اسالك اللطف فيما جرت
به المقادير رواه عنه ثقات وهو مشهور بين العلماء بالاجابة وانه مجرب والله اعلم
وذكر الحافظ ابن عساكر قال خرج الشافعي الى الصفا ومعه الحارث بن لبيد
وكان من الخاشعين وكان حسن الصوت فقرا الحرث هذا يوم الفصل جمعناكم
والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين فاضطرب الشافعي
وتغير لونه وبكا بكاء شديدا حتى لصق بالارض ثم لم يتمالك ان قال الهي اعوذ بك
من مقام الكذابين واعلام الغافلين الهي خشعت لك قلوب العارفين وولهت
بك همم المشتاقين فهب لي جودك وجللني سترك واعف عني بكرم وجهك يا
كريم قال الربيع بن سليمن سئل الشافعي عن مسلة فاعجب بنفسه فقال

اذا المشكلات تصدين لي كشفت حقايقها بالنظر
ولست بهيابة في الرجال اسايل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرك الاصغرين فتاح خير وفراج شر

وذكر ان رجلا وقف بباب الشافعي فقال يا رب الدار تصدق علينا بما لا يتعب
ضرسا ولا يولم نفسا فاخرج اليه طعاما فقال حاجتي الى كلامك اشد من

جاجتي الي طعامك اني طالب هدي لا طالب ندي فامر بان يدخل عليه فساله
عن مسئلة من المسايل فاجابه وافاده فخرج وهو يقول علم اوضح لبسا خير من
مال اغني نفسا فقال الشافعي ما رأيت اعقل من هذا الرجل بارك الله فيه
والشافعي فوق كل وصف وفضايله اكثر من ان تعدد ومولده سنة خمسين ومايه
وقد قيل انه ولد في اليوم الذي توفي فيه الامام ابو حنيفة وكانت ولادته بمدينة
غزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن والاول اصح وحمل من غزة الي مكه وهو ابن سنتين
ونشا بها وقرا القران الكريم وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومايه واقام بها اشهرا
ثم خرج الي مصر وكان وصوله اليها في سنة تسع وتسعين ومايه وقيل سنة احدي ومايتين
ولم يزل الي ان توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة اربع ومايتين ودفن بعد العصر
من يومه بالقرافة الصغري وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رحمه الله قال
الربيع سليمن المرادي رايت هلال شعبان وانا راجع من جنازته وقال رايته في
المنام بعد وفاته فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك فقال اجلسني علي كرسي من
ذهب ونثر علي اللولو الرطب وقد اتفق العلماء قاطبة من اهل العلم والفقه
والحديث واللغة والنحو وغير ذلك علي ثقته وامانته وعدالته وزهده وورعه
ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخايه وللامام الشافعي
اشعار كثيرة من ذلك ما نقل من خط ابي طاهر السلفي قوله

ان الذي رزق اليسار ولم يصب   حمدا ولا اجرا لغير موفق
الجد يدني كل امر شاسع   والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بان مجدودا اتي   ماء ليشربه فغاض فحقق
واذا سمعت بان مجدودا اتي   عودا فاثمر في يديه فصدق
لو كان بالحيل الغني لوجدتني   بنجوم اقطار السماء تعلقي

لكن من رزق الحجي حرم الغني   ضدان مفترقان اي تفرق
ومن الدليل علي القضاء وكونه   بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق
واحق خلق الله بالهم امرء   ذو همة يبلي برزق ضيق

ومن المنسوب اليه ايضا

رام نفعا فضر من غير قصد   ومن البر ما يكون عقوقا

ومن المنسوب اليه ايضا

كلما ادبني الدهر   اراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما   زادني علما بجهلي

وقوله

وضاحك والمنايا فوق هامته   لو كان يعلم غيبا مات من كمد
من كان لم يعط علما في بقاء غد   ماذا تفكره في رزق بعد غد

وقوله

هي الدنيا فلا يغضبك منها   ولا من اهلها سفه يعاب
اتطلب جيفة وتنال منها   وتنكر ان تهارشك الكلاب

وقوله

ولولا الشعر بالعلماء يزري   لكنت اليوم اشعر من لبيد

قال الشافعي تزوجت امراة من قريش وكنت امازحها فاقول

ومن البلية ان تحب   فلا يحبك من تحبه

فتقول هي

ويصد عنك بوجهه   وتلح انت فلا تغبه

وحكي ابو اسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء عن الربيع بن سليمن

قال كتب الشافعي الي محمد بن الحسن وقد طلب منه كتبا لينسخها فتأخرت عنه

قل للذي لم ترعينا من راه مثله
ومن اذا راه كان قد راي من قبله
العلم ينهي اهله ان يمنعوه اهله
لعله يبذله لأهله لعله

فانفذ اليه الكتب من ساعته ومن شعره رضي الله عنه ما قاله لما قدموا به علي هرون الرشيد مع العلويين

علي ثياب لو تقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن اكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده اذا كان عضبا حيث وجهته برا

وقال الربيع بن سليمن سيل الشافعي عن مسئلة فاعجب بنفسه فقال

اذا المشكلات تصدين لي كشفت حقايقها بالنظر
ولست بهيابة في الرجال اسايل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرة الأصغرين فتاح خير وفراج شر

ومن اصحابه الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي صاحب الامام الشافعي كان يلازمه ملازمة الحمام لاطواقها والسهام لافواقها لا يمل من طول ابرايه وطول ارآيه حتي ود من تخلف من الاقران لو اكتحلوا بتراب قدمه اوعدوا من اتراب خدمه وغمر وغرسه من سقيا الفضايل روى وزنده من لقيا الافاضل وري قال في الظلال وقال في الجدال فلم تعرض لديه مشكلة حتي عجل ازاحة فرقها وازاحه فرقها فشكرت منه المنن الغرر والمنح الغر واصبحت الايام بوجوده متباهيه والاقدار بجوده متناهيه حتي حمي الشريعة فاحكم اسوارها وحكم في مشارق الشموس انوارها فلم تبق عارفة الا سوغها ولا وارفة الا اسبغها

ولا فايدة الا اسناها ولا فايتة الا ادناها صحب الشافعي وكان اشهر اصحابه بابيات مجلسه واحفظهم لمذهبه وله تصانيف كثيرة في اصول الفقه وفروعه وكان متكلما عارفا بالحديث وصنف ايضا في الجرح والتعديل واخذ عنه الفقه خلق كثير وتوفي سنة خمس وقيل ثمان واربعين ومايتين وهو اشبه بالصواب

ومنهم الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني صاحب الامام الشافعي ابو علي شمس اصيل نفضت علي الآفاق زعفرانها وفضت في حقايب الرفاق جفانها وخلفت رداء الاصايل بردعها وخلقت خلوق البشاير بربعها وجلت الدنيا تختال في ثوبها المزعفر وتختار ما راقا وان العصر من شرابها الأصفر طنب به فضله علي يفاع الارتفاع وخيم حيث حل به حلب الانتفاع فاحيا رسم الفضايل وحيا عميم فضله جميل الفعايل وعني بحياطة العلم فكفل حزمه سد الثغور وطلق عزمه سداد الامور فولت القرناء لا يقدر منهم من يقارن شهي الشهد بمجاجه ولا يقابل بهي الدر بزجاجه وما فيهم الا من قال لقريحته ارتجي الاقتراح ولا تستدعي الافتضاح برع في الفقه والحديث وصنف فيهما كتبا وسار ذكره في الآفاق ولزم الشافعي حتي تبحر وكان يقول اصحاب الحديث كانوا رقودا حتي ايقظهم الشافعي وكان يتولي قراءة كتب الشافعي عليه وسمع من سفين بن عيينة وطبقته وهو احد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي ورواتها عنه اربعة هو وابو ثور واحمد بن حنبل والكرابيسي ورواة الاقوال الجديدة سته المزني والربيع بن سليمن الجيزي والربيع بن سليمن المرادي والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الاعلي وروي عنه البخاري في صحيحه وابوداود والترمذي وغيرهم توفي في سلخ شعبان وقيل في رمضان سنة ستين ومايتين وذكر السمعاني في كتاب الانساب انه توفي سنة تسع واربعين ومايتين

ومنهم عبدان بن محمد بن عيسى الفقيه ابو محمد المروزي الخنوجردي
احد من اظهر مذهب الشافعي اشتمل بالمناقب واحتفل لما تبقى ذكره في
العواقب واتى بالعلوم التي طالت اوضاحها وآلت وقد اخجل الصبح افتضاحها
فضاهي الكواكب وباهي العلماء وقد حالت بفرسانها المواكب وحي لعلم
يثبته وعمل بالشكر يزيده وفضل يفيده لآخر يستفيده فكانت تهب من مغرسه
صبا الصباح ويستدني من مغرسه جنا النجاح وكانت مجالسه معالم بالامالي
مغتصة ومواسم بالاماني مختصة لا تسامي طماح مراه ولا تسام مراح مراده
وكانت لا تزال الطلبة اليه وافية المناهج وافرة المباهج تضرب اليه السباسب
وتاتيه وترجع بالمكاسب قال السمعاني اسمه عبد الله وهو احد من
اظهر مذهب الشافعي بخراسان وكان الرجوع اليه في الفتاوي والمعضلات
بعد احمد بن سيار قد حمل كتب الشافعي الى مرو واعجب بها الناس فاراد عبدان ان
ينسخها فمنعه ابن سيار من ذلك فباع ضيعة له بخنوجرد وسار الى مصر ونسخ
كتب الشافعي على الوجه واكثر ورجع فدخل عليه احمد بن سيار مسلما ومهنيا
واعتذر من منع الكتب فقال لا تعتذر فان لك علي منة في ذلك فلو دفعت الي
الكتب لما رحلت الى مصر ولما رحل الى مصر تفقه باصحاب الشافعي وبرع في
المذهب ونشره وكان يوصف بالحفظ والزهد وروي الحديث عن جماعة بخراسان
والعراق ومصر وروي عنه جماعة ∴ مولده ليلة عرفة سنة عشرين ومائتين
وتوفي ليلة عرفة سنة ثلث وتسعين ومائتين

ومنهم محمد بن نصر الامام ابو عبد الله المروزي احد الائمة الاعلام
والازمة لما تمليه الاقلام ضرب الآفاق في طلب الحديث واغترب لا يقنعه
السير الحثيث وذهب وذكره لم يذهب وبره محفوظ لم ينهب وخلف ذخاير
العلم مخزونة في كنف الصدور مكنونة في حجب السطور وكان ممن شرفت
به المعالي واسعفت بسنا نوره العالي وكان لملك خراسان منه خلوص وآية
وخصوص وفاية طالما منعه ان يسفك الدماء ويهتك الذماء فخلد ملكه
في بنيه وخلص له وده وكان اشرف ما يقتنيه ∴ ولد ببغداد سنة ثنتين
ومائتين وسكن بسمرقند وغيرها وكان ابوه مروزيا تفقه على اصحاب الشافعي
بمصر وعلى اسحق بن راهويه ورحل في طلب الحديث والعلم الى الآفاق قال
الحاكم هو امام الحديث في عصره بلا مدافعة وقال الخطيب كان من
اعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم وقال محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم كان محمد بن نصر بمصر اماما فكيف بخراسان وقال القاضي
محمد بن محمد بن محمد كان الصدر الاول من مشايخنا يقولون رجال خراسان اربعة
ابن المبارك واسحق بن راهويه ويحيى بن يحيى ومحمد بن نصر وقال السليماني
محمد بن نصر المروزي امام الائمة الموفق من السماء له كتاب تعظيم قدر الصلاة
وكتاب رفع اليدين وغيرهما من الكتب المعجزة وكان له مال يقارض عليه وينفق
عليه من غلته وكان اسمعيل بن احمد والي خراسان واخوه يصلة كل منهما باربعة
آلاف في السنة ويصله اهل سمرقند باربعة آلاف فكان ينفقها من السنة الى
السنة فقيل له لو ادخرت لنائبة فقال سبحان الله انا بقيت كذا كذا سنة
قوتي وثيابي وكاغدي وحبري وجميع ما انفقه على نفسي في السنة عشرين
درهما فترى ان ذهب ذا يبقى ذاك ∴ وقد ذكر له كرامات منها ما رواه
ابو الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي قال سمعت الامير اسمعيل بن احمد يقول كنت
بسمرقند فجلست يوما للمظالم وجلس اخي الى جانبي اذ دخل ابو عبد الله محمد
ابن نصر فقمت له اجلالا لعلمه فلما خرج عاتبني اخي وقال انت والي خراسان

تقوم لرجل من الرعية هذا ذهاب السياسة فبت تلك الليلة وانا منقسم الفكر فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بعضدي فقال لي ثبت ملكك وملك بنيك باجلالك محمد بن نصر ثم التفت الى اسحق فقال ذهب ملك اسحق وملك بنيه باستخفافه محمد بن نصر وقال ابن حزم في بعض تواليفه اعلم الناس من كان اجمعهم للسنن واضبطهم لها واذكرهم لمعانيها وادراهم بصحتها وبما اجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة اتم منها في محمد بن نصر المروزي فلو قال قايل ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ولا لاصحابه الا وهو عند محمد بن نصر لما بعد عن الصدق توفي بسمرقند سنة اربع وتسعين ومايتين

ومنهم محمد بن احمد بن نصر الترمذي الفقيه الشافعي ابو جعفر الزاهد الساهر اذا نام الشاهد الغايب ولا يغيب عنه الشاهد المتقلل من الدنيا على كثرة متاعها ولذة استمتاعها المخلي بينها وبين مبتاعها فقضى عمره لله في قليل من البلاغ وبلال من ربق الدين ان ساغ فلما ان له الاطلال على الاجل ودنى به خطو العجل حصل له سو مزاج اصدا مراة مخيلته وافسد صور ممثلته فعظم اختلاطا وكثر خلطا وضيق عليه دار البقا حتى حل من القبر في دار اللقاء سكن بغداد وحدث بها ولم يكن للشافعية في وقته ارأس منه ولا اورع ولا اكثر تقللا منه وكان ثقة من اهل العلم والفضل والزهد في الدنيا قال ابو الطيب احمد بن عثمان السمسار والد ابي حفص بن شاهين حضرت عند ابي جعفر الترمذي فساله سايل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينزل الى سماء الدنيا فالنزول كيف ابقى فوقه علو فقال ابو جعفر النزول معقول والكيف مجهول والايمان

به واجب والسؤال عنه بدعه وكان من التقلل في المطعم على حال عظيمة فقرا وورعا وصبرا على الفقر اخبر محمد بن موسى بن حماد انه اخبره انه تقوت في سبعة عشر يوما بخمس حبات او قال ثلث حبات قلت كيف عملت قال لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتا فكنت آكل كل يوم واحدة وذكر ابو اسحق الزجاج انه كان يجري عليه في كل يوم اربعة دراهم وكان لا يسال احدا شيا ولد في ذي الحجة سنة ثمان وقيل سنة عشر ومايتين وتوفي لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومايتين ولم يغير شيبه وكان قد اختلط اختلاطا عظيما الى آخر عمره

ومنهم احمد بن سريج ابو العباس الشيرازي الفقيه الشافعي نور لم تزل معاليه باللالاء لايحه ونوء لم تبرح اياديه بالالاء سانحه يتوضح في فجر الفخر ويتبجس من صلد الصخر بما يرق من فضفاض ارديته ويطف من فياض انديته سحب ذيله على المجره وصحب سيلة الدنيا وفارقها نحلا في برودها المخضره بعلوم اعطت المسامع نشوة الاهتزاز والمجامع جلوة الاعتزاز وجادل عن مذهبه حيث لا يبل الريق اللسان ولا يلبي الفكر المجيب للانسان وافاض بتصانيفه المواهب الجسيمه والسحايب في اكناف الرياض البسيمه فطال الدعايم وطار الى النعايم ولقي الله وهو مسرور بلقايه مغتبط بحال مماته وحالي بقايه كان من عظماء الشافعية وايمة المسلمين وكان يقال له الباز الاشهب وولي القضاء بشيراز وكان يفضل على جميع اصحاب الشافعي حتى على المزني وان فهرست كتبه كان يشتمل على اربع مايه مصنف وقام بنصرة مذهب الشافعي ورد على المخالفين وفرع من كتب محمد بن الحسن الحنفي وكان الشيخ ابو حامد الاسفراييني يقول نحن

يجري مع ابي العباس في ظواهر الفقه دون دقايقه واخذ الفقه عن ابي القسم
الانماطي وعنه اخذ فقهاء الاسلام ومنه انتشر مذهب الشافعي في اكثر الآفاق
وكان يناظر ابا بكر محمد بن داود الظاهري وحكي انه قال له يوما بلعني ريقي فقال
له ابلعك دجله فقال له يوما امهلني ساعة فقال امهلتك من الساعة الي يوم الساعه
وقال له يوما اكلمك من الرجل فتجيبني من الراس فقال له هكذا البقر
اذا حفيت اظلافها دهنت قرونها وكان يقال له في عصره ان الله تعالي بعث
عمر بن عبد العزيز علي راس المايه من الهجرة فاظهر كل سنة وامات كل بدعة ومن الله
تعالي راس المايتين بالامام الشافعي حتي اظهر السنة واخفي البدعه ومن الله تعالي
في راس الثلث مايه بك كل قويت كل سنة وكل بدعة ضعفت

ومنهم الحسين بن صالح خيران الفقيه الشافعي ابو علي امام تهدل له
حمايم المدايح وتهطل به غمايم المنايح ناضر الحديقه باطر الحدقة الي الحقيقه
طلبه السلطان الي القضاء فوقف حذاء الجدار وعطف عذار الاعذار ورد عليه ما
ولاه من حكمه واراه منه ما ود كثيرا لو راه في حلمه بعزم ايد جاش جاشه وعاش
انتعاشه حتي تقشع عنه غم ذلك الغمام وقد اضمحل محله وتضاءل ظله ولم يرعه طلب
السلطان وقد اناه بتهويم وهمه واسهمه لكن لما اشغله بهمه وفتح في الرد وما
وجم ولا وجل ولا خشع ولا خجل فقبل منه المعذره وازال عنه ما حذره فاعفاه العاتب
من اللوم وعفا عما كان منه الي اليوم كان من جلة الفقهاء المتورعين وافاضل
الشيوخ وعرض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل فوكل به الوزير ابو الحسن
علي بن عيسي بداره مترسما فخوطب في ذلك فقال انما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا
من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل وكان يعاتب ابا العباس ابن سريج علي توليته
ويقول هذا الامر لم يكن فينا وانما كان في اصحاب ابي حنيفة وكانت وفاته يوم

الثلثا لليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلث مايه قال ابو العلاء
ابن العسكري وقال الدارقطني كانت وفاته في حدود سنة عشر وثلثمايه
وصوبه ابو بكر الخطيب

ومنهم عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري الفقيه
الحافظ العلامة الشافعي امام انوار فضايله متلاليه واثار فضايله متتاليه
وسحب مواطره مغدقه وشهب خواطره محدقه وله المصنفات التي لم يزل
فكره السيال منها فيض كرم وروض نعم وشذا التصنيف اريج وسنا التاليف
بهيج بقلم قلم اظفار النوايب وفل اكدار الشوايب ودام علي حالي حالة
حتي قارب اوان ارتحاله بلغ به الكبر غايته وما خار له انبوب ولا حار يعبوب
في جنب ما للبلاغة فيه بلاغ ولا للخواطر فراغ اذ كان البيان قد نضب واللسان
قد قطع ما اقتضب قال الحاكم كان امام عصره في الشافعية بالعراق ومن
احفظ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة وقال الدارقطني ما رايت
احفظ من ابن زياد كان يعرف زيادات الالفاظ في المتون ولما قعد للتحديث
قالوا حدث قال بل سلوا انتم فسيل عن احاديث اجاب عنها واملاها قال
يوسف سمعت ابا بكر النيسابوري يقول تعرف من اقام اربعين سنة لم ينم الليل
ويتقوت كل يوم بخمس حبات يصلي صلاة الغداة علي طهارة العشاء الآخرة ثم قال انا
هو وهذا كله قبل ان اعرف ام عبد الرحمن ايش اقول لمن زوجني ثم قال ما اراد الا
الخير وقال الدارقطني كنا في مجلس فيه ابو طالب الحافظ والجعابي وغيرهما
فجاء فقيه فسال من روي عن النبي صلي الله عليه وسلم وجعل تربتها طهورا فلم يجيبوا
ثم ذكروا وقاموا فسالوا ابا بكر ابن زياد فقال نعم يا فلان وسرد الحديث والحديث
في مسلم مولده سنة ثمان وثلثين ومايتين قال ابن قانع مات في رابع

ربيع الآخر سنة اربع وعشرين وثلث مايه

ومنهم الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل ابو سعيد الاصطخري الفقيه الشافعي قاض لا يجور وماض اقطع للباطل من سيف الصباح للديجور وقضاياه تصحح العقود وتفسح للنظر مجال النقود قام بهذا الفرض فيما وليه ووالى هذا في بلده وما يليه وجهر بهذا وليس للنطق نطاق ولا على الصدق صداق فصحت به الانساب وصحت من غمرات سكرها الاحساب فجلا الهم الماثل وجلا الغم الماحل حتى وضح الحق المبين على المنار ومنع فراش الجهالة من التساقط في النار ⁘ كان من نظراء الشيخ ابي العباس ابن سريج واقرانه على ابن ابي هريرة وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب الاقضيه وكان قاضي قم وتولى حسبة بغداد وكان ورعا متقللا واستقضاه المقتدر على سجستان فسار اليها فنظر في مناكحاتهم فوجد معظمها على غير اعتبار الولي فانكرها وابطلها وتوفي في جمدي الاخرة وقيل في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلث مايه ومولده سنة اربع واربعين وماتين

ومنهم ابو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الفقيه الشافعي رجل تحلق همته الى افاق الكواكب ارتقاء ويحير اخلاق السحايب انتقاء انفق عمره كله في طلب العلم كرما وجعل فواصله على سواه حرما فحاز فخر المناقب وجاء خاطره يبحر بالنجوم الثواقب اضحى للفواضل مجمعا وحاز الفضايل في العلم والعمل معا فتضاءلت البدور في مرقى شمسه وحرجت الصدور لمرأى غرسه وكان نظره محكا للنقد وخاطره مضطرم الوقد فلو تستر الزغل بخافي الوهم لاخرجه او جاز الزيف في دراهم النجوم لبهرجه وكان يتوقى نظره ويخافه المريب فلا يحضره فتعالى من جعل شمل الساعات به ملموما وفخر الانتساب اليه مضموما

اخذ الفقه عن ابن سريج واشتهر بالحذق في النظر والقياس وعلم الاصول وله في اصول الفقه كتاب لم يسبق اليه حكى ابو بكر القفال ان ابا بكر الصيرفي كان اعلم الناس بالاصول بعد الشافعي وهو اول من انتدب من اصحاب الشافعي للشروع في علم الشروط وصنف فيه كتابا احسن فيه كل الاحسان ⁘ وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلثين وثلث مايه

ومنهم احمد ابن ابي احمد المعروف بابن القاص الطبري ابو العباس الفقيه الشافعي رجل اتم على الامة نعمتها وسر صدور الشريعة وايمتها وصرف قلمه بماضيه صروف الايام وكفى صنوف الالام وتصانيفه كبرت نجما وان صغرت حجما ملا منها القطر الاناء فافعمه وسما الى اللسان فافحمه ولم يزل الدهر يتعصب لفضله وتمتع العيون بلالاء شمسه وبرد ظله حتى جلس مجلس ذكر كان هو فيه اول من اجاب الداعي وقدم منه على رتبة مشكور المساعي ⁘ كان امام وقته بطبرستان واخذ الفقه عن ابن سريج وصنف كتبا كثيرة جميعها صغيرة الحجم كثيرة الفايده وكان يعظ الناس فانتهى في بعض اسفاره الى طرسوس وقيل انه تولى القضاء بها فعقد له مجلس وعظ وادركته رقه وخشيه وروعة من ذكر الله فخر مغشيا عليه ⁘ ومات سنة خمس وثلثين وثلث مايه وقيل سنة ست

ومنهم ابرهيم بن احمد بن اسحق المروزي الفقيه الشافعي ابو اسحق بطل جدال بروع وفارس علم سرر عليه صدا الدروع تنقاد له الصعاب مذلله وتقبل اليه متهلله يفنا ويتردد من ردي وتعرى لسهام المعري نصب تصانيفه منارا على طرق الهدي واخصب لها انارا بها يقتدي وفوقها للحدايق الزاهره وصرفها في الحقايق التي تملا العيون الساهره فسرت كل ثلمه وجلت كل ظلمه الى ان لم يبق بقيه وحتى ذهب مثل يوم الصحو والسماء نقيه ⁘ اخذ الفقه عن

ابي العباس ابن سريج وبرع فيه وانتهت اليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج وكان امام عصره في الفتوي والتدريس وصنف كتبا كثيرة وشرح مختصر المزني واقام ببغداد دهرا طويلا يدرس ويفتي وانجب من اصحابه خلق كثير ثم ارتحل الي مصر في اواخر عمره فادركه اجله فتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين وثلث مايه ودفن قريبا من الامام الشافعي

ومنهم ابو بكر محمد بن علي بن اسمعيل القفال الشاشي امام عصره والذي ما فتح بابا في العلم فخاف من عسره وقف دون تحصينه كل قفال وحبت قبل فهمه مصابيح بانت تسبت لقفال وكان لا يماري انه فيما علم ذو باس شديد وفيما عرف ان نظره جديد وبما علم انه لا يقدر علي ما قفل اليه ولا ما قفل عليه وانه ممن الين الذهب له والحديد علي يديه وانه اتي بالجوهر ثم اتخذ عليه اقفالا الا انها جا فطنته التي لا تنسي وعارضته الا انها اشد قوة من الحديد ومسا ؛ كان محدثا فقيها اصوليا لغويا شاعرا لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته رحل الي خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور وسار ذكره في البلاد واخذ الفقه عن ابن سريج وهو اول من صنف الجدل من الفقهاء وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده ؛ توفي سنة ست وستين وثلث مايه في الصحيح وقيل سنة ست وثلثين وهو تصحيف

ومنهم محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد المروزي القاشاني الشافعي ابو زيد فقيه ايسر بعد الاعسار واستغني بعد عدم اليسار وكثر ماله حيث لا يقدر علي مد اليمين ولا اليسار واستطاع واوامر شهوته لا تطاع وقد ذهب اطيباه وقهر سلطان مشيبه صباه وجاور مدة بيت الله الحرام واسف طاير بعد الحيام وقام قايما علي قدم التعبد واحيا الليل بنور التهجد

والطواف بفناء ذلك البيت الذي لا يمل الملايكة اليه التردد ثم آب الي وطنه مملي بظفره لا يشكوا وعثاء سفره فاثري بعد توسد الثري واكتسي بعدما تعري وما عري لفقر طويل طالما ضم عليه اعضاءه واكثر اسخاطه ثم ارضاه اخذ الفقه عن ابي اسحق المروزي واخذ عنه ابو بكر القفال ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الدارقطني وغيره ثم خرج الي مكة فجاور بها سبع سنين وحدث هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفربري وكان حسن النظر مشهورا بالعلم حافظا للمذهب وله فيه وجوه غريبة قال ابو بكر البزاز عادلت الفقيه ابا زيد من نيسابور الي مكة فما اعلم ان الملايكة كتبت عليه خطية وقال ابو زيد رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المنام وانا بمكة كانه يقول لجبريل يا روح القدس اصحبه الي وطنه وكان في اول امره فقيرا لا يقدر علي شي وكان يعبر الشتا بلا جبة مع شدة البرد في تلك البلاد فاذا قيل له في ذلك يقول بي علة تمنعني من لبس المحشو يعني به الفقر وكان لا يشتهي ان يطلع احدا علي باطن حاله ثم اقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد اسن وتساقطت اسنانه فكان لا يتمكن من المضغ وبطلت منه حاسة الجماع فكان يقول مخاطبا للنعمة لا بارك الله فيك اقبلت حيث لا ناب ولا نصاب

ومنهم عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الداركي الفقيه الشافعي بحر خبيه الدرر وبرق خفوه المطر وفقيه هو علي الشيطان اشد من الف عابد ونبيه برمي الزمان بالاوابد الا انه لم يخل من حاسد قصد ان يضعه ومعاند ما غبر في الصدور موضعه هيهات ان يوصم دينه باختزال او يحكم باعتزاء الي اعتزال والقمر علي تمام حسنه لا بد له من عايب والفاضل من تعد له معايب ؛ نزل نيسابور سنة ثلث وخمسين وثلث مايه ودرس الفقه

بها سنين ثم انتقل الى بغداد وسكنها الى حين وفاته وعليه تفقه عامة
شيوخ بغداد وغيرهم من اهل الآفاق وكان يدرس ببغداد في مسجد دعلج بن احمد
بدرب ابي خلف وله حلقة بالجامع للفتوي والنظر وانتهى التدريس اليه ببغداد
وانتفع به خلق كثير وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه وكان يتهم
بالاعتزال وكان ابو احمد الاسفراييني يقول ما رايت احدا افقه من الداركي وكان
اذا جاءته مسئلة يفكر طويلا ثم يفتي فيها وربما افتى على خلاف مذهب الامامين
ابي حنيفة والشافعي فيقال له في ذلك فيقول ويحكم حدث فلان عن فلان عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والاخذ بالحديث اولى من الاخذ بقول
الامامين ؞ وتوفي ببغداد يوم الجمعة لثلثة عشرة ليلة خلت من شوال سنة
خمس وسبعين وثلث مايه عن نيف وسبعين سنة

ومنهم محمد بن احمد الخضري المروزي الشافعي امام مرو كان اذا حفظ
شيئا كان كانه النقش في الحجر والسواد المثل في البصر والحبيب الذي ما غاب
عن القلب منذ حضر وكان يداوم الدروس كانها انفاسه التي لا يملها ويكرر
المحافيظ كانها اكياسه التي لا يحلها راباء في الداب يحمل النفس على مكروهه
وفقها في المذهب يعرف على سمات البذور حسن وجوهه ؞ صحب ابا بكر
الفارسي وكان من اعيان تلامذة ابي بكر القفال الشاشي واقام بمرو ناشرا
فقه الشافعي وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ وقلة النسيان وله في
المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون وكان له معرفة بالحديث ايضا ؞
وتوفي في عشر الثمانين والثلث مايه

ومنهم سهل بن محمد بن سليمن بن محمد بن سليمن ابو الطيب الصعلوكي
النيسابوري الفقيه الشافعي صدر منشرح وامل منفسح لم يزل قدره رفيعا

ودهره له ربيعا وليله باعماله الصالحة صديعا وكيوان لسيف حتفه صريعا
وحسوده في نار الحقد بغيظه لا يال الاضريعا كم انفذ املاء من الاملاق
وصان اماما عن الاخفاق بعد ما طال عند غيره الطلب وانضى في قصد سواه
المطية والقتب وجرد له عزما فما اغنى ووقف لغيره فكان كواقف على دارس
المغنى وما برح يصحب الدنيا حتى فارقها بالحسنى واستبدل بالعرض الادنى
الجوهر الاسنى ؞ كان مفتي نيسابور وابن مفتيها وكان يقال له في وقته
الامام وهو متفق عليه عديم المثل في علمه وديانته وكان فقيها اديبا متكلما خرجت
له الفوايد من سماعاته وقيل انه وضع له في المجلس اكثر من خمس مايه محبرة وجمع
رياسة الدنيا والاخرة واخذ عنه فقهاء نيسابور وتوفي في المحرم سنة سبع
وثمانين وثلث مايه وقال ابو يعلي الخليلي في الارشاد انه توفي في سنة اثنتين
واربع مايه قال عبد الواحد اللخمي اصاب سهل الصعلوكي رمد فكان
الناس يدخلون عليه وينشدونه من النظم ويروون له من الاثار ما جرت به العادة
فدخل عليه ابو عبد الرحمن السلمي وقال ايها الامام لو ان عينيك راتا وجهك ما
رمدت فقال له الشيخ ما سمعت باحسن من هذا الكلام وسر به ولما مات ابوه
محمد بن سليمن كتب ابو النصر ابن عبد الجبار الى ابي الطيب المذكور يعزيه عن والده

من مبلغ شيخ اهل العلم قاطبة ... عني رسالة محزون واواه
اولى البرايا بحسن الصبر ممتحنا ... من كان فتياه توقيعا عن الله

ومنهم الحسين بن الحسن بن محمد بن حكيم الفقيه الشافعي الجرجاني
المعروف بالحليمي عرف بحلمه وعرض السداد بعزمه كان نسيج وحده وذكا
افق الذكاء وقمر سعده والمفرد بمذهبه المذهب والمنفرد بري الظماء من
مورده الاعذب بفضل يخفض مضاهيه ويسكت سقسقة مباهيه ؞ ولد بجرجان

سنة ثمان وثلثين وثلث مايه وحمل الى بخارا وكتب الحديث وتفقه على ابي بكر
الاودني وابي بكر القفال ثم صار اماما معظما مرجوعا اليه بما وراء النهر وله في
المذهب وجوه حسنة وحدث بنيسابور وروى عنه الحاكم وغيره •• وتوفي في
جمدى الاولى وقيل ربيع الاول سنة ثلث واربع مايه

ومنهم احمد ابن ابي طاهر ابن محمد الاسفرايني الفقيه الشافعي ابو حامد
كان واحد الفضل واوحده والمستاثر بجلال اثر يثبته من مجده فتحدث تارج
نجده وتبلج مجده وكان تميمة في جيد المفاخر وشيمة غراء للبحار الزواخر
واسفرت لياليه صباحا وسجرت في مجامر شقيق الشفق اقاحا ففاح عنبر
لياليه وافتر مبسم زمانه عن لاليه وكانت اوقاته كلها تتفاوح اسحارا وتتفاوت
في جني الجنات اشجارا •• انتهت اليه رياسة الدنيا والدين ببغداد • وكان يحضر
مجلسه اكثر من ثلث مايه فقيه وعلق على مختصر المزني تعاليق وطبق الارض
بالاصحاب وله في المذهب التعليقة الكبرى وكتاب البستان وهو صغير وفيه
غرايب واتفق اهل عصره على تفضيله وتقديمه في جودة النظر وقال
خطيب بغداد في تاريخه حدث ابو حامد بشي يسير عن عبد الله بن عدي وابي بكر
الاسماعيلي وابرهيم بن محمد بن عبدك الاسفرايني وكان ثقة ورايته غير مرة
وحضرت تدريسه في مسجد عبد الله بن المبارك وسمعت من يذكر انه كان
يحضر درسه سبع مايه متفقه وكان الناس يقولون لو راه الشافعي لفرح به
وروي عنه انه قال ما قمت من مجلس النظر قط فندمت على معنى ينبغي ان يذكر
فلم اذكره وروي انه قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق ثم
اتاه في الليل معتذرا اليه فانشد

• جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط وعذر اتى سرا فاكد ما فرط •
• ومن ظن ان يمحو جلي جفائه خفي اعتذار فهو في اعظم الغلط •

ومولده سنة اربع واربعين وثلث مايه • وقدم بغداذ سنة ثلث وستين ودرس
الفقه بها الى ان مات في شوال سنة ست واربع مايه • ودفن بداره ثم نقل الى
باب حرب سنة عشر واربع مايه

ومنهم احمد بن احمد بن القسم بن اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الضبي المحاملي
الفقيه الشافعي فقيه لم يكن له بغير العلم المام ولا بسواه اهتمام ولا الى غير
رايته انضمام هجر الملاذ وهجر في غير التعلق بالشواذ هذا والصبي في عنفوانه
والشباب ما البس من المشيب بيض اكفانه والنفس نزاعه والشهوة
تكثر نزاعه وعمره في النمو وقدره في السمو وزمانه لا يرمقه الا بجفن
مخادع ولا يرميه الامرا ماه خادع ورحاب الامل فسيحه وركاب الاجل ما
وقعت به طليحه حتى سرح في فناء الفضايل وتكلم وسكت كل قايل
واتى بلوامع غرر لو كن نجوما لكن بدورها او دسوتا للعلياء لكن صدورها
ضربت اليه الطلبة اباط الابل تسال ابن حطت ركابه وفي اي الارض
سرت محامله وضربت قبابه فلا تجد الا من طار وقد جدا لوداع قلبه وتاه
في تلك الحلل لا يعرف في اي المحامل قلبه •• اخذ الفقه عن الشيخ ابي حامد
الاسفرايني وله عنه تعليقة تنسب اليه ورزق الذكاء وحسن الفهم ما اربى
به على اقرانه وبرع في الفقه ودرس في حياة شيخه ابي حامد وبعده وسمع الحديث
من محمد بن المظفر وطبقته ودخل به ابوه الى الكوفة واسمعه بها وصنف
في المذهب المجموع وهو كتاب كبير وغير ذلك وصنف في الخلاف كثيرا ودرس
ببغداذ وتوفي ببغداذ في شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة واربع مايه

ومنهم ابو بكر بن عبد الله بن احمد بن عبد الله الفقيه الشافعي المعروف

بالقفال المروزي امام لا يعسر عليه قفل ولا يعرف لديه عقل تجنح الي مصابيحه قفال وتفتح بمفاتيحه اقفال لا تحط مترداديه افول ولا تحل بغير ناديه قفول ولم تحفظ ابواب التصانيف بمثل اقفاله التي تشد عليها وتسد بها الطرق فلولاه للفتح لم يتوصل اليها لطالما شبت لمعارضته نار قريحة شب مثلها فكر النافخ وهدرت عارضه مجادلة هدر رعد الصارخ وطال عمره وهو ممتع بحواسه لا يستعين وقارب المائة والعلماء معه في مثل عقد التسعين ∴ كان وحيد زمانه فقها وحفظا وورعا وزهدا وله في مذهب الشافعي ما ليس لغيره من ابناء عصره وتخاريجه كلها جيدة والزاماته لازمة واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به منهم ابو علي السنجي والقاضي حسين والشيخ ابو محمد الجويني وامام الحرمين وكل واحد من هولاء صار اماما يشار اليه ولهم التصانيف النافعة ونشروا علمه في البلاد واخذ عنه ائمة كبار ايضا وكان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعدما افنى شبيبته في عمل الاقفال ولذلك قيل له القفال وكان ماهرا في عملها ويقال انه لما شرع في التفقه كان عمره ثلثين سنة ∴ وكانت وفاته سنة سبع عشرة واربع مايه وهو ابن تسعين سنة ودفن بسجستان وقبره معروف بها يزار

ومنهم الحسين بن شعيب بن محمد السنجي الفقيه الشافعي جاد به الزمان بعد ان بخل واوصل بمثله ولم يخل حصل العلوم وجمعها وقصر النجوم وراءه وطمعها واتى بما يرقم ديباج الصحف رقم العذار للخدود والنهار للجلل الليالي السود حتى حام على منهله كل خاطر ووقف دون منهله كل ماطر واري البحار العجايب واغص القفار بالنجايب واشرق صدر الدست منه بمالك لجوانبه وكالي لسرجه من نجانبه مطل بصقره على البغاث

مقبل بجده على من كره الانبعاث تارك لسوام اهل الطلب مراده تحول مرام كل من داب منهم مراده ∴ اخذ الفقه بخراسان عن ابي بكر القفال المروزي هو والقاضي حسين وابو علي الجويني والد امام الحرمين وشرح الفروع التي لابي بكر ابن الحداد المصري شرحا لم يقاربه فيه احد مع كثرة شروحها وهو اول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان وكان فقيه اهل مرو في عصره وكانت وفاته سنة نيف وثلثين واربع مايه رحمه الله

ومنهم سليم بن ايوب بن سليم الرازي ابو الفتح الفقيه الشافعي الاديب ممن نور فهمه وصور في التحقيق وهمه بكل حركة تمنع المتحرك وتضيع تعب المستدرك وكان لاهل مذهبه الظهر الذي يقع اليه الاستناد والصدر الذي عليه الاعتماد تعرض عليه الامور الجليلة فيلتهمها ويمد يده الي المعالي فيتسلمها وكان حمى لخلطائه يرعى منهم الغايب ويحرس العايب لا يقنع لهم دون وجدان النافع بعدم الضاير ولا يرضى لهم بالشيء الا وله نظاير فما تزال مجالسه موقرة والسنة جلسائه مطهرة ∴ كان مشارا اليه في الفضل والعبادة وصنف الكتب الكثيرة قال سليم دخلت بغداد في حداثتي لطلب علم اللغة وكنت اتي شيخا هناك فبكرت في بعض الايام اليه فقيل لي هو في الحمام فمضيت نحوه فعبرت في طريقي على الشيخ ابي حامد الاسفرايني وهو يملي فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة فوجدته في كتاب الصيام في مسئلة فاستحسنت ذلك وعلقت المسئلة على ظهر جزء كان معي فلما عدت الى منزلي جعلت اعيد الدرس فحلا لي فقلت اتم كتاب الصيام فعلقته ولزمت الشيخ ابا حامد حتى علقت عنه جميع التعليق وكان لا يخلو له وقت عن الاشتغال حتى انه كان اذا برى القلم قرا القران او سبح وكذلك اذا كان مارا في الطريق وغير ذلك من الاوقات التي لا يمكن الاشتغال

فيها وسكن سليم الشام بمدينة صور متصديًا لنشر العلم وافادة الناس وكان يقول وضعت مني صور ورفعت من ابي الحسن المحاملي هذا ثم انه غرق في بحر القلزم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جدة في سلخ صفر سنة سبع واربعين واربع مايه وكان قد نيف على الثمانين ودفن بجزيرة عند الجاضر في طريق عيذاب

ومنهم طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري ابو الطيب القاضي الفقيه الشافعي جامع فضل بنه المطهر كالمساجد ومصابيحه المنورة للهاجد اجاد في المسايل الشرعيه والفضايل الشعريه ولولاه في زمانه لم يجر للتدريس ولا عرفت للفطر فطن فرد شان شانيه صاغرا ولسان حاسديه بجوبه فما فاغرا لا يتساوي البليد والبليغ والمبي والمسيغ ولم يتغير عليه حال والقوه مقويه والمواد موديه لم يزل على هذا حتى اسكت الموت شقاشق لسنه وابدل شقايق ادبه بياسمين كفنه ❊ كان ثقة صادقا دينا ورعا عارفا باصول الفقه وفروعه محققا في علمه سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب يقول الشعر على طريقة الفقهاء ❊ ومن شعره ما اورده الحافظ ابو طاهر السلفي بسنده الى ابي الطيب قال كتبت الى ابي العلاء المعري الاديب حين وافى بغداد وقد كان نزل في سويقة غالب

وما ذات در لا يحل لحالب   تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء في الحالين حيا وميتا   ومن رام شرب الدر فهو مضلل
اذا طعنت في السن فاللحم طيب   وآكله عند الجميع مغفل
وخرفانها للاكل فيها كزازة   فما لحصيف الراي فيهن ماكل
وما يجتني معناه الا مبرز   عليم باسرار القلوب محصل

فاجابني واملى الرسول في الحال مرتجلا

جوابان عن هذا السوال كلاهما   صواب وبعض القايلين مضلل
فمن ظنه كرما فليس بكاذب   ومن ظنه نخلا فليس بجهل
لحومهما الاعناب والرطب الذي   هو الحل والمزر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهي غضيضة   تمر وغض الكرم يجني ويوكل
يكلفني القاضي الجليل مسايلا   هي النجم قدرا بل اعز واطول
ولو لم اجب عنها لكنت بجهلها   جديرا ولكن من يودك مقبل

فاجبته عنه وقلت

اثار ضميري من يعز نظيره   من الناس طرا سابغ الفضل مكمل
ومن قلبه كتب العلوم باسرها   وخاطره في حدة النار مشعل
تساوي له سر المعاني وجهرها   ومعضلها باد لديه مفصل
ولما اثار الخب قاد منيعه   اسيرا بانواع البلاء مكبل
وقربه من كل فهم بكشفه   وايضاحه حتى راه المغفل
واعجب منه نظمه الدر مسرعا   ومرتجلا من غير ما يتمهل
فيخرج عن بحر وتسمو مكانه   جلالا الى حيث الكواكب ينزل
فهناه الله الكريم بفضله   محاسنه والعمر فيها مطول

فاجاب مرتجلا واملى على الرسول

الا ايها القاضي الذي بدهاته   سيوف على اهل الخلاف تسلل
فوادك معمور من العلم آهل   وجدك في كل المسايل مقبل
فان كنت بين الناس غير ممول   فانت من الفهم المصون ممول
اذا انت خاطبت الخصوم مجادلا   فانت وهم مثل الحمايم اجدل

كانك من في الشافعي مخاطب ومن قبله تملي فما نتمهل
وكيف يري علم ابن ادريس دارسا وانت بايضاح الهدي متكفل
تفضلت حتي ضاق ذرعي بشكر ما فعلت وكفي عن جوابك اجمل
لانك في كنه الثريا فصاحة واعلي ومن يبغي مكانك اسفل
فعذرك في اني اجيبك واثقا بفضلك فالانسان يسهو ويذهل
واخطات في انفاذ رقعتك التي هي المجد لي منها اخير واول
ولكن عداني ان روم احتفاظها رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها ان يصبح المسك عامرا لها وهي في اعلي المواضع تجعل
لمن كان في اشعاره متمثلا فانت امرؤ في العلم والشعر امثل
تجملت الدنيا بانك فوقها ومثلك حقا من به يتجمل

ومن شعره

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت الي فراغ الغاسل

وعاش مائة وسنتين لم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي ويستدرك علي الفقهاء الخطا ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة الي ان مات واشتغل عليه الشيخ ابو اسحق الشيرازي وقال في حقه لم ار فيمن رايت اكمل اجتهادا واشد تحقيقا واجود نظرا منه ولازمت مجلسه بضع عشرة سنة ودرست اصحابه في مسجده سنين باذنه ورتبني في حلقته واستوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت عبد الله الصيمري ولم يزل علي القضاء الي حين وفاته في شهر ربيع الاول يوم السبت لعشر بقين منه سنة خمسين واربع مايه ومولده بآمد سنة ثمان واربعين وثلث مايه

ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الفقيه الشافعي

الماوردي الذي ينفح عطرا ويملا الارض من ماء الورد قطرا بما هو اذكي من الورد الذي تحمله الغصون وتذيع الريح سره المصون ويذبل به ورد الشفق فلا يوصف بالخفر ولا يوجد منه الخبر مثل الخبر بل لو قابله الورد في غصونه لاطرق ولعلم انه ببار الحسد لماورده يحرق وعلم انه لمدا اناته وقع في جور جور والقي حما في التنور المسجور وفعل به فعل مردة العفاريت فادخل في قمقمه وسد واوثق عليه الوكاء وشد حين ارسل عليه شواظ من نار ونحاس وحبس حبس الجن لا الناس بعد ما خلع من سندس الورق ازاره وفككت من عري الغصون ازراره وسحب نجمه المريخي مصفودا من الافق واصبح مرميا علي الطرق وظل مصلوبا علي شجره منكس الراس مايل العنق وغدا يوقف له الاوان ويرمي في سوق الهوان بل هو من ورد الخد الذي تكلل بلولو العرق وتموج فلولا نار لشرب ولولا ماؤه لاحترق وجاء بما يفخر به نيسان علي الزمان ويذخر منه في ثغر البحر الجمان لا بل هو الورد الذي لا يذوي حسنه ولا يلوي غصنه والعنبر الورد الذي تفتقه الاذهان وتشققه البحار فعجز والعنبر يهان من العلم الذي يدني جني الجنان ويدوم وقد ذوي الزهر وفنيت الافنان وكان نجره الذي لا يشق وغمامه الذي لا تخمد له جمرة برق وصدر مدارسه ومصدر مجالسه ومفيد طلبته ومفيت المطامع قدر رتبته ومفي دوحة الفتيان علي عصبته ومستخرج دقايقه ومستدرج الافهام الي حقايقه والمتكلم في مذهب ابن ادريس ما حوي حاويه بما لو سمعه لسره ولو جمعه في حجراته لظهر علي الام من السره وولي القضاء فما نقص منه ولا ضره وكان من وجوه الفقهاء الشافعية من كبارهم اخذ الفقه عن ابي القسم الصيمري بالبصرة وعن الشيخ ابي حامد الاسفرايني ببغداد وكان حافظا للمذهب وله كتاب الحاوي الذي لم يطالعه

احد الاشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب وفوض اليه القضاء ببلدان كثيرة واستوطن بغداد وله تصانيف اخر منها النكت والعيون في تفسير القران الكريم وادب الدين والدنيا والاحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك والاقناع في المذهب وهو مختصر وصنف في اصول الفقه والادب وانتفع به الناس وقيل انه لم يظهر شي من مصنفاته في حياته وانما جمعها كلها في موضع فلما دنت وفاته قال لشخص يثق اليه الكتب التي في المكان الفلاني تصنيفي كلها وانما لم اظهرها لاني لم اجد نية خالصة لله تعالى لم تشبها كدر فاذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فان قبضت عليها وعصرتها فاعلم انه لم يقبل مني شي منها فاعمد الى الكتب والقها في دجلة ليلا وان بسطت يدي ولم اقبض على يدك فاعلم انها قد قبلت واني قد ظفرت بما كنت ارجوه من النية الخالصة قال ذلك الشخص فلما قارب الموت وضعت يده في يدي فبسطها ولم يقبض على يدي فعلمت انها علامة القبول فاظهرت كتبه وذكر الخطيب في اول تاريخ بغداد عن الماوردي قال كتب الي اخي من البصرة وانا ببغداد

طيب الهواء ببغداد يشوقني قدما اليها وان عاقت مقادير
فكيف صبري عليها الان حين غدا بها هواان ممدود ومقصور

وكان ابو الحسن الماوردي من اهل البصرة وما كان يوثر مفارقتها فدخل بغداد كارها لها ثم طابت له ونسي البصرة فشق عليه فراقها فلما خرج من بغداد راجعا الى البصرة كان ينشد ابيات الاحنف بن قيس

اقمنا كارهين لها فلما الفناها خرجنا كارهينا
وما حب البلاد بنا ولكن امر العيش فرقة من هوينا
خرجت اقر ما كانت لعيني وخلفت الفواد بها رهينا

وقد نسب السمعاني هذه الابيات الى ابي محمد المزني وتوفي الماوردي يوم الثلثا سلخ شهر ربيع الاول سنة خمسين واربع مايه ودفن من الغد وعمره ست وثمانون سنة

ومنهم الحسين بن محمد بن احمد المروروذي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي زين بنيره سماء الفضايل وبين بقدره قدر البدر المتضايل فاخفق مناويه واظلم مساء مساويه وله التعليقة التي صح ذهبها على التعليق وطهر مذهبها على التحقيق وجاء فيها ما لا يجي فيه نون هلال ابن هلال الا في مشقة التعريق فلم يبق من لم يتمنطق بنعمتها ويتعلق بعصمتها لما ضمنت من اشتات الفضايل في صحفها وظلت تجمع في اقطارها النابية من تحفها حتى اغنت مطالعها عن ترقب المطالع وترقي الامل في المطامع ولم يحتج في توسيع ذيل الطلب والجد الذي يحث عليه الطرب الى تقبيل الثرى وتقليب البرى فانه لم يدع قاصية من العلوم حتى حصل اكنافها وحصن اطرافها واصبحت حقايب تاليفه برحابها رابضه ولغصانها رايضه فطال حتى لم يقم احد بازائه ولا وفي بجزائه اخذ الفقه عن ابي بكر القفال المروزي وصنف في الاصول والفروع والخلاف وكان اماما كبيرا صاحب وجوه غريبة في المذهب ولم يزل يحكم بين الناس ويدرس ويفتي واخذ عنه الفقه جماعة من الاعيان وتوفي سنة اثنتين وستين واربع مايه بمروروذ

ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوران الفوراني المروزي الفقيه الشافعي ابو القسم رحل فتح له القفال الباب ومنح نعمة اللبيب علمة اللباب فلم يتخذ في الفقه ولجة لم يلجها ولا للمذهب تاجا لم يجعل له منه وجها مع توشح في العلم وترفع ان يدع نقصا لم يتم واستطالة في الكلام اذا نطق واذا اجرى الاقلام الى طلق لا يقف عنده فرس ولا يقع الا على حقيقة اذا ظن لزكا حدس

وذكا، قريحة لا شمس، كان مقدم الفقهاء الشافعية بمرو وهو اصولي فروعي
اخذ الفقه عن ابي بكر القفال الشاشي وصنف في الاصول والمذهب والخلاف
والجدل والملل والنحل وانتهت اليه رياسة الفقهاء الشافعيه وطبق الارض
بالتلامذة وله في المذهب الوجوه الجيدة، وتوفي في شهر رمضان سنة احدي
وسبعين واربع مايه بمرو عن ثلث وسبعين سنة

ومنهم ابرهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي ابو اسحق
الامام جمال الدين صاحب التنبيه المفقه به كل نبيه رجل يضرب به المثل الممثل
ويطرب به الشرف المؤثل كلمة لهوادي الكلام فرايد ولصوادي الافهام
موارد لهنه منزجني وانبوبة من قنا ببيان يفضح النجوم الزواهر في اشراقها
ويلف الغيوم المواطر في اوراقها طالما رقي الي المعالي طرفا طامحا واجري
طرفا جامحا وكان مذ كان مغري بتتبع ما اشكل لكشف غوامضه وكف
ما غطي الحق من عوارضه بهمة علية لو سقطت السحايب لهم بجمعها او الكواكب
لما رضي لكلمه بلمعها او الكتايب لولوا امامه واعينهم تفيض بدمعها عادت
علي حفظة كتبه حسن نيته وصدق سريرته وعلانيته فلم ير منهم الا من
اثري بالامال اوولي الاعمال او تصدر وجاءت منقادة اليه الامال، سكن
بغداذ وتفقه علي جماعة من الاعيان وصحب القاضي ابا الطيب الطبري كثيرا وانتفع
به وناب عنه في مجلسه ورتبه معيدا في حلقته ولما بني نظام الملك مدرسته ببغداذ
ساله ان يتولاها فابي فولاها ابا نصر ابن الصباغ مدة يسيرة ثم اجاب الي ذلك
فتولاها ولم يزل بها الي ان مات ليلة الاحد حادي عشرين جمدي الاخرة سنة ست
وسبعين واربع مايه ببغداذ ودفن من غده وكان في غاية من الورع والتشدد
في الدين قال ابن النجار انتشر فضله في البلاد وفاق اهل زمانه

بالعلم والزهد واكثر علماء الامصار من تلامذته وحكي الملك المويد صاحب
حماه انه كان مستجاب الدعوة مطرح التكلف قال ولما توجه الي خراسان برسالة
المقتدي الي السلطان ملك شاه ونظام الملك الوزير قال ما دخلت بلدا الا وجدت
خطيبها وقاضيها تلاميذي ولما مات جلس اصحابه للعزاء بالمدرسة النظاميه
فلما انقضي العزاء رتب مويد الملك بن نظام الملك ابا سعد المتولي مكانه فبلغ
الخبر نظام الملك فكتب ينكر ذلك وقال كان من الواجب تغلق المدرسة سنة لاجله
وازري علي من تولي موضعه وامر ان يدرس الشيخ ابو نصر ابن الصباغ في مكانه
ورثاه ابو القسم عبد الله بن باقيا بقوله

اجري المدامع بالدم المهراق خطب اقام قيامة الاماق
ما لليالي لا تالف شملها بعد ابن بجدتها ابي اسحاق

وله اعني ابا اسحق الشعر الحسن فمنه قوله

سالت الناس عن خل وفي فقالوا ما الي هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بود حر فان الحر في الدنيا قليل

ومنه قوله

جاء الربيع بحسن ورده ومضي الشتاء بحسن برده
فاشرب علي وجه الحبيب ووجنتيه وحسن خده

ومنهم عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد ابو نصر المعروف
بابن الصباغ ما فتحت الكتب بمثل ابواب تصانيفه المصيغه ولا تنزهت النواظر
في احسن من قوالبه المفرغه كانما توشت الوجنات بصباغه ونمت قطع الرياض
في اصباغه ومرت عليه اخلافها سحب وحيه ومرت له عليها يد مسحيه
فاخرجت منه ما طلب من الوان شتي واصباغ ما ترك في جملتها من تفاصيل

الزهر نبتا فجاء بما ظهر من الوانه واشبه الزهر في اوانه حتي جاء بما يقر
قوس قزح لتلوينه وتقر عيون الرياض لو برزت في افانينه وبعيد زمان
الربيع وقد ذهب ويواصل بصنايع صنعاء وقد انقطع الجلب وتمني العرايس
لو جليت في حلله الملونه ورفعت انماطها في افانينه المفتنه وزينت صورها
الحسان بجلابيبه المحسنه وجاء بالوان البصرة مما يقال الا انها تملا البصر
وبرا عن مصبغات المحاسن التي في تراكيب الصور والتشبيه بخضرة العذار
وحمرة الخد وبياض الجبين وسواد الطرر حرجا مما يحرك هوي او يحرض علي جوى
الله اكبر ان بالفضل لكلفا اكثر من الكلف بالحسان واكبر من ان يوصف الا
اذا جف اللسان ولقد جمع فما ابقي كتابه الشامل ولا خلي الا التحاب ودمعه
هامل ولا اغري بتمامه الا البدور بالنقص وهي كوامل بلي اباث حاسده
بليالي طوال كسهره في تصنيفه وقاسمه مقالة الناس له بشكره ولحاسده
بتعنيفه ⁘ وكان فقيه العراقين في وقته وكان يضاهي الشيخ ابو اسحق
الشيرازي ويقدم عليه في معرفة المذهب وكانت الرحلة اليه من البلاد
وكان ثقة حجة صالحا وله مصنفات مفيدة منها كتاب الشامل في الفقه وهو
من اجود كتب الشافعية واصحها نقلا واثبتها ادلة وتولي التدريس بالمدرسة
النظامية ببغداد اول ما فتحت ثم عزل عنها بالشيخ ابي اسحق وكانت ولايته لها
عشرين يوما ثم اعيد اليها بعد وفاة ابي اسحق وذكر ابو الحسن ابن الصابي ان
المدرسة المذكورة لما فرغ من بنايها امر نظام الملك وافقها ان يكون المدرس
بها ابا اسحق الشيرازي وقرروا معه الحضور في يوم السبت عاشر ذي القعدة
من سنة تسع وخمسين واربع مايه للتدريس فاجتمع الناس ولم يحضر وطلب فلم يوجد
فنفذ الي نصر ابن الصباغ واحضر ورتب بها مدرسا وظهر الشيخ ابو اسحق في مسجده

ولحق اصحابه من ذلك ما بان عليهم وفتروا عن حضور درسه وراسلوه انه ان
لم يدرس بها مضوا الي ابن الصباغ وتركوه فاجاب الي ذلك وعزل ابن الصباغ
وجلس ابو اسحق مستهل ذي الحجة فكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما
وقال ابن النجار لما مات ابو اسحق تولي ابو سعد المتولي ثم صرف في
سنة ست وسبعين واعيد ابو سعد الي ان مات وكان مولد ابي نصر سنة
اربع مايه وكف بصره في آخر عمره ⁘ وتوفي في جمدي الاولي سنة سبع وسبعين
واربع مايه وقيل بل توفي يوم الخميس منتصف شعبان منها

ومنهم عبد الملك ابن الشيخ ابي محمد عبد الله ابن يوسف ابن يعقوب الجويني
ابو المعالي الفقيه الشافعي ضياء الدين امام الحرمين امام مكة والمدينة
ونظام البلدتين الطيبة والامينة افصح الفقهاء لسانا واوضح البلغاء احسانا
لعبارته في الفقه نزعات ادبيه ونزغات عربيه كانما جاء بها من البادية
تلاعبها اعطاف ريحها وتجاذبها اطراف البداوة الي لم شيحها كانما كلامه
صفايح زبر او صحايف خبر اسري من الخطب في المسامع واسرع من الخبب
في المطامع وفي دلالته علم يضوي الحنادس ويضوع المجالس ولقد اختار
ابوه اما اخرجه من وعايها النظيف وزرع في ارضها الزاكيه منبته
الشريف ثم احتاط لمطعمه وخاط بالحمية علي فمه حتي طلع ذهبه خالصا
وسطع بدره وما طلع هلاله الا تاما لا ناقصا وقد ذكرت في ترجمة ابيه ما هو
المشهور في حسن مرباه وذكرت هنا ما ذكره ابن خلكان علي ما ياتي
وان نافاه وقد يكون هذا غير ذاك وقد يكون اياه غير ان الرواية اختلفت
وكلتاهما بتمام المراد قد وفت ⁘ تفقه في صباه علي والده ابي محمد وكان
يعجب بطبعه وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الاقبال فاتي علي جميع مصنفات

والدهِ وتصرّف فيها حتى زاد عليها في التحقيق والتدقيق ولما توفي والده
قعد مكانه في التدريس واذا فرغ منه مضى الى الاستاذ ابي القسم الاسفرايني
الاسكافي بمدرسة البيهقي حتى حصّل عليه علم الاصول ثم سافر الى بغداد
ولقي بها جماعةً من العلماء ثم خرج الى الحجاز وجاور بها اربع سنين والمدينه يدرّس
ويفتي ويجمع طرق المذهب فلهذا قيل امام الحرمين ثم عاد الى نيسابور في ولاية
السلطان الب ارسلان السلجوقي والوزير يومئذ نظام الملك فبنى له المدرسة
النظاميه بنيسابور وتولى الخطابة بها وكان يجلس للوعظ والمناظرة وظهرت
تصانيفه وحضر درسه الاكابر من الائمة وانتهت اليه رياسة الاصحاب وفوض اليه
امور الاوقاف وبقي على ذلك قريبًا من ثلثين سنةً غير مزاحم ولا مدافع مسلّم
اليه المحراب والمنبر والخطابه والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة وصنّف في
كل فنّ قال ابو جعفر الحافظ سمعت الشيخ ابا اسحق الشيرازي
يقول لامام الحرمين يا مفيد اهل المشرق والمغرب انت اليوم امام الائمه وادعى
الاجتهاد المطلق لان اركانه كانت حاصلة له ثم عاد الى تقليد الامام الشافعي
لعلمه ان منصب الاجتهاد قد مضت سنوه ومن تلاميذه ابو القسم الانصاري
وكان والده الشيخ ابو محمد في اول عمره ينسخ بالاجرة فاجتمع له من كسب يده
شيء اشترى به جاريةً موصوفةً بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من كسب يده
ايضًا الى ان حبلت بامام الحرمين وهو مستمرّ على تربيتها بمكسب الحل فلما
وضعته اوصاها ان لا تمكّن احدًا من ارضاعه فاتفق انه دخل عليها يومًا وهي متالمة
والصغير يبكي وقد اخذته امراة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منه قليلًا
فلما رآه شقّ عليه واخذه اليه ونكّس راسه ومسح على بطنه وادخل اصبعه في
فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول يسهل على ان يموت ولا

يفسد طبعه بشرب لبن غير امّه ويحكى عن امام الحرمين انه كان يلحقه
فترة في بعض الاحيان في مجلس المناظرة فيقول هذا من بقايا تلك الرضعة ومولده
في ثامن عشر المحرّم سنة تسع عشرة واربع مايه ولما مرض حمل الى قرية من اعمال
نيسابور يقال لها بشتنقان موصوفة باعتدال الهواء وخفّة الماء فمات بها ليلة
الاربعا وقت العشاء الاخرة الخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ثمان
وسبعين واربع مايه ونقل الى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد بداره ثم نقل بعد
سنين الى مقبرة الحسين فدفن بجنب ابيه وصلى عليه ولده ابو القسم واغلقت الاسواق
يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزآيه واكثروا فيه المراثي وكانت
تلامذته يومئذ قريبًا من اربع مايه واحد فكسروا محابرهم واقلامهم واقاموا على
ذلك عامًا كاملًا

ومنهم عبد الرحمن بن محمد ابو سعد المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي
النيسابوري قدوة الفقهاء واسوة القمر في البهاء تصدّر بلا ازدهاء وبلغ مدى
امانته بلا انتهاء لاذ بركنه المحراب ولاب لاستسقاء مزنه السحاب ولام الجل
قوارآه التراب ولاح ضاحكًا ففضح الغمام الانجاب وذكر من الدرّ ومن هو خلاله
ذكري وحلي حتى الاسطوانة سكري وخلف محاجر الصدف بدايع اللولؤ
شكري كان جامعًا بين العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة له يد قوية
في الاصول والفقه والخلاف تولى التدريس بالمدرسة النظاميه ببغداد بعد وفاة
شيخه ابي اسحق الشيرازي ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين واربع مايه
واعيد ابو نصر ابن الصباغ ثم عزل ابن الصباغ واعيد اليها ابو سعد المذكور
واستمرّ عليها الى حين وفاته ولما جلس للتدريس بالمدرسة المذكورة بعد الشيخ
ابي اسحق انكر الفقهاء استناده موضعه وارادوا منه ان يستعمل الادب في

الجلوس دونه ففطن وقال لهم اعلموا انني لم افرح في عمري الا بشيئين احدهما
اني جئت من وراء النهر ودخلت سرخس وعلي اثواب اخلاق لا تشبه
ثياب اهل العلم فحضرت مجلس ابي الحرث ابن ابي الفضل السرخسي وجلست في اخريات
اصحابه فتكلموا في مسئلة فقلت واعترضت فلما انتهيت في نوبتي امرني ابو الحرث
بالتقدم فتقدمت ولما عادت نوبتي استدناني وقربني حتي جلست الي جنبه وقام
لي والحقني باصحابه فاستولي الفرح علي قلبي والشي الثاني حين اهلت للاستناد
في موضع شيخنا ابي اسحق رحمة الله فذلك اعظم النعم واوفي القسم وتخرج علي
ابي سعد جماعة من الايمة وصنف في الفقه والخلاف والفرايض ودل تصانيف
نافعة ومولده سنة ست وعشرين واربع مايه وقيل سنة سبع وعشرين
وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر شوال سنة ثمان وسبعين واربع مايه ببغداد

ومنهم سهل بن احمد بن علي الارغياني الفقيه الشافعي رجل لم تكن
همته الا رضيه ولا عزمته الا رضيه وكان جملة نعماء وحلية نماء وكان للقبايح
مباعدا وللمناجح مواعدا وللمدايح بجميل خلايقه مساعدا هذا والشبيبة في
ريعانها وبارقة الصبي في لمعانها والقريحة لافحه والبديهة سافحه مع
التيقظ لافعال المروءه واعمال الفتوه هذا الي ما كان يصبغ خديه من ديم
الحياء ويجمع تسهيم برديه من الحباء ∴ كان اماما كبير المقدار في العلم والزهد
قرا علي ابي علي السنجي ثم علي القاضي حسين المروروذي وحصل طريقته حتي
قال ما علق احد طريقتي مثله ودخل نيسابور وقرا اصول الفقه علي امام الحرمين
وناظر في مجلسه وارتضي كلامه ثم عاد الي ناحية ارغيان وتقلد قضاها سنين
مع حسن السيرة وسلوك الطريق المرضية ثم خرج الي الحج ولقي المشايخ بالعراق
والجبال والحجاز وسمع منهم وسمعوا منه فلما رجع من مكة دخل علي الشيخ العارف

الحسن السمناني شيخ وقته زايرا فاشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد
ذلك وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت والانزواء وبني للصوفية دويرة من
ماله واقام بها مشغولا بالتصنيف والمواظبة علي العبادة الي ان توفي علي تيقظ من
حاله مستهل المحرم سنة تسع وتسعين واربع مايه

ومنهم عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد الروياني الفقيه الشافعي
ابو المحاسن الشهيد والقانع من الدنيا بالعيش الزهيد عبد الواحد المتعبد بالتوحيد
وابن اسمعيل الا انه كان هو الذبيح الروياني لانه راي ان متجر الاخرة الربيح
والمجاهد لنصرة الحق حتي قتل والمجاهر لخذلان الباطل حتي خذل المقتول ظلما في
ثوب السماء دمه المنقول الي جوار ربه يضاعف حسناته ويرحمه ∴ رحل الي بخارا
واقام بها مدة ودخل غزنه ونيسابور ولقي الفضلاء وحضر مجلس ناصر المروزي
وعلق عنه وسمع الحديث وبني بامل مدرسة ثم انتقل الري ودرس بها وقدم
اصبهان واملي بجامعها وصنف الكتب المفيدة ونقل عنه انه كان يقول لو احترقت
كتب الشافعي لامليتها من خاطري وكان له الجاه العريض والحرمة الوافرة في
تلك الديار وكان الوزير نظام الملك كثير التعظيم له لكمال فضله واملي بمدينة
امل وقتل بعد فراغه من الاملاء بسبب التعصب في الدين في المحرم سنة
اثنتين وخمس مايه قتلته الملاحدة في الجامع يوم الجمعة الحادي عشر من المحرم

ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي
واي علي لو وجد شيعه وطبري طبت بوس المذاهب الشنيعه عمادها رفع
مثله عمود الفجر لرواق الصباح ولا شيد به الا بناء البيت في نطاق البطاح
امام لو وجد موتما وعيان لو لم تفتح عينه علي اعمي الهراس واي هريسة واي
زبون واي عزيز يشتري منه بالمنفوس بارك الله للمغبون لا يذوي له غراس

ولا يموت بوالاجاسر وقتيل بجانب المهراس ؛ اصله من طبرستان وخرج
الي نيسابور وتفقه علي امام الحرمين الي ان برع وكان حسن الوجه جهوري
الصوت فصيح العباره حلو الكلام ثم خرج من نيسابور الي بيهق ودرس بها مدة
الي ان خرج الي العراق وتولي تدريس المدرسة النظامية ببغدا ذالي ان توفي
وقد ذكره عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور فقال كان من رؤس معيدي امام
الحرمين في الدرس وكان ثاني ابي حامد الغزالي بل اصل واصلح واطيب في الصوت
والنظر ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركيارق ملك شاه السلجوقي وحظي عنده بالمال والجاه
وارتفع شانه وتولي القضاء بتلك الدولة وكان محدثا يستعمل الاحاديث في مناظراته
ومجالسه ومن كلامه اذا جالت فرسان الاحاديث في ميادين الكفاح طارت
رؤس المقاييس في مهاب الرياح • واستفتاه الحافظ ابو طاهر السلفي في سنة
خمس وتسعين واربع مايه لكلام جري بينه وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية
وصورة الاستفتاء ما يقول الامام وفقه الله تعالي في رجل اوصي بثلث ماله
للعلماء والفقهاء تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية ام لا فكتب الشيخ تحت
السؤال نعم كيف لا وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم من حفظ علي امتي اربعين
حديثا في امر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما ؛ وسيل الكيا عن يزيد
ابن معوية فقال انه لم يكن من الصحابة لانه ولد في ايام عمر بن الخطاب واما
قول السلف ففيه لاحمد قولان تلويح وتصريح ولمالك قولان تلويح وتصريح ولابي حنيفة
تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك
وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهد والمنادم للقرد ومدمن الخمر وشعره في
الخمر معلوم ومنه قوله

اقول لصحب ضمت الكاس شملهم وداعي صبابات الهوي يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وان طال المدي يتصرم •
وكتب فصلا طويلا ثم قلب الورقة وكتب لو مددت ببياض لمددت العنان في
مخازي هذا الرجل وكتب فلان ابن فلان وقد افتي الامام ابو حامد الغزالي في مثل
هذه المسئلة بخلاف ذلك فانه سيل عمن صرح بلعن يزيد هل يحكم بفسقه
ام هل يكون ذلك مرخصا له فيه وهل كان مريدا قتل الحسين ام كان قصده الدفع
وهل يسوغ الترحم عليه ام السكوت عنه افضل ينعم بازالة الاشتباه مثابا
فاجاب لا يجوز لعن المسلم اصلا ومن لعن مسلما فهو الملعون وقد
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم
ولا يجوز لعن البهايم وقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكافر
بنص النبي صلي الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح قتله الحسين ولا امره
ولا رضاه بذلك ومهما لم يصح ذلك منه لا يجوز ان يظن كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم وقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي حرم من المسلم دمه وماله وعرضه
وان يظن به ظن السوء ومن زعم ان يزيد امر بقتل الحسين او رضي به فينبغي ان يعلم
ان به غاية حماقة فان من قتل من الاكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو اراد
ان يعلم حقيقة من الذي امر بقتله ومن الذي رضي به ومن الذي كرهه لم يقدر
علي ذلك وان كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهده فكيف لو كان في بلد بعيد
وفي زمن بعيد وقد انقضي فكيف يعلم ذلك فيما انقضي عليه قريب من اربع مايه سنه
في مكان بعيد وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الاحاديث من
الجوانب فهذا امر لا يعرف حقيقته اصلا واذا لم يعرف وجب احسان الظن
بكل مسلم يمكن احسان الظن به ومع هذا لو ثبت علي مسلم انه قتل مسلما فمذهب
اهل الحق انه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية واذا مات القاتل

فمن مات بعد التوبة والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنته فكيف بمن تاب
عن قتل ولم يعرف ان قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة
ويعفو عن السيئات فاذا لا يجوز لعن احد ممن مات من المسلمين ومن لعنه
كان فاسقا عاصيا لله تعالى ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالاجماع
بل لو لم يلعن ابليس طول عمره لا يقال له في القيامة لم لم تلعن ابليس ويقال
للاعن لم لعنت ومن عرفت انه مطرود ملعون والملعون هو المبعد من الله عز وجل
وذلك غيب لا يعرف الا فيمن مات كافرا فان ذلك علم بالشرع واما الترحم عليه
فهو جايز بل هو مستحب بل هو داخل في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمومنين
والمومنات فانه كان مومنا والله اعلم كتبه الغزالي ❊ وكانت ولادة الكيافي
ذي القعدة سنة خمسين واربع مايه ❊ وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل
المحرم سنة اربع وخمس مايه ببغداد ودفن في تربة الشيخ ابي اسحق وحضر دفنه
الشريف ابو طالب الزينبي وقاضي القضاه ابو الحسن الدامغاني وكان مقدم
الطايفة الحنفيه وكان بينه وبينهما منافسة في حال الحياة فوقف احدهما عند
قبره والاخر عند رجليه فقال ابن الدامغاني متمثلا قوله

وما تغني النوادب والبواكي ❊ وقد اصبحت مثل حديث امس

وانشد الزينبي متمثلا

عقم النساء فلم يلدن شبيهه ❊ ان النساء بمثله عقم

ومنهم محمد بن محمد بن محمد بن احمد ابو حامد الغزالي حجة الاسلام ومحجة
دار السلام ذو الطرح الغريب والترح القشيب والبز الرفيع العجيب نسيج
وحده ونسيب الروض في برده ما امتدت الى دقايقه اللواحظ الغزاله
ولا شرقت مثل جلله مجاجة الغزاله مع ادب مات وما بلغه المقتل وتجب

تجاذب من اطرافه مثل هداب الدمقس المفتل ينصت من حديثه الى ارق سمر
ولا نفني غلايله وقد زررت ازرارها على القمر فقد كان قمر الشافعية الذي لا
يعروه نقصان وسمر الرفاق يسمر الخرصان وله في التصوف مقامات لا يدعي
الجريري شبهها حيث ذهب ولا يموه في مماثلتها جريرة الذهب ❊ اشتغل في مبدا
امره بطوس ثم قدم نيسابور واختلف الى دروس امام الحرمين وجد في الاشتغال
حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الاعيان المشار اليهم في زمن استاذه وصنف
في ذلك الوقت وكان استاذه يتبجح به ولم يزل ملازما الى ان توفي امام الحرمين
فخرج من نيسابور ولقي نظام الملك فاكرمه وعظمه وبالغ في الثناء عليه وكان
بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس وظهر
عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان ثم فوض اليه الوزير تدريس النظاميه
ببغداد فدرس بها في جمدي الاولى سنة اربع وثمانين واربع مايه واعجب به اهل
العراق وارتفعت عندهم منزلته ثم ترك جميع ما كان عليه سنة ثمان وثمانين واربع مايه
وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج فلما رجع توجه الى الشام فاقام بدمشق
مدة يذكر الدرس في الزاوية الغربية من الجامع الاموي ثم انتقل الى البيت المقدس
واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية
مدة ويقال انه قصد منها الركوب في البحر الى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالامير
يوسف بن تاشفين صاحب مراكش فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف المذكور
فصرف عزمه عن تلك الناحيه ثم عاد الى وطنه بطوس واشتغل بنفسه
وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون ثم الزم بالعود الى نيسابور والتدريس بها
بالمدرسة النظامية فاجاب الى ذلك بعد تكرار المعاودات ثم ترك في وطنه واتخذ
خانقاه للصوفيه ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع اوقاته على وظايف

الخير من ختم القران ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الي ان انتقل
الي ربه يوم الاثنين رابع عشر جمدي الاخرة سنة خمس وخمس مايه ∴ وقد اورد له
عماد الدين الاصبهاني في الخريدة

حلت عقارب خده في صدغه قمرًا يجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها فمن العجايب كيف حلت فيه

ومما اورد له قوله

هبني صبوت كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خد ازهر
اني اعتزلت فلا تلوموا انه اضحي يقابلني بوجه اشعري

ومنهم محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشي الاصل الفارقي المولد
فخر الاسلام المستظهري الشافعي ابو بكر عمامة راس وزينة لباس
تاج شرف ومنهاج علم ما اخذ منه بطرف زعم ليتواضعه اذ راس وجلس
للتدريس حاسدًا درس انه انما ساد وقد خلت البقاع وشب شبله اذ ثكلت السباع
وما ذلك كما زعم بل ساد والبقاع ما خلت وشب والسباع ما ثكلت لسيادة
استحقها وزينة استوجب حقها ∴ تفقه اولا بميافارقين ثم رحل الي بغداد
ولازم الشيخ ابا اسحق الشيرازي وقرا عليه واعاد عنه ودخل نيسابور صحبة
الشيخ ابي اسحق وتكلم في مسئلة بين يدي امام الحرمين فاحسن فيها وعاد الي
بغداد وانتهت اليه رياسة الطايفة الشافعيه وصنف التصانيف الحسنه
ودرس بنظامية بغداد في شعبان سنة اربع وخمس مايه ولما ذكر بها الدرس
وضع منديله علي عينيه وبكي كثيرا وهو جالس علي السدة التي جرت عادة
المدرسين بالجلوس عليها ∴ وانشد

خلت الديار فسدت غير مسود ومن البلاء تفردي بالسودد

وجعل يردد هذا البيت ويبكي اسفا لخلو الزمان وذهاب اهله حتي هتف
باسمه وقيل فلان ∴ وتوفي يوم السبت خامس عشرين شوال سنة سبع وخمس مايه
ببغداذ ودفن مع الشيخ ابي اسحق في قبر واحد

ومنهم اسعد ابن ابي نصر ابن ابي الفضل الميهني الفقيه الشافعي مجد الدين
ابو الفتح حاز الفخر الفخم والشرف الضخم وارتد عنه كل مناظر لا يبرز جوهر
صدفه ولا يجلي قمر سدفه بجدل الزم للخصم من الظل واثبت في الصدر
من الغل وكان لا يزال خصيمه معه كلما كتب مجا وكلما صور رجا وهو لا
يستطيع معه الان يصبر علي مضض ويبصر عن مرض يرجو رواج بهرجه
وهو زيف ويبدي المحكم وهو ضيف ويومل ان يقاوم حقيقة اليقظة
وهو مجاز طيف ∴ تفقه بمرو ثم رحل الي غزنه واشتهر بتلك الديار وشاع
فضله ثم ورد بغداذ وفوض اليه التدريس بالنظامية مرتين وخرج الي العسكر
فتولي غيره مكانه وكان اماما مبرزا في الفقه والخلاف وله فيه تعليقة مشهورة
اشتغل عليه الناس وانتفعوا به وبطريقته الخلاف فيه قال ابو سعد
السمعاني في ذيله قدم علينا من جهة السلطان محمود السلجوقي رسولا الي
مرو ثم توجه رسولا الي بغداذ الي همذان فتوفي بها سنة سبع وعشرين
وخمس مايه قال السمعاني سمعت ابا بكر محمد بن علي الخطيب يقول
سمعت فقيها من اهل قزوين كان يخدم الامام اسعد في اواخر عمره بهمذان
قال كنا في بيت وقت ان قرب حاله فقال لنا اخرجوا عني من ههنا فخرجنا
فوقفت علي الباب وتسمعت فسمعته يلطم وجهه ويقول يا حسرتي علي ما
فرطت في جنب الله وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردد هذه الكلمة الي ان مات

ومنهم محمد بن يحيي ابن ابي منصور النيسابوري محيي الدين ابو سعد استاذ

المتاخرين واوحدهم علما وزهدا وعلي حل زي لا وهذا علاجه ودني رفله
وعرف به معني الغزالي الذي ما حاكته خيوط الغمام ومامات ابو حامد
حتي حمد منه خلفا وشيد للطلبة كنفا واورد ما صفا وجدد ما عفا
واطلع منه بدرا لا يسكن سدفا بل شمسا اتخذت لها في كل بيت بها شرفا
فما اخلف له وعد ولا خلا الي حركة الا كان فيها ابا سعد * تفقه علي ابي حامد
الغزالي وغيره وبرع في الفقه وصنف فيه وفي الخلاف وانتهت اليه رياسة
الفقهاء بنيسابور ورحل اليه الناس من البلاد واستفاد منه خلق كثير
صار اكثرهم سادة واصحاب طرق في الخلاف وكان له حظ في التذكير
واستمداد من ساير العلوم ودرس بنظامية نيسابور ثم درس بمدينة هراه
بالنظامية وحضر بعض فضلاء عصره درسه وسمع فوايده وحسن القايه
فانشده

رفات الدين والاسلام تحيا بمحيي الدين مولانا ابن يحيي
كان الله رب العرش يلقي عليه حين يلقي الدرس وحيا

ومن شعر ابي سعد المذكور

وقالوا يصير الشعر في الماء حية اذا الشمس لاقته فما خلته صدقا
فلما التوي صدغاه في ماء وجهه وقد لسعا قلبي تيقنته حقا

توفي شهيدا في رمضان سنة ثمان واربعين وخمس مايه بنيسابور ودس في
فيه التراب وكان استشهاده في وقعة السلطان سنجر السلجوقي

ومنهم ابو القسم عمر

بن احمد بن محمد بن احمد بن عكرمة المعروف
بابن البرزي الجزري الفقيه الشافعي امام جزيرة ابن عمر زين الدين جمال
الاسلام ومال امالي الاقلام وزين الدين ح بن محمد عليه الصلاة والسلام
جمل الاسلام باتساع علمه واوي الامالي الي شعاع فهمه وزين الدين بالجوهر
جوهر بمه واضاء في الليالي السالفة اضاءة القمر في تمه وجاء في الايام
الذاهبة طرازا لعصرها وطرافا ممدودا علي ابناء عمرها وطرادا في حلبة
السبق فابلته صافيه العصور بعذرها * تفقه اولا بالجزيرة ثم رحل الي
بغداد واشتغل علي الكيا الهراسي والغزالي وصحب الشاشي وادرك جماعة
من العلماء واستفاد منهم ورجع الي الجزيرة ودرس بها وقصد من البلاد
الاشتغال بطريقته وكان من العلم والدين في محل رفيع وكان احفظ من
بقي في الدنيا علي ما يقال لمذهب الشافعي وكان الغالب عليه المذهب وانتفع
به خلق كثير مولده سنة احدي وسبعين واربع مايه * وتوفي ثاني شهر ربيع الاول
وقيل الاخر سنة ستين وخمس مايه بالجزيرة وما خلف مثله وله تلامذة
كثيرون

ومنهم عبد الله بن محمد

بن هبة الله بن مطهر ابن ابي عصرون التميمي
الحديثي ثم الموصلي الفقيه الشافعي شرف الدين ابو سعد ذو علم يهتدي
بكوكبه وعلم يقتدي بموكبه وحلم تردي رداوه علي منكبه وعلا
قد اخذ بلمة النجم ولم يزاحمه بمنكبه وتقدم في تلك الايام والسيوف
تنتضي وديون الدين تقتضي والخصم لا ينقاد الا لحاكم الحتوف ولا
يذعن الا لقضاء السيوف فقوي الله به منة الاسلام وشدها واورف
ظلال الاحكام ومدها وطعن بخطيته الثغور فنحور العدي همها وثغور
الاسلام سدها واقام الهيبة فنكست الرؤس وعزم في مجلسه الهوي
وكثر الناموس * كان من اعيان الفقهاء وفضلاء عصره وممن سار ذكره
وانتشر امره قرا في صباه القران الكريم وتفقه وقرا الخلاف وتوجه

الي واسط فقرا على قاضيها الشيخ ابي علي الفارقي واخذ عنه فوايد المذهب
ودرس بالموصل في سنة ثلث وعشرين وخمس مايه واقام بسنجار مدة ثم
انتقل الي حلب سنة خمس واربعين ثم قدم دمشق لما ملكها السلطان
الشهيد نور الدين ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المنسوبة الي
الامام ابي حامد الغزالي وتولي اوقاف المساجد ثم رجع الي حلب واقام
بها وصنف كتبا كثيرة في المذهب كل مصنف في عدة مجلدات واشتغل عليه
خلق كثير وانتفعوا به وتعين بالشام وتقدم عند نور الدين الشهيد وبني له
المدارس بحلب وحماه وحمص وبعلبك وغيرها وتولي القضا بسنجار ونصيبين
وحران وغيرها من ديار بكر ثم عاد الي دمشق في سنة سبعين وخمس مايه
وتولي بها القضآء سنة ثلث وسبعين عقيب انفصال القاضي ضيا الدين
الشهرزوري ثم عمي في اخر عمره قبل موته بعشر سنين ابنه محيي الدين وهو
باق على القضاء وصنف جزا لطيفا في جواز قضاء الاعمي وهو على خلاف مذهب
الشافعي وذكر ابو الحسين العمراني صاحب كتاب البيان فيه وجها
انه يجوز وهو غريب وكتب السلطان صلاح الدين بخطه من دمشق الي
القاضي الفاضل بمصر فصولا من جملتها حديث الشيخ شرف الدين ابن
ابي عصرون وما حصل له من العمي وانه يقول ان قضاء الاعمي جايز وان الفقهاء
قالوا انه غير جايز فتجتمع بالشيخ ابي الطاهر ابن عوف الاسكندراني
وتسأله عما ورد من الاحاديث في قضاء الاعمي هل يجوز ام لا وبالجملة فلا شك في
فضله وقد اثني عليه عماد الدين الكاتب في الخريدة وقال ختمت به الفتاوي
وذكر له شيا من شعره منه قوله
اومل ان احيا وفي كل ساعة تمر بي الموتي تهز نعوشها
وهل انا الا مثلهم غير ان لي بقايا ليال في الزمان اعيشها
واورد ايضا في الخريدة قوله
اومل وصلا من حبيب وانني على ثقة عما قليل افارقه
تجاري بنا خيل الحمام كانما يسابقني نحو الردي واسابقه
فيا ليتنا متنا معا ثم لم نذق مرارة فقدي ولا انا ذايقه
واورد ايضا قوله
يا سايلي كيف حالي بعد فرقته حاشاك مما بقلبي من تنايبكا
قد اقسم الدمع لا يجفو الجفون اسي والنوم لا زارها حتي الاقيكا
واورد له ايضا
وما الدهر الا ما مضي وهو فايت وما سوف ياتي وهو غير محصل
وعيشك فيما انت فيه فانه زمان الفتي من مجمل ومفصل
ومولده يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين واربع مايه
بالموصل وتوفي ليلة الثلثاء الحادية عشر من شهر رمضان سنة خمس وثمانين
وخمس مايه بدمشق ودفن بمدرسته التي انشاها داخل البلد وهي معروفة به
ولما توفي ورد من القاضي الفاضل تعزية فيه جوابا عن كتاب جاء في ذلك وهي
وصل كتاب الحضرة جمع الله شملها وسر بها اهلها ويسر الي الخيرات سبلها
وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها وفيه زيادة هي نقص الاسلام وثلم
في البرية تجاوز الانثلام الي الانهدام وذلك ما قضاه الله من وفاة الامام شرف الدين
ابن ابي عصرون رحمه الله وما حصل بموته من نقص الارض من اطرافها ومن
مساءة اهل الملة ومسرة اهل خلافها فلقد كان علما للعلم منصوبا وبقية
من بقايا السلف الصالح محسوبا وقد علم الله اغتمامي لفقد حضرته واستيحاشي

لخلو الدنيا من بركته واهتمامي بما عدمته من النصيب الموفور من ادعيته
ومنهم الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلي الفقيه الشافعي
فقيه فاضل وامام رب فواضل وهمام لا يثبت له مناضل له في العلم آثار
بقيت بعده رياضا واشرقت اشراقا لا ايماضا هذا الى صدق سريرة
وحسن سيرة وتقلل من الدنيا الكثيرة واخبار ند في الاندية وعقد
في الاسماع المصغية تروى بكل لسان وتوصف اوصاف الحسان تحكي
عن زمانه النضير وفنونه التي لا تحدث في افنانها الا عن الخضير كان
فقيها فاضلا عارفا بالمذهب والفرايض والخلاف اشتغل ببغداد على الكيا
الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ثم رجع الى اربل وبنى بها له
الامير ابو منصور سرفتكين الزيني نايب صاحب اربل مدرسة القلعه
سنة ثلث وخمسمايه ودرس فيها زمانا وهو اول من ذكر الدرس باربل
وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك وله
كتاب ذكر فيه ستة وعشرين خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم وكلها
مسندة واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وكان رجلا صالحا زاهدا
عابدا ورعا متقللا ونفسه كان مباركا وقدم دمشق واقام بها مدة ثم
رجع الى اربل وتوفي بها في رابع عشر جمدي الاخرة سنة سبع وستين
وخمسمايه ودفن بمدرسته التي بالربض في قبة مفردة وقبره يزار ومولده
سنة ثمان وسبعين واربع مايه

ومنهم محمد بن يونس بن محمد بن ملك بن محمد عماد الدين ابو حامد
رجل من رجال الشرع المطهر وبطل من الفقهاء دونه البطل المشتهر
عالم من العلماء وعامل على طريق القدماء طلب العلم طلبا شرف قدره

في الانام وشرد عن جفنه المنام ومنع خده ان يستقر على وساد وجنبه
ان يلامس مضجعا حتى شرف وساد وصحب الايام على هذا الاجتهاد وقطع
الليالي في هذا الجهاد ولم يدع بحرا ولا ثمادا ولا ربعا ولا جمادى حتى جاز في
السبق امادا ونصب للدين عمادا وانثنت وفود الطلب تمد مطيها الاعناق
وترد من جواهره بالاعلاق كان امام وقته في المذهب والاصول والخلاف
وله صيت عظيم وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال وتخرج
عليه خلق كثير صاروا ائمة مدرسين يشار اليهم وكان مبدا اشتغاله
على ابيه بالموصل ثم توجه الى بغداد وتفقه بالنظاميه وعاد الى الموصل وخطب
بالجامع المجاهدي ودرس بها بمدارس وصنف في المذهب وتقدم في دولة
نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل تقدما كثيرا وتوجه عنه رسولا
الى بغداد غير مرة والى الملك العادل وناظر في ديوان الخلافه في مسئلة
شرى الكافر للعبد المسلم في سنة ست وتسعين وخمسمايه وولي القضاء
بالموصل وكان شديد الورع والتقشف لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله
ولا يمسك قلم الكتابة الا ويغسل يده وكان دمث الاخلاق لطيف
الخلوة ملاطفا بحكايات واشعار وكان كثير المواظبه لنور الدين صاحب
الموصل يرجع اليه في الفتاوي ويشاوره في الامور ولما توفي نور الدين
سنة سبع وستمايه توجه الى بغداد بسبب تقرير ولده الملك القاهر
مسعود فعاد وقد قضى الشغل ومعه الخلعة والتقليد فتوفرت حرمته
عند القاهر اكثر مما كانت عند ابيه وكان مكمل الادوات غير انه لم
يرزق سعادة في تصانيفه فانها ليست على قدر فضايله وولد بقلعة اربل
سنة خمس وثلثين وخمسمايه في بيت صغير منها ولما وصل الى اربل في بعض

رسايله دخل ذلك البيت وتمثل بالبيت المشهور وهو

بلادٌ بها نيطت عليّ تمايمي واول جلدٍ مسّ جلدي ترابها

وتوفي يوم الخميس تاسع عشر جمدي الاخره سنة ثمان وست مايه وكان الملك المظفر صاحب اربل يقول رايت الشيخ عماد الدين في المنام بعد موته فقلت له ما متّ فقال بلى ولكنني محترم

ومنهم احمد بن موسي بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الفقيه الشافعي شرف الدين جري لسنا وآبايه ومضي علي ما عرف من ابنايه ومثلهم في المشاهد حضورا وفي المعاهد بدورا واحلهم في المحافل صدورا فقاموا به من خفر الجود وقالوا فلم يستطع الخلق الجحود فكان يفيث القمر اللايح ويفيد العنبر الفايح ويؤيد الشريعة المطهرة بتقريره لقواعدها وانجازه لمواعدها ومحاماته عن جنابها المحمي ومراماته لمنكر فضلها العلمي حتي غدت لشهبه محروسة السماء مانوسة الارجاء في الظلماء لا يختطف الخطفة منها مارد ولا يذاد عن حياضها وارد كان اماما كبيرا فاضلا عاقلا حسن السمت جميل المنظر شرح التنبيه فاجاد واختصر احيا علوم الدين للغزالي مختصرين كبيرا وصغيرا فاحسن وكان يلقي منه في جملة دروسه درسا حفظا وكان كثير المحفوظات غزير المادة وهو من بيت العلم والرياسه والفضل وبسج علي منوال والده في التفنن في العلوم وتخرج عليه جماعة كثيرة وتولي التدريس باربل بمدرسة الملك المعظم ثم انتقل الي الموصل بعدان حج ودرس بالقاهريه واقام بها ملازما للاشتغال والافادة الي ان توفي يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الاخر سنة خمس وسبعين وست مايه وكان من محاسن الوجود

ومنهم عبد العزيز بن عبد السلام ابن ابي القسم ابن حسن السلمي الدمشقي شيخ الاسلام عز الدين ابو محمد بحر لا حدّ له من ايمة الاسلام وعلم لا يمكن تعريفه كبقية الاعلام كان منتصرا المذهب ابي الحسن الاشعري منتصبا الخصم خصمه الجري شديد البغضاء لاهل التجسيم قد اورثهم سل الانتقام وسل عليهم الانتقام وسلط عليهم التضييق في كل مقام وكان سيفا من وقف امامه طرق وسيلا من جاء قدامه غرق ونارا لا تبوخ وارضا لا تسوخ ورواشق سهامه لا تخطي المواقع وبوايق فكره لا تحل الاعداء الا البلاقع الي ان دالت دولة الاشرف شاه ارمن موسي ابن العادل واستمر مريرها وخضع منبرها له وسريرها وكان يميل الي هذه الخرقه ويظن انها المحقه حتي انست له اكثر حقوقه وجرت مجري الدم في عروقه فاخذ في معارضته وتشكيت معارضته ويابي هو الا ان يجري علي غلوآيه ويسري علي اضوآيه والاشرف قد اشرف في خلافه واشرف علي اتلافه الا ان الله انجده بالحصيري امام الحنفيه فدخل علي الاشرف القلعة وهو علي حماره لم ينزل عنه الا علي فرش داره وقام الملك الاشرف حتي كان هو الذي نزله وتلقاه وبجله ثم اجلسه مكانه وبذل في كرامته امكانه واقبل عليه فراه الاشرف قابلا علي ابن عبد السلام قايلا انه علي معتقده هو ومن دان دين الاسلام فلم يسمع الاشرف الرد عليه ولا سلم بباطنه اليه فقوي ابن عبد السلام بعد ان وهن وتكلم بعد ان سكت وتراجعت سورة غضبه لربه وترادت عزيمته الي جهاده وذبه وكان اخر حاله انه نفي وكفوا همه وكفي ولد سنة سبع وسبعين وخمس مايه او في التي بعدها وسمع حضورا من احمد بن حمزة بن الموازيني وبركات بن ابرهيم الخشوعي وسمع من عبد اللطيف ابن ابي سعيد

والقسم ابن عساكر وطايفة من المشايخ ولم يكثر من السماع حدث عنه الدمياطي
وابن دقيق العيد وابو الحسين اليونيني وشهاب الدين ابن فرج والقاضي
جمال الدين محمد بن سوم المالكي وعلم الدين الدواداري وخطيب حلب ابو عبد الله
ابن بهرام والمصريون وبرع في العربية والاصول وبلغ رتبة الاجتهاد وتخرج
به الاصحاب وانتهت اليه معرفة المذهب مع الذكاء المفرط وسعة المعرفة وفقه
النفس والعبادة والنسك والقول بالحق المر وقد ولي خطابة دمشق بعد الدولعي
قال الشريف عز الدين في الوفيات حدث ودرس وافتى وصنف
وولي الحكم بمصر مدة والخطابة بجامعها العتيق وكان علم عصره في العلم جامعا
لفنون متعددة عارفا بالاصول والفروع والعربية مضافا الي ما جبل عليه من
ترك التكلف والصلابة في الدين وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه ولي
الخطابة فلما تملك دمشق الملك الصالح اسمعيل واعطى الفرنج الشقيف وصفد
تالم الشيخ ونال من الصالح وترك الدعا له في الخطبة عمدا فعزله واعتقله
ثم اطلقه فنزح هو وابن الحاجب الي مصر فتلقاه السلطان نجم الدين وبالغ في
احترامه الي الغاية واتفق موت قاضي القاهرة شرف الدين ابن عين الدولة
فولي بعده قاضي القضاه بدر الدين السنجاري ولي قضا مصر نفسها والوجه
القبلي الشيخ عز الدين مع خطابة جامع مصر فاتفق ان بعض غلمان الصاحب
معين الدين ابن الشيخ بنى بنيانا علي سطح مسجد بمصر وجعل فيه طبلخاناة الصاحب
فانكر الشيخ عز الدين ذلك ومضى بجماعته وهدم البنا وعلم ان السلطان والصاحب
يغضب من ذلك فاشهد على نفسه باسقاط عدالة معين الدين وعزل نفسه
عن القضاء فعظم ذلك علي السلطان وقيل له اعزله عن الخطابة والا شنع علي
المنبر كما فعل بدمشق فعزله فاقام في بيته يشغل الناس وكانت عند الامير

حسام الدين ابن ابي علي شهادة تتعلق بالسلطان فجاء لاداىها فنفذ يقول
للسلطان هذا ما اقبل شهادته فتاخرت القضية ثم اثبتت على السنجاري ولد
افعال من هذا الجنس محفوظة وقد رحل الي بغداد فاقام بها اشهرا وذلك في سنة
سبع وتسعين وكتب عبد الملك ابن عساكر ان الشيخ عز الدين لما
ولي خطابة دمشق فرح به المسلمون اذ لم يصعد هذا المنبر من مدة مديدة في
علمه وفتياه وكان لا يخاف في الله لومة لايم لقوة نفسه وشدة تقواه فامات
من البدع ما امكنه فغير ما ابتدعه الخطباء وهو لبس الطيلسان للخطبة والضرب
بالسيف ثلث مرات واذا قعد لم يؤذن الا واحد وترك الثنا ولزم الدعا وكانوا
يقيمون للمغرب عند فراغ الاذان فامرهم بالتمهل وكانوا في دبر كل صلاة يقولون
ان الله وملايكته يصلون فامرهم ان يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له
الحديث ولما مرض بعث الملك الظاهر يقول عين مناصبك لمن تريد من اولادك
فقال ما فيهم من يصلح وهذه المدرسة الصالحيه تصلح للقاضي تاج الدين ففوضت
اليه بعده قال قطب الدين اليونيني كان رحمه الله مع شدته فيه
حسن محاضره بالنوادر والاشعار وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد مات
في عاشر جمدي الاولي سنة ستين وست مايه وشهد جنازته الملك الظاهر
والخلق وقال ابو شامة شيعه الخاص والعام ونزل السلطان
قال وعمل العزاء له في جامع العقيبة وكان مقتصدا في لباسه تاركا للتكبر
مقدما في العلم والعمل ومن نظر في تصانيفه عرف قدره
ومنهم محمد بن احمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر قاضي القضاه ذو الفنون
شهاب الدين ابو عبد الله ابن قاضي القضاه شمس الدين ابي العباس الخوي
غمام لا ينزف من العلوم ومنهل لكل طالب منه سرب يوم معلوم جبل اذا

استقرت الحلوم ونارا اذا جف ويبس حطب الظلوم ولذلك الوالد الذي نشأت من بحره سحابه وتلألأ من شمسه شهابه وولي القضاء بالديار المصرية ثم بالشام فقرت به قرارته وكان قمر الطالع ودارة دارته ولاذت به الطلبة فكمل نشأتها واحيا في ظلمة الليل ناشئها ونوه باهل الاستحقاق ونول ما ازال الشقاق وكان على كرمه ربما بخل وضن وطالما وهب سجاياه الغمام وبخل قال شيخنا ابن الزملكاني لو لم يقدر الله ان ابن الخويي يجي الى دمشق لما جاء منا فاضل وبه انتفع الجماعة ابن الوكيل وابن الزملكاني وابن الفركاح وغيرهم واشتغلوا عليه واذن لهم بالفتوى ثم كان ينبه عليهم ويذكرهم بالعلم والفضيلة ولد في شوال سنة ست وعشرين وست مايه ونشا بدمشق في صغره ومات والده وهو ابن احد عشر سنة فبقي منقطعا بالعادلية ثم ادمن الدرس والسهر والتكرار مدة بالمدرسة وحفظ عدة كتب وعرضها وتنبه وتميز على اقرانه وسمع في صغره من ابن اللتي وابن المقير والسخاوي وابن الصلاح واجاز له خلق من اصبهان وبغداد ومصر والشام وخرج له تقي الدين ابن عبيد الحافظ معجما حافلا وحدث بمصر ودمشق وصنف كتابا كبيرا في مجلد يحتوي على عشرين علما واجاز له عمر بن كرم وابو حفص السهروردي وابن منده وهذه الطبقة ولازم الاشتغال في كبره وصنف وشرح الفصول لابن معطي ونظم علوم الحديث لابن الصلاح والفصيح لثعلب وكفاية المتحفظ وشرح من اول الملخص للقابسي خمسة عشر حديثا في مجلد قال الذهبي فلو تم هذا الكتاب لكان اكبر من التمهيد واحسن ابدى وله مدائح نبوية وكان من الاذكياء الموصوفين وانظار المنصفين يبحث بتودة وسكينة وبحث الذكي وبنوه

باسمه وكان حسن الاخلاق حلو المجالسة دينا متصونا صحيح الاعتقاد يحب الحديث واهله ويقول انا من الطلبة درس وهو شاب بالدماغية ثم ولي قضاء القدس قبل هولاء قال الذهبي ثم انتقل الى القاهرة فولي قضاء القاهرة والوجه البحري خاصة اقتطع له من ولاية الوجيه البهنسي واقام البهنسي على قضاء مصر والوجه القبلي الى ان توفي قال ابو حيان تولى القضاء بالمحلة من الغربية ثم تولى قضاء القاهرة وما ينسب اليها انتهى وتولى موضعه تقي الدين ابن بنت الاعز ثم نقل الخويي الى الشام ومات الخضر السنجاري فجمع قضاء الديار المصرية لابن بنت الاعز ولما مات ابن الزكي بدمشق نقل ابن الخويي اليها سمع منه ابن الفرضي والمزي والبرزالي والختني وغيرهما وروى صحيح البخاري بالاجازة نوبة عنا وسمع منه خلق قال ابو حيان سمعنا عليه مسند الدارمي انتهى وكان يعرف من العلوم التفسير والاصولين والفقه والنحو والخلاف والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة وحكى لي شيخنا شهاب الدين ابو الثناء محمود الحلبي رحمه الله قال حججت وكان من جملة الحاج في تلك السنة قاضي القضاه شهاب الدين الخويي فلما كان بالموقف تذاكرنا ما ورد في فضل يوم عرفة وما ينزله الله تعالى من الرحمة والمغفرة لاهل الموقف حتى ذكرنا حديث من ذكرني في نفسه فقال القاضي شهاب الدين الخويي ليت شعري هل ذكرنا بالملاء الاعلى واذا شخص بيادي على كتاب لا ندري ما هو فقلت للخويي ننظر في هذا الكتاب ما هو وناخذ منه فالا في معنى ما نحن فيه فدعونا الرجل واخذنا منه الكتاب وفتحنا فيه فالا فاذا اول الصفحة اليمنى قول ابن الفارض

لي البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فتاملنا الكتاب فاذا هو ديوان ابن الفارض فخلع القاضي شهاب الدين الخوي ثياب احرامه ودفعها الي الرجل الذي كان معه الكتاب وسُرّ سرورًا عظيمًا لم يكن مثله ومن شعره قوله

يخفي لطفك كل سوء اتقي فامنن بارشادي اليه ووفق
احسنت في الماضي واني واثق بك ان تجود علي فيما قد بقي
انت الذي ارجوا فمالي والوري ان الذي يرجو سواك هو الشقي

ومنه قوله

اما سواك فبابه لا الطرف حسبي كريم جوده متدفق
ما ان يخاف بظل بابك واقف ظمأ وبحر نداك طام مغدق
بحبال جودك لا يزال تعلقي ما خاب يومًا من بها يتعلق
بشري لمن اضحي رجاؤك كنزه وله الوثوق بانه لا يملق

ومنه

وهبني ملكت الارض طرًا ونلت ما انيل ابن داود من المال والملك
الست اخليه وامسي مسلمًا برغمي الي الاهوال في منزل ضنك

ومنه قوله في ذم الخمر

اضحي علي ترك المدام يلومني فاجبته لما اطال ملامي
العقل انفس حلية تكسوا الفتي فخرًا فكيف ازيله بحرام

ومنه قوله

هجرت المدامة اذ حرمت وما زلت مغري بهجر الحرام
والنفس ما للفتي عقله فكيف يزال بشرب المدام

ومنه قوله

مساوي الخمر لا تحصي ولكن ساذكر بعضها فاسمع مقالي
حصول عقوبة وظهور شر وفقد بصيرة وذهاب مالي

ومنه قوله

قالت وقد ابصرت فضلي ومعرفتي ما لي اراك بعين الفقر ملحوظا
فقلت ان الغني آلي واقسم لا يحنو علي من غدا بالعلم محظوظا
فقالت ابشر بعلم قد ظفرت به فالمال يفني ويبقي العلم محفوظا

ومنهم احمد بن محمد بن ابرهيم بن ابي بكر بن خلكان البرمكي الاربلي قاضي القضاه شمس الدين ابو العباس الشافعي احنف وقته حلمًا وشافعي زمانه علمًا وحاتم عصره الذي لا يقاس به حاتم وخاتم دهره الذي ختم به علي الكرماء ولم يبق له خاتم من بقايا البرامكة الكرام والسادة الذين لينوا جانب الدهر العرام وكان زمنه مثال ذلك الزمان الذاهب وعلي منوال ذلك الاحسان والمواهب مع التخلق بتلك الخلايق التي كانما بات ليشب عنبرها ويتخير من اكليل الثريا جوهرها بحلم ما دار بمثله معوية سورة غضبه ولا داري بشبهه ابو مسلم اشتات عصبه وكرم ما داني السفاح غمامه ولا دان به المامون وقد طلب الامامه هذا الي ادب خف به الخفاجي واستصغر الوليد والطائي مع اتقان في ضبط الوقايع وحفظ البدايع وتحقيق الاسماء وتحرير النقل لكل ما تحت خيمة السماء احد علماء عصره المشهورين وسيد ادباء دهره المذكورين كان خبيرًا بعلم الادب والنحو واللغة والعروض حسن الشعر عارفًا بالتواريخ صحيح الذهن كثير المروءة وافر العقل كامل الرياسه محبًا للفضايل واهلها ولي قضاء الشام عشر سنين ثم انفصل وسافر الي الديار المصريه واقام بها مدرسًا بالمدرسة الفخريه وكان لا يزال يتشوق دمشق واوطانها ويتذكر

اهلها وقطانها وفي ذلك يقول

علّلاني عن الشام بذكرٍ ان قلبي اليه بالاشواق

مثّلته الذكري لعيني كأني اتمشّى هناك بالاحداق

قال الكندي انه حكي له انه طلب بعد عمل هذين البيتين بخمسة ايامٍ وولي القضاء بدمشق فرجع الي الشام متوليًا فاشتغل بقضاء القضاه ثلث سنين وانفصل فاقام بدمشق مدرسًا معظمًا مقصودًا الي حين وفاته واول اشتغاله علي ابن يونس شارح التنبيه مولده في ربيع الاخر سنة ثمان وستمايه باربل وحكي انه كان في زمن صباه ايام اشتغاله يحب غلامًا بها كان في بعض الاحيان يغشاه ويسل عليه سيوف حدقه ولا يجتناه فانقطع عنه مدةً لم يستطع هو فيها ان يقصده لكشف خبره ويتعرف ما الذي اوجب حجب قمره فاتاه الغلام كالعاتب فالفاه وهو في تقييد درسه يملي علي كاتب فقام اليه وعزم عليه ان يجلس اليه ساعةً يقضي بها فايت نظره ويقنع بها في الدنيا من وطره فقال له اقعد واشتغل في الفقه علي ذلك ولا تخدعني بمحالك فقال

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا حالت بي الحال عن عهدي وميثاقي

درسي غرامي بكم دهري اكرره فقد تفقهت في وجدي واشواقي

فثني ذلك الغزال جيده وولي وقدا وقد النار في جوانحه واصلي وبقي مدة لا يزوره ولا ياذن له فيعود اليه سروره فكتب اليه

ولما ان تفرقنا وحالت نوب الدهر

رايت الشهد لا يحلو فما ظنك بالصبر

فكان هذا معه سبب صلحه وعفوه عن ذنوبه وصفحه وحكي انه كان يهوي بعض ابناء الامراء ولا يزيده لايمه فيه غير الاغراء ولا يزال يتبع مظانه اذا ركب ليري قمر الطالع وجبينه وكان ذا خالٍ طبع الحسن عليه بطابع ويتقصد المرور به وهو في الموكب يترنح غصن قوامه ويصمي جفنه القلوب برواشق سهامه وذوايب شعره وراءه مجرورة وجلابيب اقبيته علي النهار الساطع مزرورة حتي اشتهر امره في حبه وظهر عليه حتي كاد يقضي لما قضاء نحبه فقال

يا سادتي اني قنعت وحقكم في حبكم منكم بايسر مطلب

ان لم تجودوا بالوصال تعطفًا وقصدتم هجري وفرط تجنبي

لا تحرموا عيني القريحة ان تري يوم الخميس جمالكم في الموكب

لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي القاه من كمدٍ اذا لم تركب

لرحمتني ورثيت لي من حالةٍ لولاك لم يك حملها من مذهبي

ومن البلية والرزية انني اقضي وما تدري الذي قد حل بي

يا من كلفت به فعذب مهجتي عطفًا علي كلف الفؤاد معذب

ان فاته منك اللقاء فانه يرضي بلقيا طيفك المتأوب

ان كنت تسمح للجفون بهجعةٍ فلقد اضر بها ارتقاب الكوكب

قسمًا بوجدي في الهوي وتحرقي وتحسري وتلهفي وتلهبي

لو قلت لي جد لي بروحك لم اقف فيما امرت وان شككت فجرب

مولاي هل من عطفةٍ تصغي الي قصصي وطول شكايتي وتعتبي

من بعد ذاك الانس والاقبال قد اصبحت عندك كالغريب الاجنبي

قد كنت تلقاني بوجهٍ باسمٍ واليوم تلقاني بوجهٍ مقطب

ما كان لي ذنب اليك سوي الاسي فعلام تهجرني اذا لم اذنب

والى متى هذا الصدود وانه ليطول من هذا الصدود تعجبي
وحياة وجهك وهو بدر طالع وسواد طرتك التي كالغيهب
وفتور مقلتك التي قد اذعنت لجمال بهجتها عيون الربرب
وبياض مبسمك النقي الواضح العذب الشهي اللؤلؤي الأشنب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من اخطارها في الحب اصعب مركب
لو لم اكن في رتبة ارعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذ لي خلع العذار ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت ان تقول عواذلي قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فاستر فديتك خرقة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبي
لا تفضحن بحبك الصب الذي جرعته في الحب اكدر مشرب
قد خانني صبري وضاقت حيلتي وتقسمت فكري وعقلي قد سبي
فانظر الي برحمة احيا بها وترح قلبي من غرام متعب

وحكي ان شيخنا له نزل بالغور شاتيا وكان له حبيبا مواتيا وكان له هناك لنشب الحال مقامه والطال في ليل تهامه منامه وكان الغور قد تجلل حلة الربيع ولبس رقيق سحابه اللاذ الرفيع والسريعه قد ابهجت من حاراتها المذاهب الاربعه واصبحت مكانس الظباء غاباتها المسبعه وكان ابن خلكان يخرج في كل يوم الى جهة القبلة مستترا لمخبر يوافيه او خبر يخفف ما هو فيه لعل تهب اليه رفقة رائحه او يهب عليه من الغور رائحه وكان ينشد ويقول

احبابنا بالغور طال فراقكم وتنكرت لمحبكم ايامه
منوا على جفني القريح بهجعة لعسى يمثلكم له احلامه

وحكي انه كان في موعد غلام يجي الى زيارته وقعد ينتظر نزول قمره اليه من دارته فطال المدى وما زاره ولا زاد على ان اوقد في قلبه ناره فقامت قيامته بانتظاره ومضى اكثر الليل وما حظي بمزاره فقام يطوف حول البركة اذ لا يقدر على انه يطوف بربعه وينظر الى الماء ويكاد يغرقه بدمعه هذا والشوق في احشائه يضطرب والساعات تمضي وحبيبه لا يدنو ولا يقترب وكان الغلام فوق امل المقترح واحسن من الغزال الملتمح لا يشبه الغصن لين قامته ولا يراه الآمن ييئس من سلامته فجعل يقول

لها والله تالف آيس من سلامتي او ارى القامة التي قد اقامت قيامتي

ولم يزل يكررها حتى فتح الباب وطلع عليه الصباح بوجهه المشرق فانمحى صبغ الليل وانجاب وبات وليت مثله كل عاشق يظفر بمواصلة الاحباب

وحكي انه كان يهوى غلاما من ابناء الملوك الشيركوهية بلة غراما وصير منامه عليه حراما فكان يظهر الركوب الى برزة مظهرا ان توجهه لزيارة المقام وقصده المزور على باب الغلام ولا يقدر له ان يراه ولا يستطيع في دفع حبه اكثر من انه واراه فمر مرة ببابه وهناك رجال من اقربائه فعرضوا عليه النزول عندهم من حر الهجير وكان الزمان صيفا يتوقد شراره وشهر ناجر مثل النمام سراره فثنى القاضي رجله ونزل وكان هذا اكبر امانيه وجل قصده ولاجله كان يطوف حول مغانيه فلما قامت الظهيرة وطاب النزول في الماء نزلت الغلمان الى نهر ليتبردوا بالماء وتطلع في افقه طلوع النجوم في السماء وقد شدوا سود المآزر على بيض الروادف فطرفوا الصباح بالظلماء وانغمسوا في ماء النعماء وذاك الغلام بينهم يسبح وقد شخص اليه بصر القاضي فما يبرح

فنهاهم فقيه هناك لم يلم العشق له بفؤاد ولم يبت وهو يدري كيف تفتت
الاكباد فذنح القاضي بما جاء به من الاعتراض وحال بينه وبين بوادر
الاغراض فزجر القاضي ذلك الفقيه المعترض وسل عليه سيف عتبه الممض
ثم اقسم انه لا قعدا ان خرجوا من الماء ولا لبث ثم انشا يقول غير مكترث

وسرب ظباء في غدير تخالعوا بدور بافق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي اما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له ذرهم يخوضوا ويلعبوا

وحكي انه مر مرة اخرى بعد ذلك بالمكان لعله يرى ذلك الغصن
في ذلك البستان وكان قد سافر منه في بكرة ذلك النهار وسار وترك من
اثر موقده في قلب القاضي النار فقال

كانني يوم بان الحي عن اضم والقلب من سطوات البين مذعور
ورقاء ظلت لفقد الإلف ساجعة تبكي اشتياقا عليه وهو ماسور
يا جيرة الحي هل من عودة فعسى يفيق من سكرات الوجد مخمور
اذا ظفرت من الدنيا بقربكم فكل ذنب جناه الحب مغفور

وحكي انه كان قد دعي الى وليمة عملت لبعض ابناء الاكابر في بستان
وقد اعرس فلما اكل منها ورش عليه من ماء الورد ركب ولم ينظف يده وكان
يكره الزفر فراى فقيها كانت له به خصوصية وتحت ثيابه شي تحمله فساله
عما معه فقال ما ورد فقال اسكب على يدي منه فتانى والح القاضي عليه
في اخراجه وكان معه فلما لم يجد الفقيه بدا اخرج ما معه فلما راه القاضي
قال ما هذا ويحك فقال له الفقيه يا مولانا ما ورد الا انه لما راك استحيا فقال
القاضي لعن الله من لا يستحي ثم تركه وسار

ومنهم عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الفزاري البدري الشافعي
الشيخ تاج الدين ابو محمد وابو ابرهيم امام انشا غرس العلماء وبث منهم
في الارض مثل النجوم في السماء وانجب غرسه وثبت اسه لم يبق الا من
اغترف من بحره واعترف لبره طبق البلاد علماء وملا الجو اداليه
ارتماء واوجب للخلايق اليه انتماء واقتضى ان تومي اليه الحقايق ايماء
وكان لا يعد عدد اتباعه ولا يخالف في وجوب اتباعه بعلم ايد بدين وقرن
بصلاح به اعين وكان على هذا غاية في اللطف ونهاية في الظرف لو مزج
الماء بصفاء خلقه لما تكدر او استعار النهار بياض سريرته لما تغير كل هذا
الى جمال ادوات اي صرف اليها النظر تحير وصفات ما يعرف المرء اللبيب
من محاسنها ما يتخير . قال فيه بعض المورخين كان اخر علماء المسلمين
وعين اعيان مذهبه ومن انتهت اليه رياسة الشافعية بالشام اقر له
الموافق والمخالف بالتقدم وغزارة العلم وفقه النفس وله التصانيف الحميدة
والتاليف المفيدة تفقه على الامام ابي محمد ابن عبد السلام وبرع في المذهب
بروعا تاما وكان تفقه قبله على ابن الصلاح وقرا الاصول والعربية ونظر في
الطريقة وسمع الحديث من جماعة كابن الزبيدي وطبقته وخرج له مشيخة
عن ماية شيخ سمع عليهم وجلس للاقراء من سنة اربعين وست مايه والانتفاع
به متعد عام للخلق لا سيما الفتاوي التي ما كان وقته يخلو منها وانتفع به
جماعة بما درس وافتى ومولده سنة اربع وعشرين وست مايه وحين ولد
ضاق صدر ابيه لما راى في رجليه التغيير وكان رجلا صالحا فراى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يسليه عن ذلك ويبشره ان الناس ينتفعون بعلمه
وراه بعد موته رجل مقعد وكان صاحبا له فشكى اليه فقال له قم فاستيقظ

وقام كان لم يكن به شي ... وتوفي الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى ضحوة الاثنين
خامس جمدي الاخرة سنة تسعين وست مايه

ومنهم محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد القرشي الاموي العثماني
الفقيه الشافعي الامام المفتن ابو عبد الله صدر الدين ابن المرحل ويعرف
بابن الوكيل لان اباه ولي وكالة بيت المال بالشام امام له نسب في قريش
اعرق وحسب في بني عبد شمس مثل الشمس اشرق وعلم لوان البحر سطا
شبهه لاغرق وفهم لوان الفجر سطع نظيره لاحرق وبيت طنب على
المجرة ومد رواقه فتلالا بالمسرة ونشر راية البيضاء الاموية وحولها
ثغور الكواكب المفترة وارتفع ان يقاس بنظير واتضع والثريا فوق
مفرقه والجوزاء تحته سرير وهمة دون السماء لا يقصرها وحكمة عن سبق
القدماء لا يؤخرها مع جبين وضاح ويمين منها الكرم يستماح وادب
اشهي من رشف الرضاب واحلى من رضي الحبايب الغضاب وخلق شرح
الله له صدره ومنح فضله اندية الرضاص المخضرة وصبر على نوايب ما برح
الكريم يمني بصروفها ويرمي بصنوفها ويبيت قلبه المعنى قري لضيوفها
ورعبه المخيل مقدما عنقه لسيوفها وهو على صداء النوايب لا يزيد
سيف ذهنه الا صقالا ورحب صدره الا احتمالا وكرم يده الا بسط انامل
وحط رحل لديه لامل وسعة نفس عرفت من بني عبد شمس وهزة
طرب لا تنكر لبقية اوليك العرب وجرت له مع سلطاننا ايام سلطنة
الامراء عليه وسلطنة المظفر بيبرس امور هيجت عليه ساكن حنقه ولجت
به الي موضع غرقه وكان هو ذلك الوقت بمصر راس تلك المجالس التي عقدت
ومبتدي تلك الفتاوي التي عليه حقدت ومرتب تلك الامور التي انتقدت

تاج م

وناظم تلك القصايد التي كانت سبب تلك النيران التي عليه اوقدت واراد
الصاحب ابن الخليلي وهو اذ ذاك بطال ان يمسكه ليتقرب به الي السلطان
واخذ هو الخبر ففر وتردد رايه في اي جهة يقصد ثم حمل نفسه اهوالها
وقال اما عليها واما لها وركب طريق البدرية حتى شارف قطيا والسلطان قد
اشرف عليها فاتى بكتمر الحاجب لصحبة سالفة له به فعرفه بمجيه فقال لبيك
لاجبت ثم لم يسعه اخفاء امره ولا خفاء ما الم من بدره فامر السلطان بالتوكيل
به ثم امر باحضاره فما كان الا ان راه وكلمه واذا بتلك البارقة وقد تجلت وتلك
الحفيظة قد القت ما فيها وتخلت ومد بذلك الغيم وقد تقشع وحد بذلك
الغضب وقد تقطع وذلك الحلم الناصري قد رقت حواشي اهدابه وراقت
نواشي سحابه فامر بان يكون في الصحبة مخلي السبيل محمي القبيل واقيلت
مواضي تلك الهفوة واقيمت مضاجع تلك الغفوة ودخل مصر آمنا واقام في
الظل الناصري ساكنا ثم خرج الي حلب على وظايف تولاها ومراتب وطي
باخمصه اعلاها ثم ذكره السلطان او ذكره بعض خواصه به فاستدعاه
ايثارا لقربه فرتبت له رواتب وعينت له مناصب واقام في الحضرة السلطانيه
عليها مرعي الجانب مرمي المجانب وارسل الي ملك العرب مهنا بن عيسى
فاجمل وفادته واسماها واجزل افادته واسناها ثم كان بمصر مقامه وبالسلطان
وحاشيته الماماته ما روع له سرب حتى اتاه حمامه وفرغت منه ايامه
ودفن لدى شباك الشافعي رحمه الله بالقرافة وكانت وفاته بكرة الاربعاء
رابع عشرين ذي الحجة سنة ست عشرة وسبع مايه ومولده في شوال سنة
خمس وستين وستمايه بدمياط ومنشاه بدمشق تفقه بابيه وبالشيخ
شرف الدين ابن المقدسي وغيرهما وسمع من القسم الاربلي والعامري والمزني صحيح

مسلم وسمع من ابن علان المسند للامام احمد وأفتي وله اثنتان وعشرون
سنة ودرس بالمدارس الكبار وله صيت بين العلماء بالفضيلة وتقدم عند
الدولة والسلطان وولي مشيخة الحديث بالاشرفية مدة وحدث بجملة من
صحيح مسلم بها ثم نزح عن دمشق واقام بحلب مدية ثم انتقل الي مصر وسكنها
وولي جهات كبارا وكان ذكيا فطنا كثير الاشتغال والنظر والبحث
يعرف الفقه والاصلين والنحو والطب والأدب وغير ذلك وله شعر رائق
واصحاب وتلامذة تاسفوا الفقد ومن تصانيفه كتاب الاشباه والنظاير
ولما وصل خبر موته الي دمشق عمل عزاوه تحت النسر وصلي عليه صلاة
الغايب في ثالث المحرم ورثاه جماعة منهم علا الدين ابن غانم والامام نجم الدين
القحفازي ونجم الدين الصفدي وكانت بينه وبين اقوش الافرم ايام نيابته
بالشام صداقة كشفت بينهما الوقار وارشفت تصافيهما العقار حكى
لي ابن الدقاق عنه ان الافرم استدعاه ليلة والليل جناحه ما نسل وخضابه
ما نصل وفارسه المعلم ما نزع جوشنه وافقه المروض ما قلع سوسنه وخطباء
الطير خرس بعد ما نطقت لها السنه وسر الفجر ما جال في ضمير وفرق
الشرق ما شاب ولا دب في لمته القتير وثوب الافق ما ذر عليه الكافور
ولا نفض عنه العبير فدخل عليه وهيف الشمع تولول السنة نارها وتعصب
روسها بتيجان نضارها وقد اضاء بصباحها بهو الدار وقمص سواد ذلك
الليل بضيايها جلباب النهار وقد دعي بالصبوح وبطح زق قام عليه الراووق
ينوح وصفقت القناني وتصدرت الأواني واتفق البم والزير ورقص
الطرب الزاير والمستزير وقد دب شعاع الخمر في وجنة الساقي وفاض
علي المجلس والقي علي الزجاج الباقي في حضرة ما حملت في اشبيلية للمعتمد

[illegible]

ابن عباد ولا للمقتدر ابن العباس في بغداد ولا للاشرف شاه ارمن في
ظواهر اخلاط ولا لتميم ابي معد في مناظر الفسطاط وهو بدمشق بالقصر
الظاهر المشرف علي الميادين المكتنف بالبساتين المزرر عليه جيب
الغمام المورز بديباج الرخام وسقوفه تنقط ذهبا وتشعل فحمة الليل لهبا
والشاذروان قد علقت به سلاسل من فضه وتساقطت عليه من الماء نجوم
منقضه والبركة قد اتلعت جيد نوفرة تتلقي ذلك الصب وتومي اليه
بالتقبيل ايماء من احب فراي ما قيد النظر وقد النهار في ذلك النهر
فدهش وقد تحفز نسيم السحر واضطرب موج تلك الميادين في ضوء القمر
فلما حميت به الحميا ابتدر وقال قصيدة في صفة الخمر انست ابا نواس
وشغلت كل الحواس ومنها قوله

ليذهبوا في ملامي اية ذهبوا في الخمر لا فضة تبقي ولا ذهب
لا تاسفن علي مال تمزقه ايدي سقاة الطلا والخرد العرب
فما كسوا راحتي من راحها حللا الا وعروا فوادي الهم واستلبوا
راح بها راحتي في راحتي حصلت فتم عجبي بها وازداد لي العجب
وليست الكيميا في غيرها وجدت وكل ما قيل في ابوابها كذب
قيراط خمر علي القنطار من حزن يعيد ذلك افراحا وينقلب
عناصر اربع في الكاس قد جمعت وفوقها الفلك السيار والشهب
ماء ونار هواء ارضها قدح وطوقها فلك والانجم الحبب
ما الكاس عندي باطراف الانامل بل بالخمس تمسك لا يحلو لها الهرب
شجت بالماء منها الراس موضحة فخذ اعقلها بالخمس لا عجب
وان اقطب وجهي حين تبسم لي فعند بسط الموالي يحفظ الأدب

ماطيتها من بنات الترك ماطية لحاظها للاسود الغلب قد غلبوا
من وجهها وثناياها وقامتها تخشي الاهلة والقضبان والكتب
تحكي الثنايا التي ابدته من حبب لقد حكيت ولكن فاتك الشنب
ومن شعره الذي نطق به فابان عن انسابه واني والبيان ملك
اهابه قوله
سري وستور الهم بالكاس تهتك وساكن وجدي بالعنا يتحرك
فماطيه كاساً فجئ بفضله ومازج ذاك الكاس ريق ممسك
ولما رايت القوم بالكاس صرعا وان ابنة المطران بالقوم تفتك
ارقت دم الراووق حلا لانني رايت صليبا فوقه فهو مشرك
وسالت دموع العين منه وكلما بكا بالدما مما جري منه اضحك
وزوجت بنت الكرم بابن سحابة فصح علي التعليق والشرط املك
ومنه قوله
وعارض قد لام في عارض وطاعن يطعن في سنه
وقائل قد طلعت ذقنه فقلت لا انكر في ذقنه
ومنه قوله
لي حبيب مكمل من سنا البدر او جه
كلما شاب يحيي بيض الله وجهه
ومنه قوله
ولما حلا فصل الربيع محاسنا وصفق ماء النهر اذ غرد القمري
اتاه النسيم الرطب رقص وجهه فنقط وجه الماء بالذهب المصري
ومنه قوله

عيرتني بالسقم طرفك مشبهي وكذاك خصرك مثل جسمي ناحلا
واراك تشمت اذ اتيتك سائلا لا بد ان ياتي عذارك سائلا
ومنه قوله في مليح به يرقان ذبل نرجسه وفتر جفنه وانعسه
وازداد به طرفه سقاما ذهب بونصله وذهب لا يعرف في غير القلوب
فعله
رايت في طرفه اصفرارا سبا فوادي فقلت مهلا
ايا مليك الانام حسنا العفو من سيفك المحلا
ومنه قوله
قد جرد الهندي من لحظاته وتعلم الخطي من خطراته
يا خجلة الاغصان من اعطافه وفضيحة الغزلان من لفتاته
ابدي الذوايبة والقوام فلا تسل عن بان نعمان وعن عذباته
ارجوا واحذر قربه وبعاده فالقلب بين حياته ومماته
ومنه قوله
اقصي مرادي ان امر علي الحمي ويلوح نور رياضه ويفوح
حتي اري سحب الحمي كيف البكا واعلم الورقاء كيف تنوح
ومنه قوله في مليح يلقب بالحامض
وبديع الجمال معتدل القامة للغصن والقنا الاملود
لقبوه بحامض وهو حلو قول من لم يصل الي العنقود
ومنه قوله
غازل وخذ من نرجس من لحظه منثور دمع لهن نظام
واحذر اذا بعث السلام اليك من نبت العذار فانه نمام

ومنه قوله

تغنت في ذري الاوراق ورق ففي الافنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجبا وبالاكمام قد رقصت غصون

ومنه قوله

واصل كؤسك لا اريد فراقها فلقد رات عيني المدام فراقها
ان الذي جعل الهموم عقاربا جعل السلاف حقيقة درياقها
لم يصلب الراووق الا عندما قطع الطريق على الهموم وعاقها
ومعنفي في الخمر لو قد ذاقها لم يلحني لكنه ما ذاقها

ومنه

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا اذا قلت ادناني يضاعف تبعدي
اقر برق اذا قول اناله وكم قالها ايضا ولكن لتهتد سيدي

ومنه قوله

يا ناقضا عهده من غير ما سبب الا لكوني راعي عهد من خانا
يقول قلبك طور قلت لا عجب من جانب الطور قد آنست نيرانا

وحكي لي ثقات من اصدقايه انه كان يكتم هوى بعيد مزار قريب ادكار ومن دونه بحر من السراب منثاق وبيداء لا تجاوزها من الريح سملق وليل لا تبدو النار في سواده وطود لا ترسي الارض الا باوتاده والنهار لا يتوضح والدهر ليل كله ليس يبرح وعينه قد غار دمعها فما له قرار وجفا الغمض اجفانها القصار والنجوم لا تغور كانما منح فيها النهار قد كتم الفجر فيها الخفاء وعدم الصباح كانه جود او وفاء وهو في شغل بليلي وهي في شغل بسواه لا يميل غصنها لهواه لاهية عن شؤنه ساهية عما يحمل منها على عيونه لا يرثي طرفها النايم لطرفه الساهر ولا يعرف ما فعل الدمع بالناظر فلم يكن له الا ان يخاطب ايماض البرق على دارها ويجاذب عطف الصبا لازديارها وفي بعض شجونه وهواه بها وجنونه قوله

الا هل صبا او بارق بات موهنا على دار ليلى والنفانف دونها
يبلغ عينيها تحية ناظر امار الغوادي المعصرات جفونها
يبيت على جمر لبثت بذكرها ويكتم ما يلقى يخاف ظنونها
يراع لبرق بالثنايا كانما عليه سيوف الهند هزت متونها
لين غاب عنكم حسن ليلى وحبها فها فانظروا مجنونها وجنونها

وحدثت عمن كان يطرح معه المؤنه ويبوح اليه باسراره المصونه انها جاءت مرة اليه وقلب البرق يخفق غيرة عليها وعين النجم تنظر شزرا اليها في ليلة ما لها سحر ولا لاخرها عنده خبر قد قصرها منادمة الحبيب ومداومة الوصال على قلع عين الرقيب مرت وهي حلوة المذاق كانها قبلة على حذر يدفع في صدرها يد السحر وتولت قصيرة كالنظر المخلوس غريرة بنور الكوس قد حسنت كانها يوم اغر وحسبت انها في مقلة الدهر حور ثم اعقبها وقت للسرور فيه نمو ويوم كان العشي فيه غدو في مجلس لم يلو فيه على الذنوب ولا يذود العفاف به هوى القلوب وقد شوشت الريح طره الورد وجعت اصابع المنثور قرصة البرد وهلال الصيام قد لاح نضوا واومى للسجود اذ جاءه سهوا فنعم بليلة ويوم ما شاب صفوها تكدير ولا دب ليومها عذار ولا في مفرق ليلها قتير لكنهما انقضيا وما منهما الا اضوا او اقصر من

ذباله. وامالة حتي طال النهار واجفلت الغزاله وقال

سمح الزمان وكان جد شحيح من بعد ما منت عادت روحي
جاءت وسح الليل اسود مسبل لا شك قد وافي الي مسبحي
احييت فيها ليلتي وحييتها هو قبلتي وبثغرها تسبيحي
وبقيت يومي كله متمتعا وبها غبوقي المشتهي وصبوحي
حتي اذا ما اليوم ولي طايرا ولت ولكن خلفت تبريحي

وحدثت عنهم انهم دخلوا عليه يوما وقد خطرت علي خاطره نسمة من ذكرها اجرت دموعه حتي فاضت علي نحره واسبلت البكا حتي غرق انسان عينه في بحره فقالوا له ايها الرجل مهلا علي غربك ورفقا لا يذهب البكا بقلبك فازداد بكاوه الي ان قالوا احصاه كبده تفتت وظنوا ان جملة صبره لتشتت فبقوا يحدثونه ولا يحدثهم الا زفراته القايله ويناودونه ولا يجيبهم الا عبراته السايله. فلما هموا بالانصراف كف بعض ذلك الاسراف قوله

اخفيت حبك عن جميع جوانحي فوشت عيوني والوشاة عيون
ووددت ان جوانحي وجوارحي مقل تراك وما لهن جفون
ووددت دمع الخافقين لمقلتي حتي عزيز الدمع فيك يهون
يا ليت قيسا في زمان صبابتي حتي اريه العشق كيف يكون

ومنه قوله

ابنك ان المرء للقبر صاير فلم انت عن داعي المدامة صابر
اجب واستمع من راهب الدير واستمع وميل طربا لما ترن المزاهر
ورق بها لحمي وعظمي ورمتي وقبري واكفاني فما لك عاذر.

امزق مالي والمدام اصونها اري الجوهر الاعراض وهي جواهر
ادخرها للهم والغم انما تفيد لارباب الرزايا الذخاير
وسم الحميا نقطة وهي نقطة وقطب سروري حين تبلي السراير

ومنه قوله

قال لي من احب والبدر يبدو من خلال السحاب ثم يغيب
ما حكي البدر قلت وجهك لما يختفي عندما يلوح الرقيب

ومنه قوله

يا جبل ودي قط لا ينقطع فقلبه قد رق مما جري
اما تري الجبل بتكراره في الصخرة الصماء قد اثرا

ومنه قوله

يقولون لي لم ذا كلفت باحول يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رات كل عين حسن اوصافه اختها فغارت فطول الدهر تنظرها شزرا

ومنه قوله

وصيرت بدر التم مذ غاب مونسي انيسي وقلت البدر منه قريب
فحجبه عني الظلام بذيله فوا عجبا حتي الظلام رقيب

ومنه قوله مما يكتب علي كمران

بلغت مقاما ما تاتي لعاشق حسدت له من بين كل الخلايق
ادور علي خصر نحيل وطالما غدوت علي ردف ولست بفاسق
ومن اجل اني ليس بيني حايل وبين حبيبي فقت كل المناطق
فلا يدعي العشاق حالي فانني نحيل معني متقل بالعلايق

ومنه قوله

عجبت من قلب معنا هم على جفاهم كيف بهوا هم
راهم في الحب اهلا فما احب في الاكوان الا هم

ومنه قوله

زند المدام في الكوس قد قدح لما راي زهر الرياض قد قدح
فاصدع باوتار الجنوك حزنا قد طير المنام فالطير صدح
واستجل بنت الكرم للشرب ففي طلاقها كد عذولي وكدح
راحا بها الاعمي يري مع العمي وهاك برهانا على هذي المدح
الحمر للاقداح قلب دايما والحدق انظرها تجد قلب القدح

ومنه قوله

عقود الحساب كيوم الحساب فمن قل وفرا سما في المعالي
كذاك اليمين لها ما يقل وعقد الكثير نصيب الشمال

ومنه قوله

فرغت بكم عن الاكوان لما شغلت بحبكم عن كل شغل
واجمعت القلوب على هواكم فها انا سالم من كل عذل

ومنه قوله

اعني على ما دهاني اعني فاني رميت بريم اغن
اذا قلت ثغرك ضن باللثام يقول سجيه صارم جفني
وان قلت قد صار من فتكه قليلا فللقطف تدلي وللجفن يدني
ولا تخش من لهب فيهما فنيران خدي جنات عدن

ومنه قوله

كانما البرق خلال السما من فوق غيم ليس بالكا بي
طراز تبر في قبا أزرق من تحته فروة سنجاب

ومنه قوله في عمر الذهبي

ولايم لامني على عمر وقال لي قد غلطت بالعربي
كم في الورى مثله فقلت له واي شيء يكون كالذهبي

ومنه قوله

يا وجنة هي جنة قد زخرفت وردا ومن آس العذار تخضرت
عين بنور جمال وجهك متعت وسوى جمالك ابصرت لا ابصرت

ومنه قوله

بعيشك خل عاذلتي تلمني ومنها في ملامتها وحتي
فان نجحت فلا نجحت طريقي وادركت المنية لا التمني
وان خابت فلا خابت طريقي وان كان الهوي ياتيه عني
ويا غصن النقا وبجل قدرا قوامك ان اشبهه بغصن
لحاظك بالهوي فتكت عنادا ولا تسل عن الظبي الاغن
وعطفك قد كسا الاغصان وجدا فمالت بالهوي لا بالتثني
ورقت ورقها فبكت عليها وفي الافنان ابدت كل فن
وقد طارحتها شجنا فلما بكيت صبابة اخذت تغني

ومنه قوله

يا ليلة فيها الامان والمنى وطالما الطلبة تهيا
لا تقصري فالصبح قد شربته مدامة عنقودها الثريا

ومنه قوله

تلك المعاطف ام غصون البان لعبت ذوايبها على الكثبان

وتضرجت تلك الخدود فوردها قد شق قلب شقائق النعمان
ما يفعل الموت المبرح في الورى ما تفعل الاحداق في الابدان
اخليل قلبي وهو يوسف عصره قلبي الكليم رميته في النيران
قطعته مذ كان قلبا طايرا ودعوته فاتى بغير توان
يا نور عيني لا اراك وهكذا انسان عيني لا يراه عيان
ولقد رايت على الاراك حمامة تبكي وتسعدني على احزان
تبكي على غصن واندب قامة فجميعنا نبكي على الاغصان
تخشى من الاوتار فهي مروعة مثلي فلم تبكي على العيدان

ومنه قوله في مليح ذر على جسده سدرا بالحمام

ومذ ذر ذاك السدر من فوق جسمه تزايد من اهواه في حسنه حسنا
ولو لم يزن ذلك القوام اخضراره لما صح عندي انه يشبه الغصنا

ومنه قوله

بكيت حيا وحياء بكيت تفاريق دمع لجاد جدا
لئن كنت ابكي بحارا وفي خدودك قطر فما ذا سدا
فان العيون تمد البحار وليس على الورد غير الندا

ومنه قوله

فصل الشتاء منح النواظر نضرة لما كسا الاكوان وهي عوار
لم يلبس الغبراء خضر مطارف حتى كسا الزرقاء بيض ازار

ومنه قوله

قالوا اتيد لا تخف فلانا فراسه خفة يطيش
فقلت بالنبل كم راينا قتلى وروس النبال ريش

ومنه قوله

احبتنا والدهر جم صروفه ووجدي على طول المدى ليس يبرح
تغيرتم عما عهدت لاجل ذا تغير دمعي وهو في السفح يسفح

ومنهم محمد بن علي بن عبد الواحد الانصاري قاضي القضاه ابو المعالي كمال الدين ابن الزملكاني من بيت علاء كان آخره وبحر علم ضم القبر آخره وكان اذا ذكر تضائلت الناس واذا حضر مجلسا نكس لاجله كل راس توقل ذرى المناصب والثريا موطي قدمه حيث داس وحل المراتب فاعضت النجوم كانما خاط جفونها النعاس وساد وما خلت البقاع وشاد بيت علاه والجوزاء له سجف والمجرة شراع ثم كان حجة في مذهب الامام الشافعي رحمه الله لا يعرف ما ابن ادريس لولا فتنة المذهب ولا يوصف معه في التدريس الا امامه لكونه صاحب المذهب فما تمثل احد الوجهين الا قال شاعه لمن حدق اذهب لا تذهب ولا وقف على شعب الطريقين الا واخذ باطراف المذهب ولا مال الى القديم الا واعيا عياض وكبا اشهب ولا قال بالجديد الا وتمنى النهار انه من خليع ملابسه يوهب فان عطف على الاصحاب نحو الماوردي عطر ارجاءه او الرافعي رفع قدره وحقق رجاه او ابن الصباغ اظهر ما حال من الوانه او المزني اتى بالمطر في غير اوانه او القفال لما فتح بابا والكيا الهراس لما وجد زبونا ولا استفاد اكتسابا وكان نورا مدعق تمايمه ونورا وما تجافي كمايمه ودرا وما فارق غمايمه وصدرا وما لاث عمايمه حكى من راه مراهقا ولمبالغ الرجال مراهقا انه ما غب كتابا من نظر ولا تكلم الا وسكت من حضر فلهذا بذ نهايات الامال وعز بعده ان تدرك غايات الكمال وكان اكثر ما ينخ الفتاوي موافع سيله ويخرج خطه

وخطوط العلماء في ذيله وأتقن كل علم او اخذ منه بطرف او تسلط عليه
تسلط من عرف بسرعة ادراك اختصر طريقه وقوة عارضة لا تمهل
معارضها ان يبلع ريقه بقواطع حجج لا يثبت معها مناظره ولطافة حديث
لا يمل منه محاضره ما جالس حتى ولا عدوا له الا واخذ لبه وقلب اليه
قلبه وكان خطه ابهى من الرياض وازهى ما راي من السواد في البياض
كانه خط العذار او نقش المواشط في معاصم الابكار هذا الى صورة محبوبه
وهيبة من النفوس قريبه وولي التدريس على صغر وتصدر في اجل محاريبه
في الكبر وكتب الانشاء والحساب ثم ولي الوكالة عن السلطان والقضاء
بحلب وما ولي شيئا الا واتقنه ولا عاني امرا الا واحسنه ونال احسنه
وتميز على نظرائه بانه عالم وزاد في تخليص قلمه ما هو به عالم وله تصانيف
منها شرح المنهاج في الفقه ولم يكمله واصابة الرمية في الرد على ابن تيميه
ومصنفان في افضلية العلماء والشهداء ومن نثره قوله من توقيع كتبه
لفضايله التي بسقت في رياض الفضايل افنانها ومعارفه التي تم عليها
عرفها ودل عليها برهانها وماثره التي ظهرت آثارها فصدق خبرها
عند الاعيان عيانها فاذا انشا اتى بالبدايع التي لم تزل عن الانتحال تتورع
والبداية التي تتعب الافكار بما تسترع واذا رقش بيض الصحايف خلت
الليل البهيم طرزت به اردية النهار وقلت الروض البسيم تفتحت
منه الازهار ومنه قوله من آخر علما بما اشتمل عليه من
المحاسن والمناقب في المشارق والمغارب ورغبة في استقرايه بهذا
البلد الامين واستمرار نظره في اهل العلم والدين وليتنقل في بروج السيادة
فيبدي حكما وحكما ويتصرف في فنون الافادة فيصرف لسانا وقلما

ويصبح وقد احيا كل ارض نزل بها صوب فضله الذي همي وصواب رايه
الذي لو لم يكن البحر العباب لما طمي ولا حل بهذا حلة ثم حلة بهذا فطاب
الواديان كلاهما ومنه قوله فيما كتبه على مجموع جمعه ابن
نباتة على الاسم العمادي صاحب حماه وسماه مطلع الفوايد ومجمع الفرايد
لقد رضت البيان في وصف هذا الكتاب حق وصفه فجمح واستمنحت البيان
ان لو وصف محاسنه فما سمح واقتدحت نار الفكر لاري نهج البلاغة في
مدحه فما وري ولا قدح وسرحت جياد العزم في مصايد شوارد حمده فما
سرح شيء منها ولا سنح وكيف يحلى مطلع الفوايد ما لا يعلو على دراري النجوم
ويحلي مجمع الفرايد بما يفوق الدر المنظوم ابن من فلك المعاني فلك الصور
وابن بحر اللالي من بحر الفكر هذا الفلك مطلع صباح البصاير وذاك مطلع
صباح الابصار وذاك يتعاقب فيه شمس وقمر وهذا له شموس واقمار وهذا
البحر يفعم بدره وانا كل من اغترف وذاك ان ولد درا خباه تحت قراره
في الصدف فلا غرو ان احجمت عن سلوك هذا المهيع ووقفت عن مجاراة
اهل هذه الحلبة التي ليس الى بلوغ الغاية معهم مطمع لا سيما وقد جعلوا مدح
من وسم الكتاب باسمه معنى كلمهم وبلاغة حكمهم وسراج مناهجهم ودرة
تاجهم وطراز حلة وشيهم المرقوم وواسطة در عقدهم المنظوم فبلغوا
من رتب البلاغة غاية المراد لما شاهدوا مجموع الجمال الفريد في ذات العماد
ومنه قوله وقد ارسل اليه والدي رحمه الله كتابه انشائه ليقف
عليه فكتب اليه ينهي انه وقف على هذا الكتاب الذي ما انتجه الا فكر
لبيب ولا اظهره الا افق اديب ولا امد شعاعه الا شهاب منير ولا اهدي
نوه الا سحاب درة در وبرقه مستطير تضمن من الالفاظ الادبيه واللطايف

العربيه ما تجرى به على البلغاء فلم يواخوه وعظم به شان عبد الحميد
لما قيل انه ابن يحيى فظنوا انه اخوه اقسم المملوك بايمانه جهد ايمانه
انه طرب لمواضع منه طربا كاد يستخفه ويميل به لما كان للمدام من
تلك الزجاجة ليستشقه فهنى منه مولانا بسيد كريم وامام علم من
حاضره قال وفوق كل ذي علم عليم وقوله في ورقة كتبها اليه
وحاش لله ان يتو سيده بفعله او يقابل حلمه بالاقدام على ما يغير عوايد
فضله معاذ الله ومن يجد من الغمام وينكر صنايع الكرام
انا لله لهذه الاعجوبه ويا لله كيف جارت هذه الفرية المكذوبه
ومنه قوله في مسامحة كتبها وبعد فان الله لما خص ايامنا
الزاهرة بالفتوح التي انامت الرعايا في مهاد امنها وانالت البرايا مواقع
يمنها ومنها وكفت اكف الحوادث عن البلاد واهلها ونشرت عليهم
اجنحة البشاير في حزن الارض وسهلها راينا ان نصفي بالاعفاء من
شوايب الاكدار شربهم ونومن بالاعفاء من طلب البواقي التي هي على ظهورهم
كالاوزار سربهم وان نشفع العدل فيهم كما امر الله تعالى بالاحسان اليهم
ونضع عنهم موضع هذه الاثقال اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وان نوفر
على عمارة البلاد هممهم ونبري من تبعات هذه الاموال اللازمة لهم ذممهم
ونريح من هم ذلك اسرارهم ونطلق من ربقة الطلب المستمر اسارهم
ونسامحهم بالاموال التي اهملوها وهي كالاعمال محسوبة عليهم ونعفيهم من
الطلب بالبواقي التي نسوها كالاجال وهي مقدمة بين يديهم وربهم بكذا
فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد وليستقبلوا هذه المنة بحمد الله
تعالى فان حمد الله تعالى يستدعي المزيد وليقبلوا على مصالحهم بقلوب

ازال الامن قلقها واذهبت هذه المسامحة المبرورة فرقها ونفوس امنت
المواخذة من تلك التبعات بحسابها ووثقت بالنجاة في تلك الاهوال من
شدة طلب يابى ان يفارق الا بها ولتعف اثار هذا الباقي بحيث لا يترك
لطباتها في اموالنا انتساب ولا يبقى لها الى يوم العرض عرض تورد
ولا حساب ومنه قوله من توقيع خطيب واشهد ان
محمدا عبده ورسوله الذي بعثه الى الاسود والاحمر وجعله خطيبا للانبياء
يوم المحشر واذعن كل شي بنبوته حتى حن اليه الجذع اليابس حين عدل
عنه الى المنبر واقامه للمتقين اماما ونشر له في الخافقين اعلاما على
ما وامره بالتبليغ فقال انا سيد ولد ادم لا افتخارا بل تنبيها واعلاما
صلى الله عليه وعلى اله وبلغه منا سلاما اما بعد فان اولى ما صرف اليه
وجه الاهتمام وصرف في تقرير امره وتحرير ذكره صريف الاقلام امر
الامامة في الصلوات واقامة الجمعة والجماعات وكذلك الخطابة التي
ما زال خطبها في الاسلام جليلا والمترشح لها من الانام قليلا وهما
رتبتان متناجيتان في الشرف ومعتنقتان اعتناق اللام للالف قد
رفعا الى ذروة من العلياء شامخه ووضعا في محل لا ترقا اليه الا قدم في
الاقدام على المعالي راسخه فان اعواد المنابر فلك تتنزل عن رتبته الافلاك
وسما يعرج فيها الملوك كما تعرج في السماء الاملاك لانها المرقى للبعيد
والمرام الصعب الشديد والمقام الذي يجمع الناس له بالذكرى من كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد وان المحراب باب منه الى الله الوصول
ومقام بين يدي الله يعوق هوله كل مهول فلا يدخله الا من رفع دونه
الحجاب ولا يثبت فيه الا من استغفر ربه وخر راكعا واناب ولذلك

شفع مقامها الفرد بمن اصبح في الآفاق فردا وتعين بهذه الصفات في جامعها جامعها فكتب له بها عهدا ورسم ان يفوض الي فلان لانه الواحد من علماء الآفاق وايمة الامصار والحبر الذي علا كعبه علي كل حبر فاستحق ان يكون كعب الاحبار ولانه الذي تفرد بجميع شروط الامامة فهو الكامل والامام الذي اذا تقدم لم يكن ذلك تقديما للمفضول مع وجود الفاضل فمن احق منه بالامامة ام من اولي منه بان يقيم للدين هذه الدعامة يابي الله ذلك والمسلمون ولا يتقدم بامر الله الا السابقون الاولون وكيف لا والموعظة من مثله في القلوب اوقع والذكري منه في الافئدة القاسية انجع وانفع والدعاء منه اقرب للاجابه والقلوب الي قوله احق بالانابه وهذا المنصب ما زال يتشوق عليه ويتشوق لمقدمه حتي ان المنبر لو استطاع لمشي اليه والمحراب لولا استقبال القبله لكان يقف بين يديه وهو اعلم بما لهذه المرتبة من الشرف فانها رتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو وارثهم ودرجة لم يبلغها الا نبي او امير او عالم وهو ثالثهم ∴ واما شعره فقليل مختار ومنه قوله

سواكم بقلبي لا يحل ولا يحلو ... كما انه من حسنكم قط لا يخلو

حللتم عري صبري وحللتم دمي ... وحرمتم وصلي فلذ لي القتل

احبة قلبي ليس قبلي متيم ... كمثلي ولا في العالمين لكم مثل

فلا تحسبوا اني مللت هواكم ... ولا انني يوما امل ولا اسلو

ومنه قوله

وفي حلبة الخد من ادمعي ... خيول تجول ولا تركب

فسبق الكميت بها بين ... ولكن تقدمه الاشهب

ومنهم ابرهيم بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن سباع الفزاري الفزاري الشافعي ابو اسحق شيخ الاسلام برهان الدين التزم بطريقة ابيه حتي كان ابرهيم الذي وفي ونزع به اليه الشبيه فما اغفي وكان في زمانه امة قانتا وطودا لا يقلقل ثابتا ثبت علي هذا طول مدته وكمل عمره حتي احمل الدهر رونق جدته وكان للدين برهانا وفي الزمان المسيء احسانا التفت عليه بقايا حلقة ابيه واحتفت به لم يبق منهم احد حتي من يربيه اشتغل بعد موت والده علي قاضي القضاه ابي عبد الله الخويي وكان ولي الشام ونشق منه ما ملا المشام فارتضاه لمنته واصطفاه لابنته وكان الخويي محبا لتقديم النجباء وتكريم الالباء واذن لجماعة بالفتوي كان هو اولهم واولاهم بما خولهم ثم كان يخطب لجلة المناصب فياباها ويانف منها وما انتهي الا اشباهها حتي توفي قاضي القضاه ابن صصري وتوقي المنصب ان يحمل اصرا ولم يكن سواه من يجمع عليه ويطمح النظر دونه اليه فجهد ملك الامراء بالشام تنكز في توليته وطلبه اليه واخذ في ملاطفته وتقديمه وهو يصر علي الامتناع ويجلا عليه ولا يكشف عنها القناع هذا بعد ان بعث اليه اكابر العلماء ودخل عليه منهم بأماثل العظماء واتاه الخطيب القزويني وابن الزملكاني برسايله وجد في وسايله وهو لا يلفت اليهم وجها ولا يري الا عنهم غافلا يتلهي وقعد لها حتي تخطته ونزل عن صهوتها وقد امطته ∴ تفقه بابيه وابن الخويي واخذ النحو عن عمه شرف الدين ودأب الليل والنهار في القراءة والمطالعة والاشتغال والاشغال والتعليق والمراجعة ومذاكرة من حضر وطلب التحقيق لكل مسئلة والتحرير في حل كل مشكلة قلت حكي لي من لا اشك فيه ان ابن الزملكاني كان

يعلق فتاوي الشيخ اذا اتته وربما تشكل عليه المسئلة فيضع لها سوالا
ويدس به من ياتيه فياخذ خطه عليه وكان ابن تيميه اذا ذكر الفقهاء
قال الفقيه ابن الفركاح وكان ابن المجد عبد الله يقول ينبغي لمن حضر
مع الشيخ برهان الدين ان يتادب وسمعته مرة يقول ما يستحق احد
ان يتكلم مع الشيخ برهان الدين اذا تكلم في الفقه ولكن يسمع وكان
رحمه الله كريم النفس سخي الكف لا يرد سايلا ولا يخيب آملا على ضيق
رزقه وقلة ذات يده مع الصبر والاحتمال والقناعة والتصدي لاشغال الطلبة
في المسجد الجامع وفي المدرسة الباذرائيه وفي بيته لا نري له راحة الا في التعب
فلا يزال معمور الاوقات بالذكر والاشغال والاشتغال والمطالعة والتصنيف
والتاليف والفتوي هذا الي خلق حسن وانبساط ومجون لا يحظر مثله
مع ملازمة عيادة المرضي وتشييع الجنايز ومجاملة الناس في السلام
علي القادمين والتوديع للمسافرين وتهنيه من تجددت له مسره
والتغمم لمن نابته نايبة الي غير هذا من مكارم الاخلاق والمحاسن
علي الاطلاق واكثر من برع من الفقهاء بدمشق وبلاد الشام وقضاة البر
تلاميذه وعنه اخذوا وقال لي العلامة فخر الدين المصري
لولا الشيخ برهان الدين لما تفقه احد يعني في مذهب الشافعي في زمانه
قلت والذي قاله هو الحق لانه لم يكن في مشايخ زمانه لا من
اهل مذهبه ولا من غيرهم من كان متصديا لاشغال الناس وافادتهم غيره لا
يشغله عن ذلك شاغل ولا يصده صاد وله مصنفات اجلها التعليقة الكبيره
وهي علي التنبيه في ومنها مصنف في المنطق وآخر سماه تفهيم
المجامله في علم المراسله وبعث به علي لاقف عليه فكتبت عليه مقرظا

له وليس بطايل
ومنهم محمد بن ابرهيم بن سعد الله بن جماعه بن علي بن جماعه بن حازم
ابن صخر الكناني الحموي الاصل الشافعي قاضي القضاه بدر الدين ابو عبد الله
بقية المشايخ القدماء وآخر الاكابر العلماء وكفو القضاء واهل الامضاء
وصدر العظماء وبدر الدين في الارض اخو بدر السماء تهادته من بيت المقدس
عقيلتا الاسلام وخطبته دمشق ضرة ارم ذات العماد ومصر شقيقة
بغداد دار السلام وجمع له في كل منهما بين الخطابة والقضاء فاحسن فيهما عن
الخلفاء الخلف وابيح له منهما الجمع بين الاختين وكان لا يباح الا ما سلف ووفق
بينهما وكانت لا تتفق الضراير ولا يحصل الجمع بين الاختين على صفاء السراير
وتخلت كواعب المناصب غير ما مرة من حبايله فكانت لا تعرف مجموعا
ولا تفر حتي تراجعه وتبيت لها ضجيعا وجمعني واياه الحج فلما كنا بموقف
الصخرات ونحن به بحيث تعقد النظرات نزل عن بغلة كان عليها وركب
ناقة تنقل اليها فطلع بدر اتم من قمر تلك العشيه واوقر من تلك
الاطواد الحليه فقلت

يومنا في عرفات كنت من احدي المنا بح
اذ وقفنا حول حبر فيه تحلو لي المدا بح
وعلي الناقة منه بدر تم منه لا بح
قيل من هذا فقلنا صاحب الناقة صا لح

ثم اتيت الديار المصريه حين انتقالي اليها فكنت اجتمع به واخذ عنه مولده
بحماه في سنة تسع وثلثين وست مايه وسمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ
الانصاري وبمصر من الرضي ابن البرهان والرشيد العطار واسمعيل بن عزون

وغيره وبدمشق من ابي اليسر وابن عبد وطايفة واجاز له عمر ابن البرادعي
والرشيد بن مسلمة وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب
الشاطبي وحدث بالكثير وتفرد في وقته وكان قوي المشاركة في علوم
الحديث والفقه والاصول والتفسير خطيبا تخطب من انشايه ذا التعبد
واوراد وحج وله عدة تصانيف درس وافتى واشتغل ونقل الى خطابة
القدس ثم طلبه الوزير ابن السلعوس فولاه قضا مصر ورفع شانه ثم اتى
الشام قاضيا وولي خطابة دمشق مضافة الى القضاء ثم طلب لقضاء مصر
بعد ابن دقيق العيد وامتدت ايامه ثم عزل بالزرعي عند عود السلطان من
ثاني مرة ثم اعيد ودام حتى استعفى وولي عوضه القزويني وله نظم كثير
ومنه قوله

لما تمكن من فوادي حبه عانيت قلبي في هواه ولمته
فرثى له طرفي وقال انا الذي قد كنت في شرك الهوى اوقعته
عاينت حسنا باهرا فاقتادني سرا اليه عندما ابصرته

وقوله

احن الى زيارة حي ليلي وعهدي من زيارتها قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفي لهيب الشوق فازداد اللهيب

وقوله

يا لهف نفسي لو تدوم خطابتي بالجامع الاقصى وجامع جلق
ما كان اهنا عيشنا والذ فيها وذاك طراز عمري لو بقي

ومنهم محمد بن محمد بن عبد القادر ابن الصايغ الشافعي الامام
الزاهد بدر الدين ابو اليسر قد غلب الجنيد في جمعه وسبق ابرهيم بن

ادهم بدمعه وزاد على ابي يزيد في كشفه وتانى والسري يسري من
خلقه ومعروف يستدل بعرفه هذا مع علم جم هو الذي اوجب له ان
يزهد واراه ما وراء البصر ليشهد وكان يدع في غالب اوقاته المدينة ويخرج
الى قراها شغفا بالخمول والبعد ليتقدم امام الخمول ولما خلا منصب قضاء
القضاه بدمشق عرض عليه وترقق له ليقبله ملك الامراء تنكز ولم يتطلع
اليه وجاءه تقليد السلطان فحين بلغه وصوله فر الى بعض القرى وتغيب
اياما لا يرى وصمم على رايه في عدم القبول وبقي التقليد حتى جف واسرع
في ورقه الذبول ثم انه ولي خطابة بيت المقدس وازداد به ضياء يومها
المشمس ثم انه تركها وافلت منها وقطع شبكها اخذ الفقه عن
ابن الفركاح ولازمه ملازمة ظله وطاوعه مطاوعة نعله وتشبه بافعاله
وتشبث باذياله وسلك نحو طريقه المثلى وكان غاية في الورع والتقشف
والتقلل من الدنيا والفرار من الناس وكان ابعد الناس من شبهة لم يزاحم
في مدة عمره على منصب ولا نافس لسوامه في مجدب ولا مخصب وكانت بيني
وبينه صداقه موكدة الاخاء معدة للشدة والرخاء ولد

وتوفي ودفن بتربة تعرف بهم بسفح قاسيون

ومنهم محمد بن علي بن ابرهيم القاضي الامام الحجة فخر الدين ابو المعالي
المصري الذي لا يسمح منه بالمثاقيل ولا يهون ذهنه فيشبه بو ذايب
الاصيل ولا يقاس به كل مصري يعم البلاد نفعه كما يقاس النيل بل هو
البحر المصري لانه ذو النون والقطب المصري بل صاحبه الامام فخر الدين
ومثله لا يكون ذو العلم المعروف الذي لا ينكر واللفظ الحلو المصري
السكر فاء على الاسلام ظلا مديدا واستطرف للايام فضلا جديدا وهو

امام الشام وغمام العلم العام طالما ذخرت فضايله المسامع وفخرت
دمشق منه بالجامع ولا حلق اخويه في السماء الا ليري مثله ثم فروقه
انقطعت به المطامع فيردد برد اعينا باستقراره في دياره وطال ظل
النيرين بانه قال في فيه واستقر في جواره وهو افقه من هو بالشام موجود
واشبه عالم باصحاب امامه في الوجود واشبه سمي لتسمي بلغ به رتبة
الكمال وصعد هضبه العليا وما تشكي الكلال مولده
سمع الحديث من شيوخ وقته وتفقه علي ابن قاضي شهبه وابن الفركاح
ثم صحب ابن الزملكاني والخطيب القزويني وقرا عليهما وانتفع بهما وكان
ابن الزملكاني اول آذن له في الافتاء وولي بعده تدريس العادلية الصغيرة
وكان ينوه بذكره وينبه علي شكره ويصف لقدمه في العلم والفهم
ويصفه بافراط الذكاء وكان اذا اتته الفتوي بحضوره القاها اليه وقال
ما تقول فيها وكذلك كان يفعل بابن جمله الا انه كان يرجحه في الفهم علي
ابن جمله ولما ولي القزويني القضاء بالشام استنابهما في الحكم براي ابن
الزملكاني ثم زهد فخر الدين في القضاء وتركه وعين للقضاء بطرابلس
فابي واستقال وقال لا الي القضاء ابدا ثم درس بمدارس اخري منها
المدرسة الرواحية حين طلب الشيخ شمس الدين الاصفهاني الي حضرة
السلطان بمصر لاجتماع شروطها فيه دون غيره وحج مرات وجاور بمكه
والمدينه وهو اليوم بدمشق لاشغال ابنايها وقصد افتايها جلس مكان
شيخه ابن الفركاح واجتمع عليه الطلبة وتصدي للاشغال والاشتغال وتقرير
المباحث واجابة السوال هذا الي غني ويسار وبر وايثار وملازمة جماعات
لا يقطعها وجاري عادات لا يمنعها محافظا علي عيادة المرضي وتشييع

الجنايز ومجالسة الفقرا والتغليس الي المساجد مع رياضة اخلاق ولين
جانب وتفرد في اهل بلده بسيادة اهل المذهب وقد حكي لي من اثق به انه
كان القيم باهل ابن جمله ايام محبسه بالقلعة في مدة عقلته وطول عطلته
وقد رزق من الولد من انجب واعجز ابتداوه واعجب

ومنهم الايكي عبد الرحمن بن عبد الغفار التيمي البكري عضد الدين
قاضي قضاة الشرق حي موجود ومحيي للجود عطاياه جسام وسجاياه
وسام وجداه نايل ونداه طايل تحلي به حزب الله الغالب وتخلي كرمه
للطالب قال الذهلي هو ذو انصاف وعدل وسياسه شافعي من
الفروع اشعري في الاصول ينصر مذهبه ويحط علي المعتزلة والفلاسفه
حسن الصورة والخط والعبارة والانشا قادر علي البحث امام في المنطق
شرح مختصر ابن الحاجب في الاصول في مدة شهر وله عدة كتب مصنفه ومولفه
واجاب الارموي عن اعتراضاته علي الامام الرازي اخذ عن قطب الدين الفالي
وجمال الدين الدمشقي وغيرهم واخذ عنه اكثر فضلا الشرق منهم اوحد
المحققين قطب الدين الرازي وروي عن الدوري عن الصغاني قال
الذهلي يقال انه اعرف بالكلام من الامام فخر الدين الرازي وانما هو متشرع
لا يعرف الا بهذا وقال ان بلده الايك كله اوجله ملكه وانه كريم جرق
اليدين يقوم بثلث مايه طالب اونحوهم من ماله
واما الشافعية بالجانب الغربي فلم يوجد احد منهم الا بمصر وهم بها
عدد جم في كل زمان ولهم بها اقدار علية وتعظيم جانب وبمذهبهم يتمذهب
جمهور اهل البلد لمثوي الامام الشافعي رضي الله عنه فيهم وحسن
رايهم فيه

فمنهم صاحبه ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي
صاحب الشافعي احد من طار به خبره ولمس فابت ان تلين زبره قبض
على دينه والجمر ملتهب والسيف للارواح منتهب والمحنة قد شملت
ظلماؤها والفتنة قد تراحي شررها واربد ماؤها والبلية قد عمت والليلة
الليلاء قد جمعت المنوام وضمت فما زحزحت هذه القواصف مستقر
دينه ولا غيرت مستمر يقينه حتى مات وهو في اسار الحديد وخلى
في القبر وقدا زلف في الجنة منزله الجديد اختص به الشافعي في حياته
وقام مقامه في الدروس والفتوى بعد وفاته سمع الحديث وحمل في ايام
الواثق بالله من مصر الى بغداد في مدة المحنة واريد على القول بخلق القران
الكريم فامتنع من الاجابة الى ذلك فجلس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد
حتى مات وكان صالحا متنسكا عابدا زاهدا قال الربيع بن
سليمن رايت البويطي على بغل في عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد
سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها اربعون رطلا وهو يقول انما خلق الله
سبحانه وتعالى الخلق بكن فاذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقا خلق مخلوقا
فوالله لاموتن في حديدي حتى ياتي من بعدي قوم يعلمون انه قد مات في هذا
الشان قوم في حديدهم ولين ادخلت عليه لاصدقنه يعني الواثق وقال
ابو عمر بن عبد البر كان ابن ابي الليث قاضي مصر يحسد البويطي ويعاديه
فاخرجه في وقت المحنة في القران العظيم فيمن اخرج من مصر الى بغداد
ولم يخرج من اصحاب الشافعي غيره وحمل الى بغداد وحبس فلم يجب الى ما دعي
اليه في القران وقال هو كلام الله غير مخلوق وحبس ومات في السجن
وقال الشيخ ابو اسحق الشيرازي كان البويطي اذا سمع المؤذن

وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن
فيقول له السجان اين تريد فيقول اجيب داعي الله فيقول ارجع عافاك
الله فيقول البويطي اللهم انك تعلم اني قد اجبت داعيك فمنعوني
وقال ابن ابي الجارود كان البويطي جاري فما كنت انتبه ساعة
من الليل الا سمعته يقرا ويصلي وقال الربيع كان ابو يعقوب
ابدا يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وما رايت احدا انزع لحجة من كتاب الله
من ابي يعقوب البويطي وقال الربيع ايضا كان لابي يعقوب منزلة
من الشافعي وكان الرجل ربما يساله عن المسلة فيقول له سل ابا يعقوب
فاذا اجابه اخبره فيقول هو كما قال وقال ايضا ربما جاء رسول صاحب
الشرطة الى الشافعي فيوجه ابا يعقوب البويطي ويقول هذا لساني
وقال الخطيب في تاريخ بغداد لما مرض الشافعي مرضه الذي مات
فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي فقال البويطي
انا احق به منك وقال ابن عبد الحكم انا احق بمجلسه منك فجاء ابو بكر
الحميدي وكان في تلك الايام بمصر فقال قال الشافعي ليس احدا احق
بمجلسي من يوسف بن يحيى يعني البويطي وليس احد من اصحابي اعلم منه
فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدي كذبت انت وكذب ابوك
وكذبت امك وغضب ابن عبد الحكم فترك مجلس الشافعي وتقدم مجلس
في الطاق وترك طاقا بين مجلس الشافعي ومجلسه وجلس البويطي فيه
في الطاق الذي كان فيه مجلس الشافعي وقال ابو العباس
محمد بن يعقوب الاصم رايت ابي في المنام فقال لي يا بني عليك بكتاب البويطي
فليس في الكتب اقل خطا منه وقال الربيع بن سليمن كنت عند

الشافعي انا والمزني وابو يعقوب البويطي فنظر الينا فقال لي انت تموت
في الحديث وقال للمزني هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله وقال
للبويطي انت تموت في الحديد قال الربيع فدخلت علي البويطي
ايام المحنة فرأيته مقيدًا الي انصاف ساقيه مغلولة يداه الي عنقه وقال
الربيع ايضًا كتب الي ابو يعقوب من السجن انه ليأتي علي اوقات لا احس
بالحديد انه علي بدني حتي تمسه يدي فاذا قرات كتابي فاحسن خلقك مع
اهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيرًا فكثيرًا ما كنت اسمع الشافعي
يتمثل بهذا البيت

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها

توفي يوم الجمعة في رجب سنة احدي وثلثين ومايتين في القيد والسجن
ببغداد وقيل سنة اثنتين وقيل يوم الثلثاء

ومنهم حرملة بن يحيي بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي
ابو حفص المصري احد الحفاظ المشاهير من اصحاب الشافعي وكبار
رواة مذهبه الجديد ومذهبه الذي زهي به كل عطف وجيد احيا
العلم بعد ذو نباته وتصريح اسنانه فازاح رونقه وازال رنقه
بفضايل سامية الاعلام هامية الغمام وعمر والسيادة له مستمرة
والزيادة مستدرة والسعادة لا تحلق له ثيابها ولا تطلق لغير سهام
حظه عيانها ولم يزل علي هذا وبوارق سحبه منجرة وصواعق رهبه
منجزة حتي حمي مطالع مذهبه وحفظها من العدو وحفضها بالهدو
فاضحت لا تجاذب اطرافها ولا تجانب اشرافها ولا تصوح لها نبات
ولا تزحزح ثبات بقيام ادلة تضمن انكشاف الاضواء وانكفاف
المتوضاء قال ابن معين كان اعلم الناس بحديث ابن وهب ونظر
اليه اشهب فقال لخير اهل المسجد وكان حديث ابن وهب قريبًا من مائة الف
حديث كانت عند حرملة الاحديثين قال الشيخ ابو اسحق كان
حافظًا للحديث وصنف المبسوط والمختصر وولد سنة ست وستين ومايه
ومات سنة ثلث واربعين ومايتين

ومنهم اسمعيل بن يحيي بن اسمعيل بن عمرو بن اسحق المزني ابو ابرهيم
لم يقم مذهب صاحبه الامام الشافعي الا بوزنه ولم يدم سح سحاب الامن مزنه
ولا شيم برق الا ونور المزني قادح ناره ومائج مائه من دافق انهاره ومفتل
خيوط الانواء من ادني ما وهب ومكتنف بجوف اللاواء منه بالذهب
وهو ذو المختصر الذي ما اتي بمثله مطيل ولا اوتي نظير فضله الا من ادعي
الاباطيل وكان البحر فيض نداه والغمام ومض شعاع يطير باجنحة الضرم
مصعدًا نور دجي بعبادة تحت حندسه وحمي الوادي بما اسسه وسكن
مصر فاضحت به مقدسة لتقوي عمرت باطنه وعمت مواطنه وعدت عليها
الحجاز ولم تزل في مكانها قاطنة حتي واراه الضريح وناب القبر عن الصدر
والثرياء عن المديح كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا محجاجًا غواصًا علي المعاني الدقيقة
وهو امام الشافعيين واعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه صنف
كتبًا كثيرة وقال الشافعي في حقه الشافعي ناصر مذهبي وكان
اذا فرغ من مسئلة واودعها مختصره قام الي المحراب وصلي ركعتين شكرًا لله تعالي
وقال ابن سريج تخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء وهو اصل
الكتب المصنفة في مذهب الشافعي وعلي مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا
ولما ولي القضاء بكار بن قتيبة بمصر وجاءها من بغداد وكان حنفي المذهب

توقع الاجتماع بالمزني مدة فلم يتفق فاجتمعا يومًا في صلاة جنازة فقال القاضي
بكار لاحد اصحابه سل المزني شيئًا حتى اسمع كلامه فقال له ذلك الشخص
يا ابا ابرهيم قد جاء في الاحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله فلم قدمتم التحريم على
التحليل فقال المزني لم يذهب احد من العلماء الى ان النبيذ كان حرامًا في
الجاهلية ثم حلل ووقع الاتفاق على انه كان حلالًا فهذا يعضد صحة الاحاديث
بالتحريم فاستحسن ذلك منه وهذا من الادلة القاطعة وكان في غاية الورع
وبلغ من احتياطه انه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس فقيل
له في ذلك فقال بلغني انهم يستعملون السرجين في الكيزان والنار لا
تطهرها وقيل انه كان اذا فاتته الصلاة في جماعة صلى منفردًا خمسًا وعشرين
صلاة استدراكًا لفضيلة الجماعة مستندًا في ذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم
صلاة الجماعة افضل من صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين درجة وكان من الزهد
على طريقة صعبة شديدة وكان مجاب الدعوة ولم يكن احد من اصحاب الشافعي
يحدث نفسه في شيء من الاشياء في التقدم عليه وهو الذي تولى غسل الشافعي
وقيل كان معه ايضًا الربيع ∴ توفي لست بقين من رمضان سنة اربع وستين
ومائتين بمصر ودفن بالقرب من تربة الشافعي وذكر ابن زولاق انه عاش
تسعًا وثمانين سنة وصلى عليه الربيع بن سليمن المؤذن المرادي

ومنهم الربيع بن سليمن بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء
المؤذن المصري ابو محمد صاحب الامام الشافعي وهو الذي روى اكثر كتبه
واوى الى اكثر كتبه ونشر بعلمه حلل الربيع وظهر بفهمه خفي البديع
وكان من امامه الشافعي قريبًا ومن غمامه لا يرد الا قليبًا علا به كعبه نهاية
الذرع وغاية ما تبلغه الاربع طالما رعت سوائم الافهام في وهاد ربيعه وجرت

جلابيب الاعلام في ربوعه واخضر نبات ربعه المعشب واخضل نبات
صنيعه المخصب وتقضت فصول السنة وزهر ربيعه ينفح ونجوم نرجسه
عليها نهر المجرة يطفح ومضى ونسيمه نسيم الربيع ما صح اعتلاله وليله
ونهاره ما طال ولا قصر اعتداله ومطره الربعي ما زاد على ان لثم ثغور اقاحه
وزاد في التصنيف جلب لقاحه وفضضت بكرا يامه وسماؤه قد صفحت
بالحديد قال الشافعي في حقه الربيع راويتي وقال الشافعي ايضًا
ما خدمني احد ما خدمني الربيع وكان يقول له لو امكنني ان اطعمك العلم
لاطعمتك وقال الربيع دخلت على الشافعي عند وفاته وعنده
البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر الينا ثم قال اما انت يا ابا يعقوب يعني
البويطي فتموت في حديدك واما انت يا مزني فستكون لك في مصر هنات
ولتدركن زمانًا تكون فيه اقيس اهل زمانك واما انت يا ابا محمد يعني ابن
عبد الحكم فسترجع الى مذهب مالك واما انت يا ربيع فانت انفعهم لي في
نشر الكتب قم يا ابا يعقوب فتسلم الحلقة قال الربيع فلما مات الشافعي صار
كل واحد منهم الى ما قاله حتى كانه نظر الى الغيب من ستر رقيق والربيع
اخر من روى عن الشافعي بمصر ∴ ومن شعره

صبرًا جميلًا ما اسرع الفرجا ∴ من صدق الله في الامور نجا
من خشي الله لم ينله اذى ∴ ومن رجا الله كان حيث رجا

وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر
ودفن بالقرافه

ومنهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث بن رافع المصري
الفقيه عنبر مجد يتضوع وجوهر حمد يتنوع وبحر لا يجي النيل من اياديه

باصبع وسايق أرخي عنانه لما علم بانه لا يتبع وكان قوي الجنان قويم
السنان قول اللسان صؤل اليد بالاحسان حمل الي بغداد والسيف
يقطر دما والرمح يقرع سنه ندما والوجود يود لو غد عدما وطلب في
المحنة التي اظلت والمدة الذي ظلت والمصيبة التي افترست الاديان
واخرست الألسنة الي يوم العرض علي الديان فقال ولم يبل وبالغ لله
ابوه ولام غيره الهبل ؛ سمع من ابن وهب واشهب من اصحاب مالك فلما قدم
الشافعي مصر صحبه وتفقه عليه وحمل في المحنة الي بغداد الي القاضي احمد
ابن ابي دؤاد فلم يجب الي ما طلب منه فرد الي مصر وانتهت اليه الرياسة
بها قال ـــــ المزني كنا نأتي الشافعي نسمع منه فنجلس علي باب داره
ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصعد به ويطيل المكث وربما تغدي
معه ثم ينزل فيقرا علينا الشافعي فاذا فرغ من قراته قرب الي محمد دابته
فركبها واتبعه الشافعي بصره فاذا غاب شخصه قال وددت لو ان لي ولدا صوابه الي الشافعي
مثله وعلي الف دينار دينا لا اجد لها قضاء وقال ـــــ ابن عبد الحكم
كنت اتردد فاجتمع قوم من اصحابنا الي ابي وكان علي مذهب مالك فقالوا
له يا ابا محمد ان محمدا ينقطع الي هذا الرجل ويتردد اليه فيري الناس ان هذا
رغب عن مذهب اصحابه فجعل ابي يلاطفهم ويقول هو حدث ويحب النظر
في اختلاف اقوال الناس ومعرفة ذلك ويقول لي في السر يا بني الزم هذا
الرجل فانك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسئلة فقلت فيها اشهب
لقيل لك من اشهب قال فلزمت الشافعي وما زال كلام ابي في قلبي حين
خرجت الي العراق فكلمني القاضي بحضرة جلسايه فقلت فيها قال اشهب
قال مالك فقال ومن اشهب واقبل علي جلسايه فقال لبعضهم كالمنكر ما اعرف

اشهب ولا ابلق ؛ وذكره القضاعي في كتاب خطط مصر فقال ومحمد هذا
هو الذي احضره احمد بن طولون في الليل الي جب سقايته بالمعافر لما توقف
الناس عن شرب مايها والوضوء به فشرب منها وتوضا فاعجب ذلك ابن
طولون وصرفه لوقته ووجه اليه بصلة والناس يقولون انه المزني وليس
بصحيح قال ـــــ ابن خلكان توفي يوم الاربعاء لليلة خلت من ذي القعدة
سنة ثمانين ومايتين ودفن فيما ذكر عند ابيه واخيه مع والده ومولده سنة
اثنتين وثمانين ومايتين وقيل توفي سنة سبع وستين

ومنهم ابن الرفعة بحر يعج ومعين يمج كان في المذهبين
اوضح الاعلام واوضاء البدور في الظلام لو جاء فيما تقدم لاخليت له الرحاب
وخلفت خلفه الاصحاب وشفي به صدر الشافعي ورفع قدر الرافعي
ولم يماثل اخا العلم منه ابن الصلاح ولا قابله ابن عبد السلام الا وقد القي
السلاح ولم تعد اسد الشري شرواه ولا سحب الحيا الاوراه ؛ سالت
عنه قاضي القضاه السبكي أمتع الله ببقايه فقال ما جاء بعد الرافعي مثله
قلت ـــــ واهل مصر علي كلمة اجماع في تفضيله واهل الشام بعدهم
علي ذلك وشرح التنبيه شرحا ما ترك فيه بعده ولا ترك من اهل الفقه
الا من لم يتجاوز حده

ومنهم الزنكلوني فقيه نبله المتصوب لم يطش ومثله
الي زمانه المتاخر لم يعش رسا مجدا وعلا نجدا واسبغ ذيل تصنيفه وطبع
العلم علي حكم تصريفه وكان وقورا ترى الطود لديه محقورا وتخال
السحاب بما حمل منه موقورا انتفع به عامة الجيل الباقي من الفقهاء وارتفع
به شانهم رفع الازدهاء ومن نكد الدهر وولعه بالحط من ذوي القدر

انه كانت له خطابة قرية من قري مصر لا بها ذ بزيد عدد رجالها على من
تقوم به الخطبة وزوحم فيها ونوزع عليها وليث من نازعه كان يحفظ
غير فاتحة الكتاب سورة متلوة او يحسن يسبح كما امر وضوءه وانما
كان رجلا من اهل الريف اصوب ما قراه بالتحريف وحرصت انا
وشيخنا قاضي القضاه القزويني رحمه الله علي تحقيق اولويته وسداد
قضيته وتقديمه علي ذلك الفدم الجاهل واظهار الفرق ما بين القدم
والفرق فابي له الحظ السيي الا الحرمان وليس هذا موضع القول
ويكفي هذا القدر في التلويح

ومنهم ابن عدلان محمد بن الكاني الشافعي

قاضي القضاه شمس الدين ابو عبد الله امام نشر في التدريس مذهب امامه
ابن ادريس واتي بما لم يستطعه الاوايل ولم تطقه قدرة مصنف ولا
قايل حتي اضحت الوجوه ضاحكة مسفره والطرق سالكة مسفره
واستدل للقولين معا وبلغ قصي كل فضيلة فلا غرو ان دعي مجمعا
وسدد منه سهم من كنانة وثقف سمهري لا يرد سنانه وبقي بقية
السلف وقدوة الخلف وناب في القضاء حيث المتولي لا تداني النجوم
رتبته المنيفه وحيث النايب عنه في الحكم العزيز خليفه هذا وكم من
مواقف جاهد فيها اكبر الجهاد وزاحم فيها مرتبة الاجتهاد واقدم
والسيوف علي راسه تتلمظ ونيران الغضب حوله تتشوظ ولم يخط
جرح فمه وقد كاد ينزف دما وياتي منه علي آخر الذما الا ان الله سلم
وخلص من دمه من كاد له يتذمم وهو الان علي قضاء العساكر تعتز
به جنودها وتعقد بسببه بنودها وهو مقبل علي التصنيف لا يبرح
منه خاطره ولا يبرح انواؤه الماطره
وهذا اخر من نذكره من الفقهاء الشافعيه ونتلوهم برابع
الايمة الاربعه وهو

الامام احمد بن محمد

بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس الشيباني
الامام ابو عبد الله المروزي ثم البغدادي احد ايمة الاسلام والهداة الاعلام
واحد الاربعة الذين تدور عليهم اقضية الحكام وفتاوي الفقهاء في الحلال
والحرام والتابعين باحسان لطرق السلف الكرام فهو العلم الا انه
في صدره النور والنجم الذي يهدي ولا يغرو يسري ولا يغور وحافظ الملة
من تحريف الغالين وتحريف القالين قام بالحق حتي كان امة وحده
وقال الصدق ولم يخش السيف ولا حده وصبر علي بلاء المحنه وصابر من
الاعداء الاحنه واقام في اخماد ضرم تلك الفتنه حين اضرمت الهيجاء
واظلمت الارجاء حتي انكشفت تلك الظلمة وانصرفت تلك الفرق
المضله ووجهه يتهلل وشبهة القمر لمن يتامل حتي منع حمي القران
ممن قال فيه تلك المقالات ودعي فيه الي تلك الضلالات ولم يرعه مضا
السيف المصلت ولا ضيق السجن الذي منه لا يفلت وصابر السياط التي
صبت عليه عذابها والقيود التي جمد عليه مذابها حتي جلا الله تلك المحن
وقد وقي محنته ورفع بحط عدوه درجته واعد له ما اعده واقامه قيام
سيد تيم في قتال اهل الردة وكانت لا تحور له قوي عزيمه ولا يمتر
به الابطال الا طمي هزيمه وكان غماما في المحل اذا ما طرا ماطرا وهماما
في الخطب اذا عرا ذاعرا ما عدل عن كتاب ولا سنه ولا سلك مذهبه
الا طريقا الي الجنة خرجت امه من مرو وهي حامل به فولدته في بغداد

في ربيع الاول سنة اربع وستين ومايه وقيل بل ولد بمرو وحمل الى بغداد
وهو رضيع وطاف البلاد في سماع الحديث والعلم فدخل الكوفه والبصره
ومكه والمدينه واليمن والشام والجزيره وروى عن الجم الغفير والعدد
الكبير من اهل العلم ومشايخ الحديث واخذ الفقه عن جماعة من اجلهم
الامام ابو عبد الله الشافعي وقد روي ان الامام احمد صحب الشافعي
مدة مقامه ببغداد في الرحلة الثانية وانه سلك مسلكه ونهج منهجه
وقال كل مسئلة ليس عندي فيها دليل فانا اقول فيها بقول الشافعي وكان
امام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره
وهو من اجل كتب الاسلام وصنف كتاب الزهد ويقال انه جمع تفسيرا
جمع فيه ماية الف حديث وعشرين الفا وقال في حقه الشافعي
خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن حنبل ودعي الى
القول بخلق القران فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع وكان
ضربه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة عشرين وماتين وكان حسن
الوجه ربعة يخضب بالحنا خضابا ليس بالقاني في لحيته شعرات سود قال
الزعفراني ما قرات على الشافعي حرفا الا واحمد حاضر ولا ذهبت الى الشافعي
مجلسا الا وجدت احمد فيه وقال ابرهيم الحربي الشافعي استاذ
الاستاذين اليس هو استاذ احمد وقال صالح بن احمد مشى ابي
مع بغلة الشافعي فبعث اليه يحيى بن معين فقال اما رضيت الا ان تمشي مع
بغلته فقال يا ابا زكرياء ولو مشيت الى جانبها الاخر لكان انفع لك
وقال يحيى بن سعيد القطان احمد بن حنبل حبر من احبار هذه
الامه وقال الميموني قال لي علي ابن المديني لما ضرب احمد بن
حنبل وحبس يا ميموني ما قام احد في الاسلام ما قام به احمد بن حنبل
قال المروذي سمعت سلمة بن شبيب يقول كنت عند احمد بن
حنبل فجاءه رجل فقال لقد ضربت برها وبحرها او قال فقصدت اليك ولولا
اني قيل لي في منامي ائت اباك فاخبرك لما جئت فقيل لي قل له ان الله قد باهى
بصبرك الملائكة وقال ابو عبيد القسم بن سلام لست اعلم في
الاسلام مثل احمد وقال ابو جعفر النفيلي احمد بن حنبل من اعلام الدين
وقال مهنا بن يحيى الشامي ما رايت احدا اجمع لكل خير من احمد بن حنبل
وما رايت مثله في علمه وفقهه وزهده وورعه وسئل ابو ثور عن مسئلة فقال
قال ابو عبد الله احمد بن حنبل شيخنا وامامنا فيها كذا وكذا وقال
حجاج ابن الشاعر ما رات عيناي روحا في جسد افضل من احمد بن حنبل وقال
احمد بن سعيد الدارمي ما رايت اسود الراس احفظ لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا اعلم بفقهه ومعانيه من احمد بن حنبل وقال ابو زرعة
الرازي كان احمد بن حنبل يحفظ الف الف حديث فقيل له وما يدريك فقال
ذاكرته فاخذت عليه الابواب ∴ وروى عنه جماعة من الاماثل منهم البخاري
ومسلم والشافعي ويزيد بن هرون وهما من شيوخه واسحق بن منصور الكوسج
وبقي بن مخلد الاندلسي وابو حاتم وابو زرعة الرازيان وحرب الكرماني وابناه
صالح وعبد الله وذكر مناقبه يطول شرحها وللناس في ذلك مصنفات
مفردة احسنها وابسطها ما جمعه ابو الفرج ابن الجوزي ∴ وتوفي احمد بن
حنبل ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وقيل بل
لثلاث عشرة ليلة بقين من الشهر المذكور وقيل من ربيع الاخر سنة احدى
واربعين وماتين ببغداد عن سبع وسبعين سنة على المشهور ودفن

بمقبرة باب حرب وقبره مشهور هناك يزار وحزر من حضر جنازته من
الرجال فكانوا ثمان مايه الف ومن النساء ستين الفا وقيل الف الف وقيل
انه اسلم يوم مات عشرون الفا من النصارى واليهود والمجوس قال
صالح بن احمد حضرت ابي الوفاه فجلست عنده وبيدي الخرقة لاشد بها لحيته
فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا ابعد لا بعد ثلث
مرات فقلت له يا ابه ايش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت قال لي ما تدري قلت
لا قال ابليس لعنة الله قايم بحذاي عاضا على انامله يقول لي يا احمد فتني فاقول
لا حتي اموت حدث ابرهيم الحربي قال رايت بشر بن الحرث الحافي في
المنام كانه خارج من مسجد الرصافة وفي كمه شي يتحرك فقلت ما فعل الله بك
قال غفر لي واكرمني فقلت ما هذا الذي في كمك قال قدم علينا روح احمد
ابن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطت قلت فما فعل الله بيحيى
ابن معين واحمد بن حنبل قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما
الموايد قلت فلم لم تاكل معهما انت قال قد عرف هوان الطعام علي فاباحني
النظر الى وجهه

ومنهم اسحق بن منصور بن بهرام ابو يعقوب الكوسج المروزي
الرافل في احسن فخار روي استمد منه اهل الصحيح واستعد للسحاب فلم
يقدح زناده الشحيح حتى حصل ما حصل وجاز ما الوشاب خضاب الليل لما
نصل وكان جد ثقه ومودي امانة اعطي عليها موثقه ولد بمرو ورحل
الى العراق والحجاز والشام وسمع جماعة وورد بغداد وحدث بها وروى عنه
الشيخان صاحبا الصحيحين وجماعة من الايمة وكان عالما فقيها وهو الذي دون
الفقه عن الامام احمد ولما بلغه ان احمد رجع عن المسايل التي كان علقها عنه جمع

اسحق تلك المسايل في جراب وحملها على ظهره وخرج راجلا الى بغداد وهي على
ظهره وعرض خطوط احمد عليه في كل مسئلة استفتاه فيها فاقر له بها
ثانيا واعجب بذلك احمد من شانه وسيل مسلم عن اسحق فقال ثقة مامون
توفي يوم الخميس ودفن يوم الجمعة لعشر بقين من جمدي الاول سنة احدى وعشرين
وماتين بنيسابور ودفن الى جنب اسحق بن راهويه

ومنهم احمد بن محمد بن هاني الاسكافي ابو بكر الاثرم صاحب
الامام احمد زند ذكاء ما فيه قادح ونهار لالاء لا يحتاج الى مادح اثرى من
الفضايل ثم ما افتقر واثر من الفواضل ما لو قيس به الذهب لكان يحتقر
جذب بضبعه العلم فارتفع وعم بنفعه الخلق وانتفع ولم يرا البن من ثديه
ولا اجري من ماء التعليم في غصنه حتى صار من اعلام الحفاظ وممن اعلا من عرف
منه حسن الحفاظ قال ابو بكر الخلال كان جليل القدر حافظا لما
قدم عاصم بن علي بغداذ طلب من يخرج له فوايد فلم يجد مثل ابي بكر فلم يقع منه بموقع
لحداثة سنه فاخذ يقول هذا خطا وهذا وهم فسر عاصم به وكان للاثرم تيقظ
عجيب حتى قال يحيى بن معين وغيره كان احد ابويه جني وقال ابرهيم
الاصبهاني الاثرم احفظ من ابي زرعة الرازي واتقن وقال الحسن
ابن علي بن عمر قدم شيخان من خراسان للحج فحدثا فقعد هذا ناحية معه خلق
ومستملي وقعد الاخر ناحية كذلك فقعد الاثرم بينهما فكتب ما امليا معا قال
الحافظ ابو عبد الله الذهبي اظنه مات بعد الستين وماتين

ومنهم صالح بن الامام احمد ابو الفضل قاضي اصبهان اكبر اخوته
ومجيب كلمة ابيه وملبي دعوته كان زاهدا ما فيه ما يقال وعابدا امن ان لا يقال
بلي بثقل الجناح والقضاء وان كان لا يخاف الجناح وتوفي بدار اغتراب وبلد نازح.

علي ان اصل ابن ادم من تراب ؛ سمع من ابيه مسايل كثيره وكان الناس يكتبون
اليه من خراسان ومن المواضع ليسال لهم عن المسايل فوقعت اليه مسايل جيده
وكان ابوه يحبه ويكرمه ويدعوا له وكان معيلاً ابلي بالعيال على حداثته
وكان سخيًا يطول ذكر سخايه افتصد يومًا فدعا اخوانه وانفق في ذلك عشرين
دينارًا في طيب وغيره وروي عن صالح بن احمد قال قال لي ابي انا ادعوك وابعث
خلفك اذا جاءنا رجل متقشف لتنظر اليه رجا ان يرسخ في قلبك اذا نظرت
الي مثله فلما صار صالح الي اصبهان بدا بمسجد الجامع فدخله وصلي ركعتين واجتمع
الناس والشيوخ وجلس وقري عليه عهد الخليفة الذي كتب له جعل يبكي بكاءً
كثيرًا فبكي الشيوخ الذين قربوا منه فلما فرغ من قراءة العهد جعل المشايخ
يدعون له ما في بلدنا احد الا وهو يحب اباعبد الله ويميل اليك فقال لهم اتدرون
ما الذي ابكاني ذكرت ابي رحمه الله ان يراني في مثل هذا الحال قال وكان عليه
السواد قال كان ربما يبعث خلفي اذا جاءه رجل زاهد او رجل متقشف لانظر
اليه يحب ان اكون مثلهم او يراني مثلهم ولكن الله يعلم ما دخلت في هذا الامر
الا لدين قد غلبني وكثرة عيال احمد الله وكان صالح اذا انصرف من مجلس الحكم
يترك سواده ويقول تراني ان اموت وانا علي هذا وولي صالح بطرسوس قبل
ولايه للقضاء باصبهان ومات باصبهان في رمضان سنة ست وستين ومايتين
وقيل سنة خمس ومولده سنة ثلث وماتين

ومنهم حنبل بن اسحق بن حنبل ابو علي الشيباني ابن عم الامام
احمد فقيه لولاه للفضل ما نفق ولولا بقياه لما تخلق الصباح بالشفق ممن
بقر البحر بعلمه وان كان ماله قرار والبدر لفهمه لو لم يدركه السرار من كافور
تلك الجبلة ونور تلك الاسرة المستهلة عرف بعلمه وعز قدره بابن عمه

قال الخلال جاء عن احمد بمسايل اجاد فيها الروايه واغرب واذا نظرت
في مسايله شبهتها في حسنها واشباعها وجودتها بمسايل الاثرم وكان
رجلاً فقيرًا خرج الي عكبرا فقرا مسايله عليهم وخرج ايضًا الي واسط وقال
حنبل جمعنا عمي لي ولصالح ولعبد الله وقرا علينا المسند وما سمعه مني يعني تامًا
غيرنا وقال لنا ان هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من اكثر من سبع مايه وخمسين
الفًا فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ارجعوا
اليه فان وجدتموه فيه والا ليس بحجة ؛ ومن ورعه انه لما قدم عكبرا نزل في غرفة
اكتراها فلما اجتمع اصحاب الحديث اليه قال لهم اكتريناها هذه الغرفة لنسكنها
فاذا كثر الناس خشينا ان تضر فاذا اجتمعتم خرجنا الي المسجد وقال
حنبل خرجت في سنة احدي وعشرين فرايت في المسجد الحرام كسوة البيت
الديباج وهي تخيط في صحن المسجد وقد كتب في الدارات ليس كمثله شي وهو
اللطيف الخبير فلما قدمت سالني عن بعض الاخبار فاخبرته بذلك فقال قاتله الله
الخبيث يعني ابن ابي داود عمد الي كتاب الله فغيره يعني ازال السميع البصير ؛
توفي في جمدي الاولي سنة ثلث وسبعين ومايتين

ومنهم احمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ابو بكر المروذي لم يكن
مثله في التخلي بدينه والتحلي ليقين فرد في تابيد العلم بالورع والتقدم والناس
له تبع وكان انيس امامه وجليس غمامه ورسيل علمه اذا عب بحره وزخر
وعديل حلمه اذا رسا طوده وفخر ؛ كان مقدمًا في اصحاب الامام احمد لورعه
وفضله وكان احمد يانس به وينبسط اليه وهو الذي تولي اغماضه لما مات
وغسله وقد روي عنه مسايل كثيره وقال المروذي رايت ربي في
المنام وكان القيامة قد قامت ورايت الخلايق والملايكة حول بني ادم فسمعت

الملايكة تقول قد افلح الزاهدون في الدنيا ورايت النبي صلى الله عليه وسلم وسمعته
يقول يا احمد بن حنبل هلم الي الحرض على الله عز وجل فرايت احمد ورايتني
خلفه. ولما قدم احمد بن حنبل من سامرا جعل يقول جزا الله المروذي عني خيرا
وكان المروذي شديد التمسك بقول احمد. قال يوما في جنازة
حضرها لو ان الخليفة انجازت عن قول احمد بن حنبل ما تحاشيت ان اجفوها
توفي المروذي في جمادي الاول سنة خمس وسبعين ومايتين ودفن عند رجل
قبر احمد بن حنبل

ومنهم ابرهيم بن اسحق البغدادي الامام الحافظ ابو اسحق
الحربي احد الاعلام وفرقد الظلام تفقه علي الشيباني وتبع مذهبه وسمع
الحديث وكتبه وصنف في ساير العلوم وتصرف في الخصوص تصرف
العموم وكان من افراد الزهاد وانجاد العلماء وهو النجد وهم الوهاد. ولد
سنة ثمان وستين ومايه وسمع الحديث وتفقه علي الامام احمد وكان من جملة
اصحابه قال الخطيب كان اماما في العلم راسا في الزهد عارفا بالفقه
بصيرا بالاحكام حافظا للحديث مميزا لعلله قيما بالادب جماعة للغة صنف
غريب الحديث وكتبا كثيرة اصله من مرو قال القفطي غريب
الحديث له من انفس الكتب واكبرها قال ثعلب ما فقدته ابرهيم
الحربي من مجلس لغة وقال السلمي سالت الدارقطني عن ابرهيم
الحربي فقال كان يقاس باحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وقيل ان المعتضد
سير الي الحربي عشرة الاف فردها ثم سير له مرة اخري الف دينار فردها
وقال الحربي ما انشدت بيتا قط الا قرات بعده قل هو الله احد ثلث
مرات وقال عبد الله بن احمد قال لي ابي امض الي ابرهيم الحربي

حتي يلقي عليك الفرايض وقال الحاكم سمعت احمد بن صالح يقول ما
اخرجت بغداد مثل ابرهيم الحربي في الفقه والحديث والادب والزهد يعني من
جميع هذه الاشياء وقال الدارقطني هو امام بارع في كل علم صدوق
ومات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين ومايتين

ومنهم عبد الله بن احمد بن محمد بن حنبل الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن
محدث العراق ومحط الطراق شبل ذلك القسوره وبقية تلك الجوهره
جري على ذلك السنن وغرد على ذلك الفنن واحيا ماثر شبان وما شاب
عارضه ولا سال بالثام معارضه. ولد سنة ثلث عشرة ومايتين وسمع من
ابيه فاكثر وحدث عنه النساي وغيره قال الخطيب كان ثقة
ثبتا فهما وقال احمد ابن المنادي في تاريخه لم يكن احد اروي في الدنيا
عن ابيه من عبد الله لانه سمع منه المسند وهو ثلثون الفا والتفسير وهو مايه
وعشرون الفا ثلثه والباقي وجاده وسمع منه التاريخ والناسخ والمنسوخ
وحديث شعبه والمقدم والموخر في كتاب الله والمناسك الكبير وغير ذلك
وحديث الشيوخ وما زلنا نري اكابر شيوخنا يشهدون لعبد الله بمعرفة الرجال
ومعرفة علل الحديث والاسما والمواظبة علي الطلب حتي افرط بعضهم وقدمه
علي ابيه في الكثرة والمعرفة وقال عبد الله بن احمد سمعت من
ابي مايه الف وبضعة عشر الفا وكل شي اقول قال لي فقد سمعته مرتين او
ثلثه واقله مرة وقال ابو زرعة قال لي احمد ابني عبد الله محظوظ
من علم الحديث لا يذاكرني الا بما احفظ وكان كثيف اللحية يصبغ بالحمرة وكان
يلي القضاة بطريق خراسان في خلافة المستكفي ومات في جمدي الاخره سنة
تسعين ومايتين وكانت جنازته مشهوره واوصي ان يدفن بالقطيعة بباب

السن فقيل له في ذلك فقال قد صح عندي ان بالقطيعة نبيا مدفونا والي
ان اكون في جوار نبي احب الي ان اكون في جوار ابي

ومنهم احمد بن محمد بن هرون ابو بكر المعروف بالخلال صاحب
التصانيف الدايره والكتب السايره اشهر من النهار واظهر محاسن من
الروض تدفقت في جوانبه الانهار لم ير اشهي من شهده ولا اروي من زنده
ولا اضم من نطاقه ولا اتم سنا من قمره في افاقه اراق عن جفونه في
طلب العلم الكري حتي اتاها قريبة وادعه مسرورة هاجعه وتفرد
بحسن الاحدوثه وانحصر فيه بالاستحقاق علوم مذهبه الموروثه وبقي بين
اقرانه غريبا وعلي بعد زمانه قريبا وخلي من مدده ما هو لبيد كل طالب غني
ولسمع كل راغب جنا ولامل كل غايب ناى عنه مني ∴ رحل الي اقاصي البلاد في
جمع مسايل احمد وسماعها ممن سمعها من احمد وممن سمعها ممن سمعها من احمد
فنال منها وسبق الي ما لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه بعده لاحق وكان شيوخ
المذهب يشهدون له بالفضل والتقدم وكانت حلقته بجامع المهدي قال
ابو بكر عبد العزيز رايت ابا بكر الخلال في المنام فسالته عما يا كل فقال لما الك
منذ فارقتكم الا بعض فرخ اما علمت ان طعام الجنة لا ينفذ ومن تصانيفه كتاب
الجامع والعلل والسنه والطبقات والعلم وتفسير الغريب والادب واخلاق
احمد وغير ذلك وسمع من خلايق لا يحصون كثرة قال ابو بكر بن
سهريار كلنا تبع لابي بكر الخلال لم يسبقه الي جمع علم الامام احمد احد قبله
وقال ابو بكر الخطيب جمع علوم احمد بن حنبل وتطلبها وسافر
لاجلها وكتبها وصنفها كتبا ولم يكن فيمن ينتحل مذهب احمد اجمع لذلك
منه ∴ توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الاخر سنة احدي عشرة وثلثمايه ودفن

الي جانب قبر المروذي عند رجل احمد وله سبع وسبعون سنة وقيل بل
نيف علي الثمانين

ومنهم الحسن بن علي بن خلف ابو محمد البربهاري كان حيث سار
تبعته الرعيه وحيث اشار كلمته مرعيه وكان حبه مغناطيس القلوب
وذكره عطر الافواه والجيوب ولذلك ما جار ابن المعتز حين اراد اشتهاض
العامة الا باسمه الذي صرخ به مناديه وصرف الانظار الي ناديه حتي كاد
يتم امره لو ساعده القدر وساعفه الحظ الذي كسف الشمس وخسف القمر
وكان لا يري بعد ابن حنبل رضي الله عنه الا بدلا من امامه وخلفا منه ان
وصل احد بعده الي مقامه ∴ كان شيخ الطايفه ومتقدمها في الانكار علي اهل
البدع والمباينة لهم باليد واللسان وكان له صيت عند السلطان وقدم
عند الاصحاب وكان احد الايمة العارفين والحفاظ للاصول المتقنين والثقات
المامونين صحب جماعة من اصحاب احمد منهم المروذي وصحب سهلا التستري
وصنف كتاب شرح السنه وتنزه من ميراث ابيه عن سبعين الف درهم
وكانت له مجاهدات ومقامات في الدين كثيره وكان المخالفون يغلظون
قلب السلطان عليه ففي سنة احدي وعشرين وثلثمايه في خلافة القاهر
تقدم الوزير ابن مقلة بالقبض علي البربهاري فاستتر وقبض علي جماعة من
اكابر اصحابه وحملوا الي البصرة فعاقب الله ابن مقلة علي ذلك بان اسخط عليه
القاهر وهرب ابن مقلة وعزله القاهر عن الوزارة وطرح في داره النار
وقبض علي القاهر يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاخرة سنة اثنتين وعشرين
وثلثمايه وحبس وخلع وسملت عيناه في هذا اليوم حتي سالتا جميعا فعمي ثم
تفضل الله واعاد البربهاري الي حشمته وزادت حظوته في سنة ثلث وعشرين

وثلث مايه علت كلمته وظهر اصحابه وانتشروا في الانكار على المبتدعة حتى
انه اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته اصحابه فارتفعت ضجتهم حتى
سمعهم الخليفة وهو في روشنه فسال عن الحال فاخبر بها فاستهولها وذلك
في ايام الراضي ثم لم يزل المبتدعة يثقلوا قلب الراضي على البربهاري فتقدم
الراضي الى بدر الخرشي صاحب الشرطة بالركوب والنداء ببغداد ان لا
يجتمع من اصحاب البربهاري نفسان فاستتر البربهاري وكان ينزل بالجانب
الغربي بباب محول فانتقل الى الجانب الشرقي مستترا فتوفي في الاستتار
في رجب سنة تسع وعشرين وثلث مايه وكان قد اختفى عند اخت توزون
بالجانب الشرقي فبقي نحوا من شهر فلحقه قيام الدم فقالت لخادمها لما مات
البربهاري انظر من يغسله فجاء بالغاسل فغسله وغلق الابواب حتى لا يعلم
احد ووقف يصلي عليه وحده فاطلعت صاحبة الدار فرات الدار ملاى رجال
بثياب بيض وخضر فلما سلم لم تر احدا فاستدعت بالخادم وقالت اهلكتني
مع اخي فقال رايت ما رايت فقالت نعم فقال هذه مفاتيح الباب وهو مغلق
فقالت ادفنوه في بيتي واذا مت فادفنوني عنده فدفنوه في دارها وماتت
بعده بزمان فدفنت في ذلك المكان ومضى عليه الزمان وصار تربة يزار

ومنهم احمد بن سلمان بن الحسن بن اسرايل بن يونس ابو بكر
النجاد العالم الناسك الورع والسالك على ما نص الشارع صلوات الله عليه وما
شرع طرقت فتاويه المشارق والمغارب وطرزت حلل النهار واردية
الغياهب وتناقلت فضايله الركايب وكانت احاديثه تتحدث بها السمار
على عيسها وتونس بها الفيافي في اقالتها وتعريسها كان له في جامع
المنصور يوم الجمعة حلقتان قبل الصلاة للفتوى على مذهب احمد وبعد الصلاة

لاملاء الحديث اتسعت رواياته وانتشرت احاديثه ومصنفاته قال
ابو علي الصواف كان احمد بن سلمان يجي معنا الى المحدثين ونعله في يده فقيل
له لم لا تلبس نعلك قال احب ان امشي في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا حافي فلعله ذهب الى قوله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باخف الناس
حسابا يوم القيامة بين يدي الملك الجبار المسارع الى الخيرات ماشيا على قدميه
حافيا اخبرني جبريل ان الله تعالى ناظر الى عبد يمشي حافيا في طلب الخير
وقال ابو اسحق الطبري كان النجاد يصوم الدهر ويفطر كل ليلة
على رغيف ويترك منه فاذا كان ليلة الجمعة تصدق بذلك الرغيف واكل تلك
اللقم التي استفضلها وكان اذا املى الحديث في جامع المنصور يكثر الناس
في حلقته حتى يغلق باب من ابواب الجامع مما يلي باب حلقته وقال ابو بكر
النجاد ضقت وقتا من الزمان فمضيت الى ابرهيم الحربي فقصيت له قصتي
فقال لي اعلم انني ضقت يوما حتى لم يبق معي الا قيراط فقالت الزوجة فتش
كتبك وانظر ما لا تحتاج اليه فبعه فلما صليت عشاء الآخرة جلست في الدهليز
اكتب اذ طرق على الباب طارق فقلت من هذا فقال كلمني ففتحت الباب
فقال لي اطف السراج فطفيته فدخل الدهليز فوضع فيه كارة وقال لي اعلم اننا
اصلحنا للصبيان طعاما فاحببنا ان يكون لك وللصبيان فيه نصيب وهذا ايضا
شي آخر فوضعه الى جانب الكارة وقال اصرفه في حاجتك وانا لا اعرف
الرجل وتركني وانصرف فدعوت الزوجة وقلت لها اسرجي فاسرجت
وجاءت واذا الكارة منديل فيه قيمه وفيه خمسون وسط في كل وسط لون
من الطعام واذا الى جانب الكارة كيس فيه الف دينار قال النجاد فقمت
من عنده ومضيت الى قبر احمد وزرته ثم انصرفت فبينا انا امشي على جانب الخندق

اذ لقيتني عجوز من جيراننا فقالت لي يا احمد فاجبتها فقالت ما لك مغموم
فاخبرتها فقالت اعلم ان امك اعطتني قبل موتها وقالت اخبي هذه عندك
فاذا رايت ابني مضيقا مغموما فاعطيه اياها فتعال معي حتى اعطيك اياها
فمضيت معها فدفعتها الي * توفي وقد كف بصره ليلة الثلثا لعشر
بقين من ذي الحجة سنة ثمان واربعين وثلث مايه وعاش خمسا وتسعين سنة
ودفن عند بشر الحافي

ومنهم عمر بن الحسين بن عبد الله بن احمد ابو القسم الخرقي
صاحب المصنف الذي هو اليوم لاهل المذهب جادة الطريق ومادة
الفريق ومفقه الطايفة الاحمدية الا انها لا تقحم النار ولا تسري على
غير منار ولا يطربها اصوات المزاهر ولا المدايح ولا يقتفي الا الاثر الاحمدي
ساكن طيبة لا ساكن البطايح * قرا العلم على من قراه على المروذي وغيره
وله المصنفات الكثيرة في المذهب لم ينتشر منها الا المختصر في الفقه
لانه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابه واودع كتبه في درب
سليمن فاحترقت الدار التي كانت الكتب فيها ولم تكن انتشرت بعد قرا
عليه جماعة من شيوخ المذهب * توفي الخرقي سنة اربع وثلثين وثلث مايه
ودفن بدمشق

ومنهم عبد العزيز جعفر بن احمد ابو بكر المعروف بغلام الخلال
امام له صدر المحراب وسر الصواب والواحد الذي اذا تكلم في السنة
ازال العتاب واذا قال قال الذي عنده علم من الكتاب راس طايفته
ورئيسها وفريدها الذي يهدي اليه سفنها وتحدى عيسها جرد مذهب
امامه وما اخلق ووصل به سببه وهو بالسما معلق * حدث عن جماعة

وروى عنه خلق وكان موثوقا به في العلم متسع الرواية مشهورا بالديانة
موصوفا بالامانة مذكورا بالعبادة له المصنفات في العلوم المختلفة كتفسير
القران والفقه والخلاف مع الشافعي وغير ذلك وقال ابو يعلى كان
ذا دين واخا ورع علامة بارعا في علم المذهب ثم ذكر مكانته في النفوس
وتقدمه عند السلطان وذكر ان ابا بكر ذكر عند اخت معز الدولة
بسوء وانه تنقص من علي رضي الله عنه فاستدعته وجمعت المتكلمين
لمناظرته فكان صوته عاليا عليهم وحجته ظاهرة لديهم واخت معز الدولة
بحيث تسمع كلامه حتى شهدت له بالفضل وكان منها الانكار عليهم فيما
كذبوه عليه واضافوه اليه وبذلت له شيا من المال فامتنع من قبوله مع
خفة حاله وقلة ماله زهدا وورعا قال القاضي ابو يعلى حكى لنا
ابو بكر احمد بن اسحق المعروف بابن سكينة الازجي قال حكى لنا الشيخ
ابو الفضل ابن التميمي قال حكى لي شيخ كان ليسافر في طلب الحديث انه
وقع الي في خبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يدخل
الجنة سبعون الفا بغير حساب قال فسافرت كذا كذا بلدا اسال هل هناك
زيادة على هذا العدد فما زادني احد وكل يقول هكذا سمعنا فدخلت مدينة
البصرة وسالت عن ذلك فما زادني احد فلما كان ذات يوم نمت وانا تعب فرايت
النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت قدمه فقال لي يا فلان قد تعبت في هذا الخبر
الذي سمعته عني فقلت له اي والله يا رسول الله فقال لي امض الى بغداد
الى جامع الخليفة سترى رجلا واسع الجبين جهوري الصوت فسله عن هذه
المسلة يعني ابا بكر عبد العزيز فانه يجيبك قال فلم يحملني القعود حتى مضيت
الى بغداد قال فقلت في نفسي لا سالت احدا عن هذا الرجل حتى ادخل الجامع

وانظر الي الصفة التي وصفها رسول الله صلي الله عليه وسلم فدخلت
يوم الجمعة الجامع فسمعت صوته فاذا هو بالصفة التي وصفها رسول الله
صلي الله عليه وسلم فوقفت حذاءه وقلت له ايها الشيخ مسلة فقال
اوسعوا للشيخ موضعا الي ان وصلت الي بين يديه فقال لي اجلس
فجلست فقال لي سرا ألست الرجل الذي بعث بك رسول الله صلي الله
عليه وسلم فوقعت علي الرعدة فقلت نعم وامسكت ثم قال لي ايها الشيخ
هات مسالتك فسالت عن الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب فقال لي يا ابله انت والذين سالتهم
حدثنا فلان عن فلان وذكر الاسناد انه اذا كان يوم القيامة وحصل اهل
الموقف يقول الله سبحانه وتعالي ولا ابالي ثلث مرات ويحثي ثلث حثيات
من قبضته اربع عشره سما وارض كحبة خردل في ارض فلاة كم مرة سبعون
الف ∴ توفي يوم الجمعة لعشر بقين من شوال سنة ثلث وستين وثلثمايه
وروي انه قال لاصحابه في علته انا عندكم الي يوم الجمعة فقيل له يعافيك
الله او كلاما هذا معناه فقال سمعت ابا بكر الخلال يقول سمعت
ابا بكر المروذي يقول عاش احمد ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة
ودفن بعد الصلاة وعاش ابو بكر الخلال ثمان وسبعين سنة ومات
يوم الجمعة ودفن بعد الصلاة وانا عندكم الي يوم الجمعة ولي ثمان وسبعون
سنة فلما كان يوم الجمعة مات ودفن بعد الصلاة وهذه كرامة حسنة
فانه حدث بيوم موته وكان يوما عظيما بكثرة الجمع وهاجر من دار
لما ظهر سب السلف الي غيرها وهذا يدل علي قوة دينه وصحة عقيدته
وحكي ابو القسم الازجي عن عبد العزيز انه ضاق في بعض

الاوقات قال فاخذت رقعة وكتبت فيها بسم الله الرحمن الرحيم
فلان بن فلان محتاج قال واخذت الرقعة وخرجت الي باب الحلبة والغيث
الرقعة من يدي فحملتها الريح وعدت الي منزلي فاذا كان يسيرا واذا الباب
يطرق فخرجت واذا شيخ لا اعرفه ودفع الي قرطاسا ثقيلا فاخذته
ودخلت فاعتبرته فاذا هو خمسمايه درهم واذا رقعتي في القرطاس وفيها مكتوب
يا صاحب الرقعة بعدها احسن لادب في الطلب
ومنهم الحسين بن حامد بن علي بن مروان ابو عبد الله البغدادي
فقيه وفق لصواب القول وسداده وتدفق العلم وامداده كان يبكر
الي المعابد ويفكر فكر العابد الي علم يلقنه وعمل يتيقنه بدقايق
معان يتأمل تامل العيان ويتامل تامل المتبحر في العيان ادرك الغاية
وجازها وبلغ النهاية وجازها وكان يعد من غرايب الرغايب ويعد حسن
اللألي علي الترايب فلو كانت الفضايل نفوسا لكان قوتها او جواهر لكان
ياقوتها ∴ وكان امام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم له المصنفات
في العلوم وله المقام المشهود في الايام القادرية وقد ناظر ابا حامد
الاسفرايني في وجوب الصيام ليلة الغمام في دار الامام القادر بالله بحيث
يسمع الخليفة الكلام فخرجت الجايزة السنية من امير المومنين
فردها مع حاجته الي بعضها فضلا عن جميعها تعففا وتنزها وقيل انه كان
يبتدي في مجلسه بقراءة القران ثم بالتدريس ثم ينسخ بيده ويقتات
من اجرته فسمي ابن حامد الوراق لاجل ذلك قال القاضي
ابو الحسين وبلغني انه كان في كثير من اوقاته اذا اشتهت نفسه
الباقلا لم ياكل معه دهنا واذا كان معه دهن لم يجمع بينه وبين الباقلا

وكان كثير الحج فعوتب في كثرة سفره وحجه مع كبر سنه فقال لعل الدرهم
الزيف يخرج مع الدراهم الجيدة وحكي ان انسانا من الحاج جاءه بقليل
ماء وهو مستند الي حجر وقد اشرف علي فاوي الي الجاي له بالماء من ابن
هو وايش وجهه فقال له هذا وقته فاوي ان نعم هذا وقته عند لقاء الله تعالي
احتاج ان ادري ما وجهه او كما قال توفي سنة ثلث واربع مايه

ومنهم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد بن الفرا ابو يعلي
القاضي والامام الذي حمد من زمانه الراضي بحر العلم الزاخر العباب الفاخر
الدر علي مباسم الحباب والحباب لم يجمع ظرف في عصره مثله وان ذهب بكرا
واصالا واتي ليله نصولا ونهاره الا انصالا اماد عصر الامام الشيباني
مقبلا وقد شابت اللمم وشانت معايب العجز الهمم ونال من اكرومة الخلفاء
ما كان به جديرا وعلي شكره قديرا كان عالم وقته وفريد عصره ونسيج وحده
وفريع دهره وكان له في الاصول والفروع القدم العالي وفي شرف الدين
والدنيا المجلس السامي والحظ الرفيع عند الامامين القادر والقايم رضي الله عنهما
واصحاب الامام احمد له يتبعون ولتصانيفه يدرسون ويدرسون وبقوله
يفتون وعليه يعولون والفقهاء علي اختلاف مذاهبهم واصولهم كانوا عنده
يجتمعون ولمقاله يسمعون ويطيعون وبه ينتفعون وبالايتمام به يقتدون
وقد شوهد له من الحال ما يغني عن المقال لا سيما مذهبه واختلاف الروايات
عنه وما صح لديه منه مع معرفته بالقران وعلومه والحديث والفتاوي والجدل
وغير ذلك من العلوم مع الزهد والورع والعفة والقناعة وانقطاعه عن الدنيا
واهلها واشتغاله بتسطير العلم وبثه واذاعته ولما خرج ابن حامد الي
الحج سنة اثنتين واربع مايه ساله محمد بن علي المقري علي من يدرس والي من

يجلس فقال له الي هذا الفتي واشار الي القاضي ابي يعلي وكان لابي حامد اصحاب
كثير فتفرس في ابي يعلي ما اظهره الله تعالي عليه وكان فيه صبر علي المكاره
واحتمال لما يلحقه من عدو وزلل ان جري من صديقه وتعطف بالاحسان
علي الكبير والصغير ويصطنع المعروف مع القاصي والداني ويجري علي سنن
الامام احمد حذو القذة بالقذة ولم يزل علي طول الزمن يزداد جلالة ونبلا
وعلما وفضلا وحضر سنة اثنتين وثلثين واربع مايه في دار الخلافة في ايام
القايم بامر الله مع الجم الغفير والعدد الكبير مع اهل العلم الفساد قول جري
مع المخالفين لما شاع قراة كتاب ابطال التاويلات فخرج الي ابي يعلي من القايم
بامر الله الاعتقاد القادري في ذلك بما يعتقده ابو يعلي وكان قبل ذلك قد التمس
منه حمل كتاب ابطال التاويلات ليتامل فاعيد الي ابي يعلي وشكر له تصنيفه
فقري ذلك الاعتقاد الذي خرج من عند الخليفة القايم والقاري قايما علي قدميه
والموافق والمخالف بين يديه ثم اخذت في تلك الصحيفة خطوط الحاضرين
من اهل العلم والفقهاء علي اختلاف مذاهبهم وجعلت كالشرط المشروط فاول
من كتب الزاهد ابو الحسن القزويني هذا قول اهل السنة وهو اعتقادي وعليه
اعتمادي ثم كتب ابو يعلي بعده وكتب القاضي ابو الطيب الطبري واعيان الفقهاء
من بين موافق ومخالف فلما ارادوا النهوض التفت ابن القزويني الي ابي يعلي
وقال كما في نفسك فقال ابو يعلي الحمد لله علي ما تفضل به من اظهار الحق فقال
ابن القزويني لا اقنع بهذا وانا احضر بجامع المنصور واملي احاديث الصفات
فحضر القزويني جمعات مترادفات بجامع المنصور واملي اخبار الصفات ناصرا
لما سطره ابو يعلي توفي ابو يعلي ليلة الاثنين بين العشاءين تاسع عشر شهر
رمضان سنة ثمان وخمسين واربع مايه وصلي عليه ولده ابو القسم وحضره جمع

وحقهم حر شديد فافطروا جماعة لم يسمحوا بالرجوع

ومنهم عبد الخالق بن عيسى بن احمد بن محمد بن عيسى ابو جعفر الشريف العباسي والمنيف الطود الراسي من آل بيت النبوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم واطلعهم على سرائر العلم واظهرهم وبلغ من المقتدي بالله مبلغا كان به حجة المعتدي ونجم المهتدي ومزنة السحاب التي تشافه الروض الندي قل ان وجد له مثال او بلغ له منال او عرف وجه في المذهب الا وله فيه مقال ∴ مولده سنة احدى عشرة واربع مايه درس الفقه على القاضي ابي يعلى واعاد الدروس في الفروع واصول الفقه فبرع في المذهب ودرس وافتى في حياة شيخه وكان مليح التدريس جيد الكلام في المناظرة عالما بالفرايض واحكام القران والاصول صنف روس المسايل وغير ذلك وكان يدرس بمسجد بدرب لبسكه وبجامع المنصور ثم انتقل الى الجانب الشرقي فدرس في المسجد المعروف به مقابل دار الخلافه وكان اذا بلغه منكر عظم عليه ذلك جدا وعرف فيه الكراهة الشديدة وكان شديد القول على اصحاب البدع والقمع لباطلهم ودحض كلمتهم ولم تزل كلمته عالية عليهم واصحابه متظاهرين على اهل البدع لا يرد يده عنهم احد ثم انتقل الى الرصافة وسكن درب الديوان ودرس بجامع المهدي وبالمسجد الذي براس درب الديوان وكان يجلس للنظر في كل يوم اثنين ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين وهو الذي غسل ابا يعلى ابن الفراء وغسل القايم بامر الله بعد وفاته وكان قد اوصى له الخليفة باشياء كثيرة من المال والثياب فابا اخذها فقيل له خذ قميص امير المومنين نتبرك به فاخذ فوطة نفسه فنشف بها الامام القايم وقال قد لحق هذه الفوطة وهي ملكي بركة امير المومنين ولم ياخذ القميص وبلغ من

قدره ومحله عند الامام المقتدي بامر الله انه لما فرغ من غسل القايم لم يوذن له في المصير الى منزله حتى بايع الناس المقتدي بامر الله على الاجتماع واستدعاه لبيعته منفردا خاليا به وبايعه ثم قال له الشريف في جملة كلامه

اذا سيد منا مضى قام سيد قوول بما قال الكرام فعول

ثم اذن له بالمضي الى منزله بعد بيعته ∴ توفي في نصف صفر سنة سبعين واربع مايه ودفن بمقبرة الامام احمد وحضره جمع يفوت الاحصا واخذ الناس من تراب القبر شيا كثيرا للتبرك ولزموا قبره ليلا ونهارا مدة طويلة يقراون الختمات وقرى على قبره في مدة شهور الف ختمه

ومنهم الحسن بن احمد بن عبد الله بن البنا ابو علي وذو الفخار الذي ينظر الى الكواكب من علي شيد لابيه البناء وجدد له الثناء ونشر له جناحا امتد طيرا فيه المذهب وصفح بلجين الكواكب ابنوس الغيهب وكان طود العلم المنيف وقوام الدين الحنيف وحجة لله قاطعه وبينه بلالاء الحق ساطعه وابقى بعده من التصانيف افضل ما خلفه عالم واسرى بغير طيفه العالم ∴ تفقه على القاضي ابي يعلى وعلق عنه المذهب والخلاف ودرس في الجانب الشرقي بدار الخلافة في حياة شيخه ابي يعلى وصنف كتبا في الفقه والحديث والفرايض واصول الدين وفي علوم مختلفات وكان متفننا في العلوم وكان له حلقتان في المنصور والاخرى في جامع القصر للفتوى والوعظ وقراءة الحديث وكان اديبا شديدا على اهل الاهواء ∴ توفي ابو علي ابن البنا يوم السبت الخامس من رجب سنة احدى وسبعين واربع مايه

جامع صح

ومنهم عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة شيخ الاسلام موفق الدين

ابو محمد المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي كان اماما موفقا وغماما مدفقا
كنزا لكل طالب وعزا لكل غالب طرز برد ذلك الاوان وبرز في ذلك
القران على كيوان وكان مجلسه يقدس الواطئ ويحبو بالعفو الخاطئ
كرما وسعة نطاق حلمه ووشعة اشراق علمه وله في مذهب الامام احمد
رضي الله عنه ما اصبح فيه احد اهل دهره واجمع اهل وقته لافنان زهره حتى
كان جادة ذلك المذهب وذلك البحر الذي عنه لا يذهب مولده بجماعيل
من عمل نابلس سنة احدى واربعين وخمس مايه في شعبان وهاجر مع اهل
بيته واقاربه وله عشر سنين وحفظ القران ولزم الاشتغال من صغره
وكتب الخط المليح وكان من بحور العلم واذكيا العالم ورحل هو وابن خاله
الحافظ عبد الغني في اول سنة احدى وستين في طلب العلم الى بغداد
فادركا نحو اربعين يوما من حياة الشيخ عبد القادر ونزلا عنده بالمدرسة
واشتغلا عليه تلك الايام وسمعا منه ومن تلك الطبقة وكان عالم اهل الشام
في زمانه قال ابن النجار كان امام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة
حجة نبيلا غزير الفضل نزها ورعا عابدا على قانون السلف عليه النور
والوقار ينتفع الرجل برؤيته قبل ان يسمع كلامه وقال عمر ابن
الحاجب هو امام الايمة ومفتي الامة خصه الله بالفضل الوافر والخاطر
الماطر والعلم الكامل طنت بذكره الامصار وضنت بمثله الاعصار اخذ
بمجامع الحقايق النقلية والعقلية قال وله المولفات الغزيرة
وما اظن الزمان يسمح بمثله متواضع حسن الاعتقاد ذو اناة وحلم ووقار
مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين وكان كثير العبادة دايم التهجد لم نر مثله
ولم ير مثل نفسه وعمل الشيخ الضيا سيرته في جزين فقال كان تام القامة

ابيض مشرق الوجه ادعج كان النور يخرج من وجهه لحسنه واسع الجبين
طويل اللحية قايم الانف مقرون الحاجبين صغير الراس لطيف اليدين والقدمين
نحيف الجسم ممتع بحواسه اقام هو والحافظ ببغداد اربع سنين فاتقنا الفقه
والحديث والخلاف اقاما عند الشيخ عبد القادر خمسين ليلة ومات ثم اقاما
عند ابن الجوزي ثم انتقلا الى رباط النعال واشتغلا على ابن المني ثم سافر في
سنة سبع وستين ومعه الشيخ العماد واقاما سنة صنف المغني عشر
مجلدات والكافي اربعة وصنف عدة مجلدات قال الحافظ ضيا الدين
رايت احمد بن حنبل في النوم فالقى علي مسله فقلت هذه في الخرقي فقال ما قصر
صاحبكم الموفق في شرح الخرقي قال الضيا كان رحمه الله اماما في التفسير
وفي الحديث ومشكلاته اماما في الفقه بل اوحد زمانه فيه اماما في علم الخلاف
اوحد في الفرايض اماما في اصول الفقه اماما في النحو والحساب والانجم
السيارة والمنازل وسمعت داود بن صالح المقري سمعت ابن المني يقول وعنده
الامام الموفق اذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت اليه توفي يوم السبت
يوم الفطر ودفن من الغد سنة عشرين وستمايه ودفن بسفح قاسيون

ومنهم محمد ابن ابي الحسين احمد بن عبد الله بن عيسى بن احمد بن علي
اليونيني البعلبكي الحنبلي ابو عبد الله القدوة عرف بالشيخ الفقيه من
افاضل العلماء ومناهل الظماء منشا البيت المشهور ومنبع الفضل الذي
استعذب ورده الجمهور جمع العلم والعمل وهما شرفان وحازهما وهما طرفان
وكان ممن ذي له خضوع الملك الاشرف موسى وكان اذا اتاه نهض له
وقام واذا جاء اليه زايرا ساله المقام وعلى هذا الان بنوه عند الملك
المنصور قلاوون ومن عقبه الان العلامة محيي الدين عبد القادر وهو ببعلبك

اليوم صدرها وشمس افقها المشرق وبدرها لعلمه الموفر الاجزاء وكرمه
الذي يضحك بالسحاب ضحك الاستهزاء مولده سنة اثنتين وسبعين وخمسمايه
بيونين من بعلبك ولبس الخرقة من الشيخ عبد الله البطايحي صاحب الشيخ عبد القادر
وصحب الشيخ عبد الله اليونيني وتفقه بالشيخ الموفق وبرع في الخط المنسوب
وسمع الحديث وحدث وروي عنه خلق كثير وكان والده مرخما ببعلبك ثم بدمشق
فمات ونشا الفقيه يتيما بالكشك مع والدته فاسلمته نشابيا ثم حفظ القران
وجود الخط ثم حفظ الجمع بين الصحيحين للحميدي بجماله عمر ابن الحاجب
فاطنب وقال اشتغل بالفقه والحديث الي ان صار اماما حافظا لم ير في زمانه
مثله في كماله وبراعته جمع بين علمي الشريعة والحقيقة وكان حسن الخلق والخلق
نفاعا للخلق مطرحا للتكليف من جملة محفوظه الجمع بين الصحيحين وحدثني
انه حفظ صحيح مسلم جميعه وكرر عليه في اربعة اشهر وكان يكرر علي
اكثر مسند مسلم من حفظه وانه كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد علي
سبعين حديثا وقال ولده قطب الدين حفظ الجمع بين الصحيحين
واكثر المسند وحفظ صحيح مسلم في اربعة اشهر وحفظ سورة الانعام في
يوم واحد وحفظ ثلث مقامات من الحريرية في بعض يوم وكان الاشرف
يحترمه ويعظمه وكذلك اخوه الصالح وقدم في اواخر عمره دمشق فخرج الملك
الناصر يوسف الي زيارته بزاوية الفريشي وتادب معه وقال غيره
كان الشيخ الفقيه كبير القدر يذكر بالكرامات والاحوال وكان اهل بعلبك
يسمعون بقراءته علي المشايخ الواردين عليهم توفي في تاسع عشر رمضان
سنة ثمان وخمسين وستمايه

ومنهم عبد الصمد بن احمد بن عبد القادر بن ابي الحسين ابن

ابي الحسن القطيعي الحنبلي ابو الخير وابو احمد مجد الدين شيخ الاسلام امام
لم يكن بمتهم ولا يمكن ان نتطرق اليه التهم حصل الفضل وجمعه واقام
اعيانه وجمعه ولم ينثم في عمره لغيره لامعه ولا استمطر لسواه هامعه
وكان في طلب العلم نهما لا يشبع ومترسما بما يطبع لا يتبع غيره ما استنبط
ولا يربع علي غيره وما افرط وحكي عنه ايام تحصيله ما فضل به كل اهل اوانه
واشاب ناصية الليل وقد صحبه في عنفوانه ومال طودا وهو كان اجري
ومات ببلل البكاء عليه جيدا ونحرا وابقت شمسه شعاعا يخلفها وقد
غربت ويدنيها والساعة بموته قد اقتربت مولده ببغداد في منتصف
المحرم سنة ثلث وتسعين وخمسمايه قرا القران بالروايات علي جماعة واخذ
النحو والعربية عن ابي البقاء العكبري والمبارك ابن ابي السعادات الواسطي
وتفقه علي مذهب الامام احمد وسمع الحديث من خلايق وكان اماما عالما
فاضلا سيدا وقورا مهيبا خطيبا زاهدا عابدا قل ان تري العيون مثله
اجمعت الطوايف علي انه امام وقته في القران وانشاء الخطب ومعرفة
اللغة والعربية والحديث والزهد والورع وكان طويل القامة حسن الشكل
جهوري الصوت له وقع في القلوب وجلالة في النفوس صاحب كرامات
ومكاشفات واحوال ومدحه الشيخ يحيي الصرصري وجمع له بعض اصحابه
مجلدا في فضايله وزهده وسيرته وحدث باسباب النزول للواحدي وبزاد
المسير في التفسير لابن الجوزي وبالصحيحين وجامع الترمذي والسنن لابن
ماجة ومسند الدارمي واحمد والمنتخب من مسند عبد ابن حميد ومسند ابن
داود الطيالسي وعدة كتب من تصانيف ابن الجوزي وبكثير من كتب
القراات وانشا الخطب والتصاديق ووسمها بصنوف الضيوف المرتبة

على الجزوف وهي سبع مجلدات وكتب كثيرا بخطه من كتب القراآت واجزاء
الحديث وخطه مليح صحيح معرب وخطب بجامع الخليفة بعد واقعة بغداذ
قريبا من عشر سنين ∴ وتوفي يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الاول سنة
ست وسبعين وستمايه ودفن عند الامام احمد في الحضرة واقتسم العوام
خشب تابوته قصدا للبركة ولم يخلف بعده مثله

ومنهم عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد ابن ابي نصر ابن عبد الباقي
ابن عكبر العكبري البغداذي جلال الدين ابو محمد امام حل التمام وحل
بيده الزمام وحلق وقصر الغمام درس حتي درس وجلس بمجلس الطلبة حتي
اجلس وشرح الله صدره ومنح الشرف قدره وفخر بما ذخر وطما علي البحر
وقد زخر واحيا عظم فخار الرميم وقد انخر ولاذ به الناس من كل جانب
وعاذ به المسالم والمجانب وعاف وارده بعده الانهار واستذنب المذانب ∴
مولده سنة عشرين وستمايه ببغداذ حفظ القران في صباه وكتبا
في علوم شتي وسمع الحديث وكان اماما عالما عاملا فاضلا كاملا وحيد دهره
في علم التفسير والفقه والوعظ والحديث خبيرا بالمذهب جامعا لفنون من
العلم مليح الشكل دمث الاخلاق له وقع في القلوب ومهابة في النفوس
طيب الانشاد رقيق الاستشهاد درس بالمدرسة المستنصرية للطايفة
الحنابلة بعد واقعة بغداذ وانتهت اليه رياسة العلم ببغداذ وصنف عدة كتب
قال جلال الدين العكبري كتب الي النقيب قطب الدين الحسين
ابن الاقساسي من نظمه بيتين وانشدني اياهما بعد ذلك

كتابة صدغيه قد جهزت وابدع في الحسن خطا طها
فلا كالرجال ولا كالنساء وخير المراتب اوسا طها

فاجزتها ارتجالا

جياد قريضك يوم السباق اعيا السوابق اشوا طها
وشعرك يوسف غر القريض واشعار غيرك اسبا طها
وان حل سمط باذهاننا فالفاظك الغر بقرا طها

ومن نثره اخواني من لم ينظر بعين اليقظة ما بين يديه توجهت الملامة
في وقوعه اليه ومن نسي حساب سياته وجده مذكورا في كتاب حافظيه
ومن لم يخف مقامه بين يدي ربه فلا تحضر لديه ومن اعتبر بمن عبر وغبر ونظر
العبر بالغير في نفسه وجانبيه فيا من غفل عن ذنبه بين يدي ربه اما
علمت ان ربك مطلع عليه ∴ توفي يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان
سنة احدي وثمانين وستمايه ببغداذ

ومنهم عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام ابي عمر محمد بن احمد بن قدامة
قاضي القضاة شيخ الاسلام شمس الدين ابو الفرج المقدسي الحنبلي شمس عصره التي
ذهبت وابقت شعاعا منها يخلفها وواحد دهره الذي آمن ايامه وهو
تخوفها اوسع زمانه صلاحا وولي الحكم فاسكت من لاحا وكان يجلس فوق
الشافعي صاحب المنصب ويمشي حتي علي ربعه المخصب وكان خيرا كله ونجابا
في كل مكان يحله لا جرم ان ايامه انقضت اقصر من جناح الذبابه واقرب
مما بين الوسطي والسبابه ويقال انه كان يحكم علي الجان ويحكي عنه في هذا
مثل حكايات النجان وعلي الجملة كان فردا لا يخلف ولابس حلل فخار مثلها
لا يخصف لعلم مغدق وعمل مصبح ومغبق وكرم ملو الوفاض وخلق
كوشي الرياض الي رافة اندي من السحاب وبصيرة اهدي من الشهاب
وورع عف به عن اكثر الحلال وزهد كان لا يري الاكثار الا في الاقلال

فما عدى سيرة السلف ولا عدا طريقة الا قتصاد خوفا من الشرف ٭ مولده
سنة سبع وتسعين وخمس مايه وسمع حضورا قبل الستمايه وسمع من حنبل
المسند كله واكثر عن ابن طبرزد وتلك الطبقه وطلب الحديث وقرا علي
الشيوخ وتفقه بعمه الشيخ موفق الدين وعرض عليه المقنع وعمل له شرح
في عشر مجلدات وكان كبير الشان بعيد الصيت منقطع القرين له وقع في
النفوس ومحبة في القلوب جميل الصوره حسن البشر وافر الجلالة سريع
الحفظ والفهم بديع الكتابة كثير التعبد والصيام والتهجد والسكينه والتودد
حسن الاخلاق والصفات الحميده قل ان ترى العيون مثله ليس بالطويل ولا
بالضخم ازهر اللون مشربا بحمرة واسع الوجه ازج الحاجبين اقنى اشهل
رقيق البشرة كث اللحية مقتصدا في ثيابه صغير العمامة يرسل عذبة
بين يديه يدخل الي البلد للفصل بين الخصوم فيركب دابة وكان يقوم
الليل ويصلي الضحي وبين العشايين ويبلغه الاذي فيغضي ويحلم فقل ما انتقم
لنفسه وكان يقبل جوايز الدولة فيفرقها علي الفقراء والتلامذه وحج ثلث
مرات وغزا ثلث غزوات نوبة صفد ونوبة الشقيف وحصن الاكراد قد
جمع الله الالسنة علي تعظيمه وتوقيره وولي القضاء ثنتي عشرة سنة لم
يتناول عليه رزقا ثم تركه قال الفخر ابو محمد عبد الرحمن البعلبكي
اعرفه منذ خمسين سنة ما رايته غضب وكان الشيخ محيي الدين النواوي يقول
هو اجل شيوخي وقد اثني عليه الموافق والمخالف ٭ توفي شهيدا بالبطن في
سلخ ربيع الاخر سنة اثنين وثمانين وستمايه عن خمس وثمانين سنة واربعة
اشهر وكانت جنازته مشهوده كان الجمع يفوت الاحصا ورثته الشعراء
بعدة قصايد ودفن عند والده بسفح قاسيون قال الحافظ ابو عبد الله

الذهبي رايت وفاته بخط شيخ الاسلام ابن تيميه يقول توفي شيخنا الامام
سيد اهل الاسلام في زمانه وقطب فلك الانام في اوانه وحيد الزمان حقا
حقا وفريد العصر صدقا صدقا الجامع لانواع المحاسن والمعالي البري عن
جميع النقايص والمساوي القارن بين حلتي العلم والحلم والحسب والنسب
والعقل والفضل والخلق والخلق ذو الاخلاق الزكيه والاعمال المرضيه
مع سلامة الصدر والطبع واللطف والترفق وحسن النيه وطيب الطويه
حتي ان كان المتعنت يطلب له عيبا فيعوزه الي ان قال وبكت عليه العيون
باسرها وعم مصابه جميع الطوايف وساير الفرق فاي دمع ما انسجم واي
اصل ما جدم واي ركن ما هدم واي فضل ما عدم يا له من خطب ما اعظمه
واصل قدره ومصاب ما اقحمه واكثر ذكره وفي الجملة فقد كان الشيخ
اوحد العصر في انواع الفضايل هذا حكم مسلم من جميع الطوايف وكان
مصابه اجل من ان يحيط به العباره فرحمه الله ورضي عنه وحكي
لي من اثق به ان الملك الظاهر بيبرس لما خرج الي بلاد الروم جعل طريقه
بمدينة دمشق علي الجسر الابيض حتي اتي الجامع المظفري ونزل به والشيخ
جالس به يريد وداعه ليكون اخر عهده به فاتي اليه وجلس بين يديه وامسك
يده والشيخ يتاني ثم لم يزل به حتي قبلها وامرها علي عينيه ثم سال منه
الدعاء وخرج لوقته فركب وانطلق

ومنهم سليمن بن حمزة بن احمد بن عمر بن الشيخ ابي عمر تقي الدين
ابو الفضل قاضي القضاه ولي الحكم فكان سليمن زمانه حكما وسلمان اوانه
علما لو علم باتيانه القاضي ابو يعلي لاستعلي او ابن بطه ولو استبطا
اتي اباته لما استملي او استشعر به قاضي العراق لنفض عن هدبه الكري

واراق فلو علم به البربهاري لبره او اقسم به الموفق على الله لابره بزهد
لو راي المروزي بن الرفيع لنسج عليه او الخلال لخلى ما عنده لديه حكم
فما انتقد عليه حتى الآن واشتد فما قسا وسهل فما لان وذهب وصدر
الزمان به ملآن ولد سنة ثمان وعشرين وست مايه وسمع الصحيح
حضورًا في الثالثة من ابن الزبيدي وسمع صحيح مسلم وما لا يوصف كثرة
من الحافظ ضياء الدين وابن اللتي وجعفر الهمداني وابن الجميزي وكريمه
وسمع حضورًا من جده الجمال ابي حمزة وابن المقير وابي عبد الله الاربلي واجازه
محمد ابن عماد وابن باقا والمسلم المازني ومحمد بن منده وابن عبد الواحد
المديني وشعرانه والسهروردي والمعافى وابن عيسى المقري وخلق كثير
وخرج له ابن الفخر معجمًا كبيرًا وسمع عليه الكثير ودرس بالجوزيه وكان
مليح الدروس وولي القضاء عشرين سنة وعزله الجاشنكير في سلطنته
ثم اعاده السلطان عند عوده من الكرك فبقي حتى توفي سنة خمس عشرة
وسبع مايه

ومنهم محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع الصالحي قاضي القضاه
شمس الدين ابو عبد الله الحنبلي شمس محجبت ايامه باجنحة الفواخت وضمنت
بطيبها رد الايام الفوايت كان عصره مذهبا وزمنه لاوقات السرور
مذهبا امن به كل خايف كان يترقب واستقر به كل سارق كان يخمر
الباطل يتنقب كان ابوه رجلا يبيع الملح ويتسبب في قليله طلبا للربح
وقضى على هذا الايام واصلح بولده اصلاح الملح للطعام وولد ابنه مغتذيا
بطعامه الحل ناشيا منه على نهج لسواه لا يستحل فلما ان له حبب اليه
العلم وحل لديه رتاج الفهم ظل فظل يكاثر في اقتنايه ويتابع سبيل

السلف باقتفايه حتى اصبح شمس عصره الا انه مثل راد الضحى ورد الفجر
وقد اطل مصبحا فقنع ببلل من العيش لا تبل به الاماق ولا تمسك بسببه
الارماق منتصبا لطلبة يعلمها ما لم تعلم وطلبة لو سيلت من الغمام لكان
منه يتعلم ثم خطب من وظيفة القضاء للمنصب الجليل فامتنع وطلب له
غير القليل فامتنع فلم يزل به ارباب التعيين حتى قبل عقدها وقدم زخرف
الدنيا نقدها وولي منصب القضاء وقعد لفصل المضاء فما راي حلي الكبراء
ادق منه نظرا ولا اكثر منه لقديم الوقايع مستحضرا هذا على انه كان
من الناس بمعزل ومن الدنيا كلها على جوف منزل الا ان الله نور بصره
وسدد رايه ونصره فما جاز عليه زيف التدليس ولا قابله طيف الباطل
الا تحت راية التنكيس كل هذا الى استعادة جهات اوقاف تملكت وعمارة
مواضع بر استهلكت والنظر في عامة المصالح مع اصلاح طرق المسلمين
والضرب على ايدي الظلمة المتحكمين وقول الحق وان كان مرا والوقوف
معه نفع زيدا او ضر عمرا وحج مرات آخرها وقد نا لبت عليه عصب لم ترد
الا ان تغطي عليه وقد حجبت شمسه واشرفت على الفراق نفسه فلما اتى
المدينة الشريفة مات ودفن في البقيع وجاور في سماء تلك الانجم اهل
ذلك الرفيع وكان قبل تلك حج مرة فمات له صاحب في مرجعه فحمل من مكة
المعظمه حتى دفن في تلك المقبرة وحضر هو جنازته فبقي يقلب تراب قبره
بيده ويقول طوبى لك ويا فسد عليه ثم قال تمنيت ان يكون قبري الى
جانبه وكان في السنة الاتية ما تمنى ونال سروره اذ قبر هناك طاب
وتهنا وحكي انه لما حفر قبره ليدفن فيه وتكون في قيد تلك الاذرع
شمسه ان امكن وجدت نصيبة قبر من قديم مكتوب عليها هذا البيت

اذا كان قبري في البقيع بطيبة فلا شك اني في حمى صاحب القبر
فهنيئا له ما سنح به الفال وما سيمنح من تحية ركايب الى ذلك الحمى زايرين
وقفا له كان ذا علم جم مبرزا في نحو اضحى الرباشي اليه احص القوالم والفارسي
قدام العربي كالخادم والمازني لا يقام له معه وزن ما هو له عالم الى لغة
تجب لاجلها هجر القالي وخط قد رصاعد عالي وحساب لو كلف اقليدس
اقل ما لديه لقال ما هذا فني او فرض شبيهه في الفرايض الحسين بن محمد
الوني لا سرع وولي الولي مع روايات يخشع لها الخشوعي ويدرك سلف
السلف الاخشنا والعي مما لو اتصل بابي القسم الطبراني لطرب او ابي زكريا
النواوي لما اطمانت بنواه رحلة مغترب هذا الى زهد تر تعدله فرايص الحرث
ابن اسد ويظن سري السقطي ان ما عنده قد كسد ولي القضاء على شرط
ان لا يلزم بتغيير زيه ولا ركوب بغله ولا ركوب قدام المحمل السلطاني في
دوران ولا وداع ولا ملتقي وان يكون له النظر في اوقاف طايفة الحنابله
من غير معارضة وغير ذلك فاجيب الى هذا جميعه فلم يغير زيه الذي كان
عليه وقام بالحق وسدد وقارب وفعل فوق ما كان نظن في الامكان لسوء
الزمان وخلص كثيرا من الاوقاف التي كان استولي عليها حتى فتح مدارس
كان قد اغلقت منذ زمان منها الصاحبه بسفح قاسيون والدنيسرية للطب
وعمر الدواثر ورمم المتماسك وامسك المتداعي ونهض نهضة عازم وقام
مقاما لم يقمه غيره وفعل وقال ولم يخش الا الله وكانت امراة مات ابوها
وخلف لها عقارا صالحا فاراد كافل الممالك تنكز ان يزوجها من مملوك له
وكانت هي لا تريد الا ابن خال لها وكان دونها في الملاءة مع كفاية فغضب
تنكز لذلك وبعث ينكر عليه وقال كيف زوجت هذه بمن هو دونها

فقال لرسوله قل له مثل ما زوجت انت مملوكك ببنت بيبرس العلاي وكان
بيبرس العلاي من كبار الامراء النواب فلما اعيد عليه الجواب زاد غضبه
ولم يقدر يتكلم وكان يصدع بالحق ولا يخاف لومة لايم وولي القضاء ومذهب
الامام احمد رحمه الله قد مات بموت العلماء وخمل بقلة الفقهاء فاحيا المذهب
وجعل هذا دابه وحل اوقاف مدارسه المضمونه وعمرها وثمرها حتى نمت
متحصلاتها وتضاعفت اجورها وكثرت غلاتها واقام عليها الامنا وولي امورها
للكفاه وتولاها بالعفاف والخبرة حتى درت ادراراتها وتسهلت ارزاق
الطلبه ثم جعل لكل من عرض عليه كتابا في الفقه على مذهبه او في الحديث
او في النحو جعالة وجعل جعالة كل كتاب على قدره فانصرفت الهمم الى الاشتغال
بالعلم وكثرت الطلبة فلم يمض مدة حتى صلح منهم جماعة للافتاء وبلغت طايفة
منهم درجة الانتهاء وتصدى بنفسه للجلوس للاشتغال والعرض عليه ومعاملة
الكتب وكان يسمح لمن عرض عليه ويوصيه ليزداد رغبة واخذ بقلوب
الكبراء ورؤساء البلد وقدم اماثل ابنايهم واستشهد عليه اهل الخير منهم
فمالوا لهم اليه واجمعوا دون قضاة بقية المذاهب عليه وصار مجلسه
مجلس الحكم والقضاء بدمشق وصار مذهبه اظهر المذاهب وكثر فيه اهل
الافتاء وعلت سمعتهم وجرى ذكره على لسان الخاص والعام وضرب
به المثل وتقرب الى الله بصالح العمل وكان مدة ولايته كلها على حاله
الاول متقللا من الدنيا غير متكثر منها ولا مكترث بها ينزل من الجبل
الى المدينة ماشيا برجله ويطلع من المدينة الى الجبل كذلك فان وجد تعبا
اكترى دابة من حمير الكرا يركب عليها بالاجرة ويمشي والميزر تحت
ابطه ويفرشه في مجلس الحكم ويجلس عليه ويقدم له محبرة من زجاج هي دواته

التي يكتب منها ويأكل مأكل الفقراء ويقنع بالقليل قال لي بعض بطانيه
انه ما كان يأكل الا من مقرر اعادة المدرسة الضيائية التي كانت بيده
من قبل القضاء لا يأكل من سواها ولم يأخذ تدريسا ولا استزاد لنفسه
زيادة وكان يصرف جامكية القضاء الى زوجته والى المستحقين من
اقاربه وغيرهم ويستفضل منها ما عمر به مواضع وقفها بعده وكان معانا
على البر مفتوحا عليه فيه اذا اراد بنا مدرسة او اصلاح طريق من طرق
المسلمين يؤتى بمال ممن له رغبة في الخير فيستعين به في ذلك البر وتهيأ
له في هذا كل عجيب حكى لي انه ربما اتى بمال لا يعرف من بعث
به حتى صرفه في عمارة مدرسة الشيخ ابي عمر والضيائية وغير ذلك وكنت
على كثرة اجتماعي به وقراءتي النحو عليه اجله عن السوال عن هذا غير انني
كنت اذا رايته اتوسم سيما السلف وارى عليه ملامح الائمة الاول واظن
والله اعلم انه لو مد له في العمر غطت شمسه على الكواكب وابلغ بحر
السحايب وبقي منقطع القرين وحج مرات رافقته منها سنة اثنتين
وعشرين وسبع مايه فلم ار مثله في كثرة التواضع وسعة الصدر وكرم
النفس وحسن الخلق وبشاشة الملتقى وحج باهله في جماعة على احمل ما يكون
وكان يدع محمله وجماله غالب الطريق وينزل يمشي تخفيفا عن الظهر ورغبة
في احتساب الخطوات ودخل تلك الحجة قارنا ودخلت انا متمتعا فلما اتينا
مكة المعظمة واهللت بالحج قال لي اعلم انك لو مشيت من هنا الى ان
تقضي حجك لكنت قد حججت ماشيا كما كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يفعل
ولقد كان يحج ماشيا والجنايب تقاد بين يديه ففعلت فوافقني ومشيت
انا وهو في جماعة ممن حج معي وحج معه حتى اتينا نمرة ثم اتينا عرفة بجمل في

ذلك كله بالسنة الماثورة فرحمه الله وغفر له لقد كان سيدا كبيرا وعالما
عاملا ورايت شيخنا ابا المعالي ابن الزملكاني قد كتب كتابا الى قاضي القضاة
ابن الحريري ذكره فيه فقال الامام العالم الرباني القايم بالحق وكان شيخنا
شيخ الاسلام ابن تيمية يقول وقد ذكر عنده ما هو عليه هو بدل لم تؤيد بساعد
وكان شيخ المذهب ابن الفركاح يقول هو انموذج السلف وكان على هذا كله
ثاقب الراي واري الزناد قيما بمصالح الدنيا عارفا بمكايد الرجال عالما باخبار
اهل الزمان مقبل السمع على معرفة احوال الناس لا يكاد يجوز عليه زيف
ولا يدخل عليه بهرج ولا يفضله احد في حسن النقد يعود المرضى ويشيع
الجنايز ويقوم بحقوق الناس ويتالفهم ولا ينفرهم ويستر فضايحهم ولا يكشفها
مع الاحتراز لنفسه والاحتياط لدينه وحقد عليه بعض اصحابنا الشافعية
آخرا القيامة مع العلامة ابي عبد الله ابن قيم الجوزية واصحاب ابن تيمية
واستروها له واستعانوا بدوادار النايب وكان لا يصدر ولا يورد الا به
وكان متحملا عليه لعدم قبول شفاعاته فشرع في بنا حوانيت في وجه وقف
يريد بها ارتفاع الوقف وينمي اجوره فقالوا هذا ما يجوز وعقد له مجلس انتدب
فيه ابن جملة للمحاققه وابرز فيه وجه المقالحه وتبسط في الاقوال الفاحشة
فحكم بهدم ما كان شرع في بنايه وقام رحمه الله بدايه فعزم على الحج واجتمعت
به لا ابسطه واثبطه فقال لي هيهات والله والله لاستبدلن دارا خيرا
من دارهم وجارا خيرا من جارهم ولاقيمن بالمدينة ثم انطلق اوان الحج فكان
ما اراد الا انه اقام ميتا لا حيا اتى المدينة متمرضا ومات بها في التوجه
ودفن بالبقيع قريب من قبر عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه فرحمه الله وغفر
له ونعمه في تلك الدار واوجب له حق الجوار

ومنهم عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن اسمعيل الزريراني ثم
البغدادي الحنبلي شيخ الاسلام تقي الدين ابو بكر لمحة فضل يغتنم ولمعة
بارق في ليلة لم ينم طبق الزنى والوهاد وفرق الكرى والسهاد وجعل
قراءة الكتب طيفه الذي يهم وسهاده الذي يمنع اغفاءه ان يلم ولقي العلماء
وما بقل نبت عارضه ولا اثار رض الصبا بذلوله ولا فارضه ولا الم بالشباب
وهو في ميعته الا لماما ولا صرف اليه ونيه ذهنه ولا اهتماما حتى حصل
من العلم جليله وبل به غليله وكان شعلة تشرق على غارب وسلة من
حسام بيد ضارب وحلة مسهمة ما اكنت مثلها الحلل ولا المضارب
ولد في جمدي الاخرة سنة ثمان وستين وست مايه وحفظ القران الكريم
وله سبع سنين واتقن العربيه واللغه وصار علامة في الفقه واصوله والحديث
وفنونه والفرايض واصول الدين والتاريخ وعيونه واليه النهاية في التحقيق
والتدقيق والغوص على المعاني انتهت اليه رياسة العلم ببغداد غير مدافع
واقر له الموافق والمخالف وكان قد قرا الفقه ببغداد على جماعة ثم ارتحل
الى دمشق فقرا بها المذهب على الشيخ زين الدين المنجا ومجد الدين اسمعيل
ثم عاد الى بلده واعاد وافاد ولازم الاشتغال ليلا ونهارا ثم درس بالمدرسة
المستنصريه وتولى قضاء الحنابلة مع التقشف والصيانة وصار عالم
العراق على الاطلاق وفقيه بغداد بالاتفاق وايه في الفقه ومعرفة
مذاهب الايمة الاربعه قال الشيخ ابو الخير الدهلي حكى لي بعض
الفضلاء ببغداد قال اجتمع الشيخ تقي الدين الزريراني وجماعة من علماء
بغداد في مجلس فوقعت مسئلة فسال الشيخ تقي الدين ابن المطهر عن
حكمها في مذهبه فاجاب عنها فقال له الشيخ تقي الدين مذهبكم

خلاف ما نقلت لنا والصحيح عندكم كذا وكذا واوقفه على النقل فاذعن له
ابن المطهر قال وحكى ابن خميس الفقيه الحنبلي قال جاءت فتيا
من واسط فكتب عليها بعض الشافعية والمالكيه والحنفيه وحملوها
الى الشيخ تقي الدين فلما قراها قال اخطا الجماعة كلهم في الجواب وطلبهم وقال
الصحيح من مذهبكم كذا وكذا فسلموا له ورجعوا الى قوله قال ومن
محفوظاته الهدايه لابي الخطاب والخرقي وطالع المغني للشيخ موفق الدين
ثلثا وعشرين مرة وعلق عليه حواشي مفيدة وشرع في شرح المحرر فكتب
منه قطعة من اوله وكانت دروسه منقحه مفيده يزيد في كل يوم على اربع مايه
سطر مع ضيق وقته واشتغاله بامر القضاء والعيال ويتردد اليه العلماء
من الطوايف الاربع ويستفيدون منه وكذلك المحدثون يسالونه عن
اسماء الرجال وصحيح الحديث وسقيمه والتاريخ وكان ذهنه يتوقد ذكاء مع
فكرة صايبه وعذب عبارة وحسن خط ولفظ وشكل ومدحه جماعة من
الايمة الفضلاء وتوفي في الليلة المسفر صباحها عن يوم الجمعة ثاني عشرين
جمدي الاول سنة تسع وعشرين وسبع مايه واخرج يوم الجمعة فصلي عليه
بالمدرسة المستنصريه وحضر جنازته خلق عظيم ودفن بمقبرة الامام احمد
ومنهم محمد بن محمد بن محمود بن قاسم البرزبي الحنبلي العلامة
شمس الدين ابو عبد الله خطي المجد المنبت اصلا وطاير الشهد المجني عسلا
لسان الفضل وقلمه وعلم العدل وعلمه ومثقف الشرع وسمهريته
وفاروق الحق وعبقريته طال ارومه وطاب جنى واكرومه بلزوم
طريقة تقفي المجرة عليها وتقف الجبال المشمخرة لديها مد على مرمى
الطرف سجافها وادار بكووس الصباح سلافها بنهمة جد في طلب العلم

اسرافها وجدّ على مراقب النجوم اسفافها لهمة لا قصور في باعها
ولا قصور الا في رباعها فما ردت الغايات جماحه ولا ردت بخير وبايش
السحب جناحه الى ان شط مزارا وقطوف الثريا دانيه ونشط بدارا
وعصوف الرياح متوانيه فنزل من السماء في عليايها وترك السحايب وراءه
قطايع من اعيايها وربما مارسا ابان ووصل بشباب الليالي ذوايب شبان ..
ولد يوم الاحد منتصف شوال سنة احدى وثمانين وست مايه حفظ القران
العظيم في صباه واشتغل بالفقه وحفظ المقنع وقرا الاصلين والعربيه
واللغه والمنطق والطب وعلم التصوف وبهر في ذلك وكان اماما علامة
زاهدا كثير التلاوة للقران مع صلاة وصيام وتهجد في الليل شجاعا شهما
قوالا بالحق مهيبا وقورا يتوقد ذكاء وله اليد البارعة في جميع الفنون
وله الشعر الفايق والنظم الرايق مليح المذاكره حلو النادره سخي النفس
سافر الى بلاد الهند وبحث مع علمايها واستظهر عليهم في البحث وابان عن
علم غزير وفضل كثير فاذعنوا له وتقدم عليهم عند سلطانها واقروا له بالفضل
والعلم وصنف للسلطان كتابا في الطب نظما ونثرا فاعجبه ذلك وساله
الاقامة عنده فلم يفعل فعاد الى بغداذ وعين معيدا بالمدرسة المستنصريه
ثم ولي تدريسها بعد الزريراني .. ومن شعره قوله

ثكلت مني نفسي لئن اخترت غيره اماما لغايات عظام ارومها
وان سمحت نفسي لغير محمد بمدح فلا انجابت بذكري غيومها
وان جنحت الا اليه مطيتي فتعسا لها والعاصفات تغومها

توفي يوم الاحد سادس عشر شوال سنة اربع وثلثين وست مايه واخرج
بكرة نهار الاثنين فشيعه القضاه والعلماء والفقهاء وارباب المناصب

في عالم كثير وجم غفير وصلي عليه بجامع القصر بدار الخليفة ثم صلي عليه
ثانيا بالمدرسة المستنصريه ودفن بمقبرة الامام احمد رحمه الله تعالى

ومنهم احمد بن الحسن بن عبد الله ابن شيخ الاسلام ابي عمر
المقدسي الحنبلي العلامة شرف الدين ابو العباس بحر دره عجب وغمام
شكره وجب روض يطلع الوانا ودوح يجمع صنوانا وفاضل ما شيت
منه اقتبس وكامل ما طلبت منه التمس انتهى اليه الطلب والتهى لديه
المستوفز عن المنقلب ان فسر فما الواحدي باوحد ولا الرازي ممن
وقف عند الحد ولا الثعالبي الا ممن اوكر خوفا منه فابره والحد لو ادركه
الخرقي لسال منه رقع ما خرق او ابن نقطة لاستكفا منه الغرق
او الغيلاني لداخله خوفا منه لا بالكه الفرق او السيف الامدي لما
اسهر جفنه الارق بل لو عدل الى بقية العلماء لما عد احدا من القدماء
ولا عدل به المحاملي اذا ظعن ولا صاحب ابي حنيفة وهل منهما ابن الحسن
ولا شبه الباجي وان جي به قبله في الزمن بل لو ساوم الرماني لرحى
نهود رمانه بالبوار وبرقع خدود رمانه حياء بالجلنار او لزبه في غرايب
اللغة ابو عبيدة لانف استبعاده او ابن قريب لما قرب بعاده او
جنادة اللغوي لجعل من جملة اجناده جناده او نسب اليه في النحو ابن
المرزبان لما بان او ابن جني لاصبح ذاهل الجنان او ابن رشيق لانكر
معاطف حلمه او ابن وكيع لتكعكع دون حكمه او العسكري
اكبر ائمة الادب لما جاء الا تحت علمه مع منقول ما حفظها الحافظ
الخطيب ولا جاء ابن عساكر قريبا منها الا بالتقريب الى ما يقل به
افلاطون ويفر ارسطوان مخالفيه يحظون بذكاء لو راي ضوء ناره

ايا س لبئس اوجري على اثاره ابن الجوزي لبئس كل هذا الى اصيل عريق وفضل وريق وخلق الين من نسيم الشفيق اندي مما ترشفه شمس الضحي من ريق الغوادي بكؤوس الشقيق ∴ تفقه على مجد الدين اسمعيل وشيخ الاسلام ابن تيميه واخذ عنه وعن اخيه الشيخ شرف الدين عبد الله وكتب الي

الله احمد اذ رايت لسيد قس البلاغة زنده قدا خ
هو بحرها الطمطام لا بل بحرها هو فخرها بل فجرها الوضا خ
سلطانها انسانها بل عينها ما قلت من ذا ليس فيه جنا خ
اسلالة الاطهار ما هذا الذي طرفا لعوالم نحوه طما خ
ابرزت ابريزا يفوق نضاره بل جوهرا من ماطر سحا خ
وجليت في هذا الوجود عرايسا ظهرت بزين جمالها الافصا خ
فتفطرت كبد المعاند جهرة حقا كان نثارها الارواح خ

فاجبته

وافت اليك وما اضاء صباح ببض اوانس كلهن صبا خ
ببض عواطر ما هببن لسحره الا وهن صبابها وصبا خ
حمرن اطراف البنان وانما خمرنها وكذا يكون الرا خ
وبناظري منهن بدر طالع والبدر يحجب ما عليه جنا خ
يزنية سمراء نبتت بالنقا يا خدها من اين ذا التفا خ
وافت ومن شرف المدينة قد اتت والحي باد والرجال فما خ
قد عودوا شرب اللقاح لاجل ذا امسوا وحبهم المشط لقا خ
ابيات حسن طفت حول فنا بها والليل منشط عليه وشا خ

فرايت ما ملأ العيون محاسنا منعت ما كل الملاح بلا خ
اصداف ريم خفت رب كناسها لولاه قلت بانها اقدا خ
شكرا لمنته فقد قلدتها وكلاهما للجوهري صحا خ
واريد امدحه وباعي قاصر هيهات ان يبلغ السما مدا خ

وهذا من الفقهاء الحنابلة آخر من ذكر وبتمامهم تمام المختار من مشاهير الاعلام من مذاهب الايمة الاربع المجمع عليهم في العصور والامصار الى وقتنا هذا وسنذكر بعدهم مشاهير الفقهاء الظاهرية الاخذين بالظاهر دون التاويل وانما ذكرناهم معهم واعقبناهم بهم جمعهم اقتداء بالشيخ العلامة ابي اسحق الفيروزاباذي رحمه الله اذ ذكرهم في طبقات الفقهاء وجعلهم فرقة خامسة ولم يكن الا التسليم اليه وان امكن فيه المنافسه

وامامهم الامام ابو سليمن داود بن خلف الاصبهاني ثم البغدادي مولى المهدي امام اهل الظاهر وتمام الفضل الباهر قلب العلم ولسنه وكري الحلم ووسنه طالما خلي بيده زمام الادب ورسنه وخلف بتعهده شقيق الروض وسوسنه وكان للمجالس زينا ولاهل المدارس عينا لفضايل فسيحة الفضاء وفواضل صحيحة القضاء وخلق بات النسيم يدمثه وخلق ود ثاني القمرين لو يثلثه الى اجوبة حاضره واندية لباديته وحاضره وديم تسحب مطارفها الانواء وشيم تبلل معاطفها الانداء ∴ ولد سنة ماتين وقال ابو اسحق الشيرازي سنة ثلث ومايتين وسمع الحديث وجالس الايمه وصنف الكتب واخذ العلم عن اسحق وابي ثور وكان زاهدا متقللا قال ابو بكر الخطيب كان اماما ورعا ناسكا زاهدا وفي كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة جدا وقال

ابو اسحق قيل كان في مجلسه صاحب اربع مايه طيلسان اخضر وكان من
المتعصبين للشافعي صنف كتابين في فضايله والثناء عليه قال وانتهت
اليه رياسة العلم ببغداد قال ابو عمرو المستملي رايت داود بن
علي يرد على اسحق بن راهويه ومارايت احدا قبله ولا بعده يرد عليه هيبة
له وقال عمر بن محمد بن بجير سمعت داود بن علي يقول دخلت على
اسحق بن راهويه وهو يحتجم فجلست فاخذت كتب الشافعي فجعلت انظر فصاح
أيش تنظر فقلت معاذ الله ان ناخذ الامن وجدنا متاعنا عنده فجعل
يضحك وقال المروذي كان داود قد خرج الى خراسان الى اسحق
ابن راهويه فتكلم بكلام شهد عليه ابو نصر ابن عبد المجيد وآخر شهدا عليه انه
قال القران محدث فقال لي ابو عبد الله من داود بن علي لا فرج الله عنه
قلت هذا من غلمان ابي ثور قال جاءني كتاب محمد بن يحيى النيسابوري ان
داود الاصبهاني قال ببلدنا ان القران محدث قال المروذي حدثني
محمد بن ابرهيم النيسابوري ان اسحق بن راهويه لما سمع كلام داود في بيته
وثب عليه اسحق فضربه وانكر عليه قال ابو محمد ابن حزم
انما عرف بالاصبهاني لان امه اصبهانية وكان ابوه حنفي المذهب قال
وكتب داود ثمانية عشر الف ورقه قال ابن كامل توفي في رمضان
سنة سبع ومايتين

ومنهم ابو بكر محمد بن داود نبعة زلال وطلعة هلال
لو شاء لا لان الصخرة الصماء واماط عن معطف الليل الظلماء بالفاظ
تروض الجامح ويرد الجانح لوفور نصيب يحلق على الناطح وموز يسيب
بجل العصم سهل الاباطح هذا الى مدد غزير وفضل غزير وعلم لا ينقصه

انتهاب الطلاب ولا يغريه كثرة السلاب كضياء المصباح يزيد
اذا اقتبس والماء القراح يطيب الا اذا حبس لوراه سلف العشاق
لتكثر به كثير واستسقى منه ابن مطير ولبنى على قواعد غزاله
صاحب لبنى ورثم ذو الرمة ما له من طلل الفاظ بلا معنى ⁘ حفظ
القران الكريم وله سبع سنين وذاكر الرجال بالاداب والشعر
وله عشر سنين وسمع الحديث من جماعة قال ابو بكر الخطيب
لما جلس محمد بن داود الاصبهاني بعد وفاة ابيه يفتي استصغروه عن ذلك
فدسوا اليه رجلا وقالوا له سله عن حد السكر ما هو فاتاه الرجل فساله
عن حد السكر ما هو ومتى يكون الانسان سكران فقال محمد اذا عزبت
عنه الهموم وباح بسره المكتوم فاستحسن ذلك منه وعلم موضعه
من العلم وكان يشاهد في مجلسه اربع مايه صاحب محبره ⁘ وروي بسنده
عن رويم بن محمد قال كنا عند داود بن علي الاصبهاني اذ دخل عليه ابنه
محمد وهو يبكي فضمه اليه وقال ما يبكيك قال الصبيان يلقبوني قال
فعلى ايش حتى انهاهم قال يقولون لي شيا قال قل لي ما هو حتى انهاهم عن
الذي يقولون قال يقولون لي يا عصفور الشوك قال فضحك داود فقال
له ابنه انت اشد علي من الصبيان ثم تضحك فقال داود لا اله الا الله
ما الالقاب الا من السماء ما انت يا بني الا عصفور الشوك وقال
القاضي ابو الطيب الطبري حدثني ابو العباس الخضري شيخ كان بطبرستان
قال كنت جالسا عند ابي بكر محمد بن داود فجاءته امراة فقالت له ما تقول
في رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها ومعنى قولها لا هو
ممسكها انه لا يقدر على نفقتها فقال ابو بكر اختلف في ذلك اهل

العلم فقال قايلون تومر بالصبر والاحتساب وتبعث على التطلب والاكتساب وقال قايلون يومر بالانفاق والاتحمل على الطلاق قال ابو العباس فلم تفهم قوله واعادت مسلته وقالت رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها فقال يا هذه قد اجبتك عن مسالتك وارشدتك الى طلبتك ولست بسلطان فامضي ولا قاض فاقضي ولا زوج فارضي انصرفي رحمك الله قال فانصرفت المراة ولم تفهم جوابه ∴ وروى الخطيب بسنده قال كان ابو بكر بن داود وابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر محمد بن يوسف لم يجر بين اثنين فيما يتفقا وضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج كثيرا ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه ابو بكر يوما فساله حدث من الشافعيين عن العود الموجب للكفارة في الظهار ما هو فقال انه اعادة القول ثانيا وهو مذهبه ومذهب داود فطالبه بالدليل فشرع فيه ودخل ابن سريج فاستشرحهم ما جرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود اولا يا ابا بكر اعزك الله هذا قول من من المسلمين تقدمكم فيه فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال اتقدر ان من اعتقدت ان قولهم اجماع في هذه المسلة اجماع عندي احسن احوالهم ان اعده خلافا وهيهات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال له انت يا ابا بكر بكتاب الزهرة امهر منك في هذه الطريقه فقال ابو بكر وبكتاب الزهرة تعيرني والله ما تحسن تستتم قراآته قراآة من يفهم وانه لمن اجل المناقب اذ كنت اقول فيه

اكرر في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما

وينطق سري عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلما

رايت الهوى دعوى من الناس كلهم فما ان ارى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج او على تفخر بهذا القول وانا الذي اقول

ومساهر بالغنج من لحظاته قد بت امنعه لذيذ سناته

ضنا بحسن حديثه وعتابه واكرر اللحظات في وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابو بكر ايد الله القاضي قد اقر بالمبيت على الحال التي ذكرها وادعى البراآة مما توجبه فعليه اقامة البينة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقرارا وناطه بصفة كان اقراره موكولا الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسلة قولان فقال ابن سريج فهذا القول الذي قلته اختياري الساعة ∴ وروى ايضا عن ابي عبد الله محمد بن ابرهيم النحوي نفطويه قال دخلت على ابي بكر في مرضه الذي مات فيه فقلت له كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى فقلت ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فاما النظر المباح فاورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني به ابي قال حدثنا سويد بن سعيد نا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله الجنة ∴ ثم انشدنا لنفسه

انظر الى السحر يجري في لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي

وانظر الى شعرات فوق عارضه كانهن نمال دب في عاج

وانشدنا لنفسه ايضا

مالهم انكروا سوادا بخديه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بدد الشعر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلبة الهوي وملكة النفوس دعوا اليه قال ومات في ليلته او في اليوم الثاني في رمضان سنة سبع وتسعين ومايتين وقيل في شوال عن اثنتين واربعين سنة وقال ابو بكر في كتاب الزهرة عقيب هذا الحديث ولو لم تكن عفة المتحابين عن الادناس وتحاميهما ما ينكر في عرف كافة الناس محرما في الشرايع ولا مستقبحا في الطبايع لكان الواجب علي كل واحد منهما تركه ابقاء علي وده عند صاحبه وابقاء علي ود صاحبه عنده، ومن شعره قوله

احب الي من الصبر عنك فواد جريح وطرف قريح
اذا ما سالتك عطفا تريح به مهجتي فانا المستريح
فلا تنجز الوعد خوف السلو فاني علي زفراتي شحيح

ومنه قوله

بعينيك ما القي اذا كنت حاضرا وان غبت فالدنيا علي محا بس
اذا لم انافس في هواك ولم اغر عليك ففيمن ليت شعري انا فس
فلا تحتقر نفسي وانت حبيبها فكل امرء يصبو الي من يجا نس

ومنه قوله

قد مت قبلك قد والله برح بي شوق اليك فهل لي فيك من حظ
قلبي يغار علي عيني اذا نظرت بقيا عليك فما اروي من اللحظ

ومنه قوله

جعلت فداك ان صلحت فداء لنفسك نفس مثلي او وقاء

وكيف يجوز ان تفديك نفسي وليس محل نفسينا سواء

وقال محمد بن داود ما انفككت من هوي منذ دخلت الكتاب وبدات بعمل كتاب الزهرة وانا في الكتاب ونظر ابي في اكثره وروي الخطيب عن محمد بن الحسين قال كان محمد بن داود وابو العباس ابن سريج يسيران في طريق ضيقة فقال ابن سريج الطرق الضيقة تورث العقوق فقال له محمد بن داود وتوجب الحقوق وقال ابن سريج لابن داود في كلام ناظره فيه عليك بكتاب الزهرة فقال ذاك كتاب عملناه هزلا فاعمل انت مثله جدا وقال عبيد الله بن عبد الكريم كان محمد بن داود خصما لابن سريج وكانا يتناظران ويترادان في الكتب فلما بلغ ابن سريج موت محمد بن داود نحي مخاده ومساوره وجلس للتعزية وقال ما آسي الا علي تراب يا كل لسان محمد بن داود وذكر ابن النجار ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد والسطر الثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا راي رجلا يلح بالنظر الي الاحداث قال له اقرا ما علي هذا الخاتم فينتهي عن ذلك، ومن شعره ايضا

حملت جبال الحب فيك وانني لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شي به الروح تكلف

ومنه قوله في حبيبه محمد بن زخرف

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدور وللتحذيف يا املي نور البدور عن التحذيف يغنيها
ان الدنانير لا تجلي وان عتقت ولا تزاد علي النقش الذي فيها

قال الخطيب كان ابن داود يميل الى محمد بن جامع وبسببه عمل كتاب الزهرة وقيل ان محمد بن جامع دخل الحمام واصلح من وجهه واخذ المراة فنظر الى وجهه وركب الى محمد بن داود فلما راه مغطى الوجه خاف ان يكون لحقته آفة فقال ما الخبر فقال رايت وجهي الساعة في المرآة فغطيته واحببت ان لا يراه احد قبلك فغشي على محمد بن داود وكان محمد بن جامع ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشق الا هو وقيل ان النفقة كانت في كل يوم عشرين دينارا ٭ وذكر ياقوت الحموي في ترجمة نفطويه زيادة غريبة وهي انه قال دخلت على ابن داود وذكر القصة التي تقدمت والحديث قال نفطويه ثم غشي عليه ساعة وافاق ففتح عينيه فقلت له اري قلقك قد سكن وعرق جبينك قد انقطع وهذه امارة العافية فانشا يقول

اقول لصاحبي وسليا بي وعزّهما سكون حمى جبيني
تسلوا بالتعزي عن اخيكم وخوضوا في الدعاء وودعوني
فلم ادع الانين لضعف سقم ولكني ضعفت عن الانين

ثم مات من ليلته فيقال ان نفطويه انفجع عليه وجزع جزعا شديدا ولم يجلس للناس سنة كاملة ثم ظهر بعد السنة فجلس فقيل له في ذلك فقال ان ابا بكر ابن داود قال لي يوما وقد تجارينا حفظ عهود الاصدقاء فقال اقل ما يجب للصديق ان يحزن على صديقه عاما بقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فحزنا عليه سنة كما شرط وذكر ابن السمعاني ان ابن جامع معشوق ابن داود قال دخلت على المتقي بالله امير المومنين فسالني عن ابي بكر بن داود

هل رأيت منه ما تكره قلت لا يا امير المومنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول اللهم انك تعلم اني لا حاجة واني لا راقبك فيه قال فما من م
بلغ من رعايتك حقه قلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما اعهد فغطيت وجهي وآليت ان لا ينظر الى وجهي احد قبله وبادرت اليه فكشف وجهي ففرح وستر وقال سبحان خالقه ومصوره وتلا هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ٭ وذكر ابن النجار ان ابن سريج كانت له جارية توقظه بالليل للمطالعة فلما مات ابن داود جاءت الجارية لتوقظه فقال لها ويلك الذي كنا نسهر لاجله قد مات ٭ وهذه نبذة يسيرة من كتاب الزهرة اطال الله في العز بقاك وصان عن غير الايام نعماك وجعلني عرضا للنوائب بدلك وقدمني الى ورود الحمام قبلك اما بعد ادام الله الرغبة اليك وجعل معتمدا ولياليك عند المهمات عليك فاني وان تخل على الزمان بوفائك ونافستني الايام فيما اعتصم به من جميل اخائك لمنظوم المودة لك والثقة بك والرعاية لحقك والانس بقربك على حال تفني الاوصاف دون فنائها وتنقضي الآجال قبل انقضائها ولن تعدل بي شكوى ما شكوت وجوده من تواتر جفائك والمت لفقده من صحة وفائك عن المسارعة الى طاعتك والوقوف عند محبتك فان من حسن وداده قبح استفساده ومن صحت مودته وجبت طاعته ولست افعل ذلك قدمني الله قبلك وفاء لك بدلا من وفائك ولا مجازاة لك على عدلك واحسانك ولا ملتمسا به الذريعة اليك ولا متفضلا به عليك لان من دعاه الى الوفاء لصاحبه وفاؤه دعاه الى الغدر جفاه ومن دعاه العدل الى الانصاف دعاه الجور الى الانتصاف ومن دعاه الى فعل المكرمات رغبة في المجازاة دعاه الى تركها

ظفره بامنيته او يأسه من لحاق طلبته وكيف يكون متفضلاً عليك من ليست له فضيلة الا وهي مردودة اليك ولين حرمت العلم بفضلك علي معما حرمت من رغبتك في وميلك الي لقد حرمت حظاً جزيلاً وخيراً كثيراً ولكن السبب الباعث لي علي طاعتك والمذلل لي عند سطوتك والباسط الي العذر فيما تجنيه والمعتدل لك علي فيما تدعيه سبب يلطف عن ان تعاين بالابصار ويدق عن ان يدرك بالفحص والاعتبار ان رمت اخفاؤه وجد وان حاولت اظهاره فقد فهو شيء منعني من وصف جنسه اشتغالي به في نفسه ويقطعني مسامرته عن المسامرة ويعوقني التفرد بمغازلته عن التعرض بصفاته كما قال بعض اهل هذا العصر

ينسي الهوي وصفه من حل ذروته كالارض يشغل عنها من ثوي فيها

لا اقول شيئاً وقع لي اضطراراً فاقر باني لم اكن مختاراً ولا اقول اوسعته لنفسي اكتساباً فاكون اذ نفيته عن نفسي كذاباً لا ازهد فيه فارغب في سواه ولا يفارقني فاتمناه محله من الروح محل الروح من الجسد لا يدري الجسد ما الروح فيسر اذ جعل وعاءه ويحزن اذ لم يستودع سواه وقد وقفت علي ما وصفته من تصاريف الزمان وخيانة الاخوان واعلم ايدك الله ان من عجيب ما تحسن الايام وتجول به الاوهام ظالماً يتظلم وعاتباً يتندم ومظلوماً يستظهر وغالباً يستنصر ما الذي شكر ادام الله عزك وبسط بالخير يدك من تغير الزمان وانت من احد مغيريه ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه انت بان تحتج له وتعتذر لفاعليه اولي منك ان تعيبه وتذم مستعمليه الي ان قال من كثرت لحظاته دامت حسراته العقل عند الهوي اسير والشوق عليهما امير من تداوي بدائه لم يصل الي شفائه

ليس بلبيب من لم يصف ما به لطبيب اذا صح الظفر وقعت الغير التذلل للحبيب من شيم الادب من طال سروره قصرت شهوره من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ليس من الظرف امتحان الحبيب بالوصف سوء الظن من شدة الضن من وفي له الحبيب هان عليه الرقيب من منع من كثرة الوصال قنع بقليل النوال من حجب عن الاحباب تذلل للحجاب من منع من الوصول اقتصر علي الرسول من احبه احبابه وشي به اترابه من لم يعاتب علي الزلة فليس بحافظ للخلة من عاتب علي كل ذنب اخاه فحقيق ان يمله ويقلاه بعد القلوب علي قرب المزار اشد من بعد الديار ما عتب من اغتفر ولا اذنب من اعتذر اذا ظهر العذر سهل الهجر من راعه الفراق ملكه الاشفاق قل من سلا الا غلبه الهوي من غلبه هواه علي الصبر صبر لمن يهواه علي الغدر من تجلد علي النوي فقد تعرض للبلوي في الوداع قبل الفراق بلاغ الي وقت التلاق ما خلق الفراق الا لتعذيب العشاق من غاب قرينه كثر حنينه من لم يلحق بالحمول بكي علي الطلول من قصر عن مصاحبة الجار لم تنفعه مسايلة الدار من منع من البراح تشوق بالرياح في لوامع البروق انس للمستوحش المشوق في تلهب النيران انس للدنف الحيران في نوح الحمام انس للمتفرد المستهام من امتحن من المفارقة والهجر اشتغل فكره بالعيافة والزجر في حنين البعير المفارق انس لكل صب وامق من فاته الوصال تعسة الخيال من منع من النظر استانس بالاثر من حجب عن الاثر تعلل بالذكر مسامرة الاوهام والاماني تنسب الي العجز والتواني من قصر نومه طال ليله من غلب عزاؤه كثر بكاؤه نحول الجسد من دلايل الكمد طريق الصد بعيد وكتمان الحب شديد من غلب صبره ظهر سره

من لم يقع له الهوى باكتساب لم ينزجر بالعتاب من قدم هواه قوي
اساه من شابت ذوائبه جفاه حبائبه من انس ممن يهواه فلم يتلف
في وقته سلاه لا يعرف المقيم على العهد الا عند فراق او صد قليل الوفاء
بعد الوفاة اجل من كثيره وقت الحياة وقال ايضا الهجر على اربعة
اضرب هجر ملال وهجر دلال وهجر مكافاة على الذنوب وهجر يوجبه البغض
المتمكن في القلوب فاما هجر الدلال فهو الذ من كثير من الوصال واما
هجر الملال فيبطله مر الايام والليالي اما بتنائي الدار واما بطول الاهجار
واما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تذهبه من القلب واما الهجر الذي
يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال ابن داود
حدثتني مريم الاسدية قالت سمعت امراة عقيلية تقول وهي على
بعير لها تسير

سقينا سلوة فسلا كلانا ازال الله نعمة من سقانا

قالت مريم فسالتها عن هواها فقالت كنت اهوى ابن عم لي ففطن
لي بعض اهل الحي فسقوني واياه شيئا فسلا كل واحد منا عن صاحبه
قال ابن داود وهذه حال قل ما يقع مثلها وهي الطف محلا من كل ما
ذكرناه قبلها وما نذكره بعدها لانا نصف من اثار المقام معمن يهواه على
السلو عنه والراحة من اذاه وصاحبة هذا البيت تسلت عن محبوبها وانما
تاسى على العشق لا على المعشوق وفي هذا النحو يقول بعض الهذليين

اذا ما سالتك وعدا ترح به مهجتي فانا المستريح
ولا تعطني الوعد خوف السلو فاني على حسرتي شحيح
احب الي من الصبر عنك فواد قريح وقلب جريح

ولقد احسن الوليد بن عتبة حيث يقول

ويعجبني فقري اليك ولم يكن ليعجبني لولا محبتك الفقر
وما لي عذر في جحودك نعمة ولو كان لي عذر لما حسن العذر

واحسن الذي يقول

وما سرني اني خلي من الهوى على ان لي ما بين شرق الى غرب
فان كان هذا الحب ذنبي اليكم فلا غفر الرحمن ذلك من ذنب

واحسن ايضا الذي يقول

احببت قلبي لما احبكم وصار رايي لرايه تبعا
ورب قلب يقول صاحبه تعسا لقلبي فبيس ما صنعا

قال وانشدني احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار لجميل

خليلي فيما عشتما هل رايتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

قال ابو بكر هذا المعنى في البيت الثاني داخل فيما عاناه من
ان اقبل على من يهواه وما دام مفتقرا اليه فليست له في ذلك منة عليه
وقال ابو بكر اصل الهوى يتولد من النظر والسماع ثم يقوى
حالا بعد حال فاذا كان نظر الصاحي الى الصورة التي يستحسنها طرفه
موكدا للمنظور اليه المحبة من قلبه كان نظر المحب بعد تمكن المحبة من
قلبه الى الصورة التي كانت سببا لوقوع المحبة احرى ان يغلبه على لبه
ويزيده كربا على كرب الا ترى ان من حم يومين متواليين كان المه
في الثاني من اليومين اذا تساوى مقدار الحميين اصعب من المه في اول
اليومين وفي ذلك يقول غيلان بن عقبة

خليلي لما خفت ان تستفزني احاديث نفسي بالهوي واهتما مها
تداويت من ميّ بتكليمه لها فما زاد الا ضعف نفسي كلاما مها

وقال ايضًا ان تقصير المحبوب عن مواصلة محبه وتراخيه عن اظهاره علي كل ما في قلبه انما يتولد عن وقوع الثقة به فربما حمل المحب علي نفسه وتوهم ذلك داخلًا في باب الخيانة والغدر فما في عليه بالانحراف والهجر فجني علي نفسه ما لا يتلافاه العذر ولا يقاومه الصبر والحازم من صبر علي مضاضة التذلل والتمس العز في استعمال التذلل فحينئذ يتمكن من وداد محبوبه ويظفر ممن يهواه بمطلوبه قال الحسن بن هانى

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل علي السكن
سنة العشاق واحدة فاذا احببت فاستكن

وقال عمر ابن ابي ربيعة

لست من ظالمي منتصفًا قبح الله محبًا منتصف
وقناه ان تغب شمس الضحي فهي للناس من الشمس خلف
اجمع الناس علي تفضيلها وهواهم في سواها مختلف

وقال الوليد بن عبيد البحتري

مني وصل ومنك هجر وفي ذل وفيك كبر
عذبني حبك المعنّي وغرّني فيك ما يغر
فكنت حرًا وانت عبد فصرت عبدًا وانت حر
يا ظالمًا لي بغير جرم اليك من جرمك المفر
انت نعيمي وانت بوسي وقد يسوء الذي يسر

وقال ابو تمام الطاى

ظن به حسن لولا تجنبه وانه ليس يرعي عهد خبته
عفت محاسنه عني اساته حتي لقد حسنت عندي مساويه
تاهت علي صورة الاشياء صورته حتي اذا خضعت تاهت علي التيه

وقال ابو بكر من ساعدته الايام بمحابه ورزق حسن الوفاء والمساعدة من احبابه فاقل ما يجب عليه في حدود الظرف دون ما يجب عليه في رعاية حقوق الالف ان يقابل نعم الله جل ثناوه عليه بما يوجب المزيد فيها لديه فان لم يفعل فلا ينبغي له ان يتعرض لاسباب المهالك وليعلم ان وصفه ما في صاحبه من الخصال المرتضاه تعري من علمها بالمشاركة له في هواه ولقد احسن الذي يقول

ولست بواصف ابدًا حبيبًا اعرضه لاهواء الرجال
وما بالي اشوق عين غيري اليه ودونه ستر الحجال
كأني آمن الشركاء فيه وآمن فيه احداث الليالي

واحسن ايضًا الذي يقول

اصونك ان ادل عليك وهمًا لان الظن مفتاح العيوب

وما اقصر علي بن محمد العلوي حيث يقول

ربما سرني صدودك عني وتأبيك وامتناعك مني
ذاك ان لا اكون مفتاح غيري واذا ما خلوت كنت التمني

وقال ابو بكر زعم بعض المتفلسفين ان الله عز وجل خلق كل روح مدورة علي هيئة الكرة ثم قطعها انصافًا فجعل في كل جسد نصفًا فكل جسد لقي النصف الذي قطع من النصف الذي كان معها كان بينهما عشق للمناسبة القديمة وتقارب احوال الناس في ذلك بين القوي والضعيف

علي حسب رقة طباعهم وقد قال جميل بن عبد الله العذري او قيس بن ذريح في ذلك

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فاصبح ناميا وليس اذا متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حادث وزايرنا في ظلمة القبر واللحد

وحكي عن افلاطون انه قال لا ادري ما الهوي غير اني علم انه جنون الاهي لا محمود ولا مذموم وقال جالينوس العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد والدماغ له مساكن التخيل وهو في مقدم الراس والفكر وهو في وسطه والذكر وهو في موخره وليس يكمل اسم عاشق حتي يكون اذا فارق من يعشقه لم تخل من تخيله وفكره وذكره وقلبه وكبده فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والذكر له والفكر فيه ويكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به فمتي لم يشتغل به وقت الفراق لم يك عاشقا فاذا لقيه خلت له المساكن قال ابو بكر ولعمري لقد احسن فيما وصف واحتج لما قال فانتصف غير انه ذكر حال العاشق وحده وترك ذكر احوال ما قبله وما قبله وذلك ان الاحوال التي تتولد عن النظر والسماع والاستحسان تختلف في باب العظم والصغر فاول ما يتولد عن السماع الاستحسان ثم يقوي فيصير مودة والمودة سبب الارادة ومن ود انسانا ود ان يكون له خلا ومن ود عرضا ود ان يكون له ملكا ثم تقوي المودة فتصير محبة والمحبة سبب الطاعة وفي ذلك يقول محمود الوراق

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ثم تقوي المحبة فتصير خلة والخلة بين الادميين ان تكون محبة احدهما قد تمكنت من صاحبه حين اسقطت حجاب السراير بينه وبينه فصار متخللا لسرايره ومطلعا علي ضمايره وفي هذا النحو يقول بعض اهل العصر

فلا تهجر اخاك بغير جرم فان الهجر مفتاح السلو
اذا كتم الخليل اخاه سرا فما فضل الصديق علي العدو

ويقال ان الخلة بين الادميين ماخوذة من تخلل المودة بين اللحم والعظام واختلاطها بالمخ والدم وهذا المعني غير مخالف للاول بل هو اوضح سبب له لان من حل من النفس هذا المحل لم يستبد عنه بامر ولا يستظهر عنه بسر وقد انشدونا لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في هذا المعني

تغلغل حب عثمة في فوادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور
غني النفس ان ازداد حبا ولكني الي وصل فقير

قال ابو بكر ثم تقوي الخلة فتوجب الهوي والهوي اسم لانحطاط المحب في محاب المحبوب وفي التوصل اليه بغير تمالك ولا ترتيب وقال ايضا ذكروا ان قيس بن الملوح المجنون العامري رقد ليلة تحت شجرة فانتبه بتغريد طاير فانشا يقول

لقد هتفت في جنح ليل حمامة علي فنن تدعو واني لنايم

فقلت اعتذارا عند ذاك وانني لنفسي فيما قد رأيت للايم
أأزعم اني عاشق ذو صبابة بليلي ولا ابكي وتبكي البهايم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا لما سبقتني بالبكاء الحمايم

ومنهم ابو الحسن حيدرة بن عمر الزندوردي ظاهري عجز عن الجدال ونكب عن المجال واقتصر على ظاهر النقل فما فعل سواه ولا قال اخذ العلم عن ابن المغلس وكان من الاخيار وفقيها على مذهب اصحابه قال النديم رايته وكان لي صديقا قال الشيخ ابو اسحق مات سنة ثمان وخمسين وثلث مايه وقبره في مقبرة خيزران وعنه اخذ البغداديون مذهب داود

ومنهم ابو سعيد بشر بن الحسين قاضي القضاه وقف عند الساحل وحط رحله قبل طي المراحل ولم يقدر على خوض الغمر ولا مخالطة الزمر فوقف عند الظاهر وسكت حيث لا ناه ولا آمر قال الشيخ ابو اسحق اخذ العلم عن علي بن محمد البغدادي صاحب ابن المغلس وكان اماما في مذهب داود وولي قضاء القضاه ببغداد بجاه عضد الدولة وعنايته فاستناب على القضاء اربعة انفس ومات بفارس سنة احدي وثمانين وثلث مايه

ومنهم القاضي ابو العباس احمد بن محمد بن صالح المنصوري رجل وقف مع الظاهر فضيق على نفسه وغيم على شمسه وقلل فيئه التي اليها يرجع واجمل مراده فلم ينجح قال الشيخ ابو اسحق اخذ العلم عن مملوك ابيه الذي اعتقه وكان خرج الي بغداد فتعلم العلم وعاد الي المنصورة فاخذ عنه ابن معتقه قال النديم كان ابو العباس

من افاضل الداوديين وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير

ومنهم القاضي ابو الفرج القامي الشيرازي جمع بين نقيضين ظاهر لا يحتمل التاويل واعتزال له في ليله سبح طويل خرج في طي منليه عن الاجماع ونهج عجيبا قرع به الاسماع فكان في قومه عجبا وفي قوله ما اصبح صباح الحق به عنه محتجبا اخذ العلم عن بشر بن الحسين وكان اماما في مذهب داود وعنه اخذ فقهاء شيراز مذهب داود وكان ايضا راسا في الكلام على مذهب المعتزلة قال ابو اسحق الشيرازي كنت اناظره بشيراز وانا صبي

ومنهم ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف فزع الي فئة منزورة الاعداد منزوفة الامداد اخذ عمن لقي وكثر طايفة كالنكتة السوداء في بياض الثوب النقي ذكره الشيخ ابو اسحق فقال تفقه اولا على مذهب مالك ثم انتقل الي مذهب داود وتقدم فيه وتمم كتاب الايجاز لمحمد ابن داود ومولده سنة خمس وثلث مايه

ومنهم ابو الحسن عبد الله بن احمد بن محمد بن المغلس حمد نظره السري لما اصبح وفقد الكري حتي ارتح وحصل علما لا تنفد ذخايره ولا تسام اخايره حتي اقامت اليه المطي صدورها وادامت تتناوب اليه ورودها وصدورها وضربت اليه الابل اكبادها تخبط المهامه وحطب منه المتشابه وتعقل في ذراه لتحمل اوقارها وتحل اليه الستير لتجد لديه قرارها اخذ العلم عن ابي بكر ابن داود وانتهت اليه رياسة الداوديين في وقته ولم ير مثله فيما بعد وكان فاضلا عالما نبيلا صادقا ثقة مقدما عند

جميع الناس ومنزله ببغداذ على نهر مهدي يقصده العامة من سائر البلدان
توفي لاربع خلون من جمدي الاخرة سنة اربع وعشرين وثلث مايه بسكتة
اصابته وله كتاب جليل يعرف بالموضح وعنه انتشر علم داود في البلاد

ومنهم ابو الحسن عبد العزيز بن احمد الخرزي الاصفهاني القاضي
ممن لم يتسع به مدي النظر ولم يتجاوز به مذهب الظاهر مقدار ما ظهر
وقف به الجمود وطفي في لهبه الخمود ومضي وعلمه لا يقدر له في السير لما نسب
الي داود وكان في اهل وقته من العلماء الذين يفضلون والحكام الذين
يؤهلون والقضاه الذين مضوا علي الحق فقضوا به وكانوا يعدلون ٭ صنف
في مذهب داود وكان متمكنا في المذهب وولاه عضد الدولة قضاء الربع
الاسفل من الجانب الشرقي ٭ اخذ العلم عن بشر بن الحسين قال
ابو عبد الله الصيمري ما رايت انظر منه ومن ابي حامد الاسفرايني وجاء
الي بغداد هو والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني صحبة عضد الدولة من شيراز
وعنه اخذ فقهاء بغداذ من اهل الظاهر واخذ عنه ابن له قال
الشيخ ابو اسحق رايته وكان يناظر واخذ عنه ايضا القاضي ابو بكر محمد
ابن عمر ابن الاخضر وكان من اجلاء شهود قاضي القضاه ببغداذ واخذ
عنه ايضا القاضي ابو علي الداودي قاضي فيروزاباذ ٭ ومات ابو الحسن
سنة احدي وتسعين وثلث مايه

وهولاء مشاهير الظاهرية بالمشرق ثم انقطع مداهم وما اكل القلم
مطاه وتقلص ظلهم وكان اقصر من ابهام القطاه ٭ فاما بالمغرب فلم يكن
منهم الا واحد لكنه كالالف وفرد يحطم به كل صف

وهو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن
خلف بن معدان بن سفين بن يزيد مولي يزيد ابن ابي سفين بن صخر بن حرب
الاموي اسد فتح فاه والنقم وبحر زخر عبابه والتطم سيل عرم يجتحف
ما قدامه وريح زعزع ينسف ما جاء امامه وجبل لا يامن من استذري
به ان يقع عليه وارقم لا يطمئن راقيه ان يثب اليه شجاع اعد للحرب
وحسام لا يفل له غرب ومثقف ما الف الا الطعن والضرب اكل العلماء
بلسانه واذهب سوء الصنيع باحسانه ووطي الرجال بقدمه وفل النصال
بقلمه ونكس بعلمه الاعلام وقطع حيازيم الملوك بالكلام وكان امة
وحده والسلام ٭ ولد في الجانب الشرقي من قرطبه من بلاد الاندلس
سلخ شهر رمضان سنة اربع وثمانين وثلث مايه واصله من فارس وجده
خلف اول من دخل الاندلس من ابايه وجده يزيد اول من اسلم من اجداده ٭
وذكر ابن بسام بكلام ملخصه انه تمذهب للشافعي ثم راي راي داود
ابن علي الظاهري وابغضه علماء زمانه وسعوا حتي طرد الي بادية لبله
وهو لا يبالي بل يصنف ويولف ويشتغل ويدارس وصنف وسق بعير
لم يعد اكثرها عتبة باديته لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها حتي احرق
بعضها باشبيليه ومزقت علانيه وهو لا يزداد الا بصيرة في نشرها
وجدالا للمعاند فيها الي ان مضي لسبيله ثم قال وعلي ذلك كله فلم يكن
بالسليم من اضطراب رايه ومغيب شاهد علمه عند لقايه الي ان يحرك
منه بالسوال بحر علم لا تكدره الدلا ولا يقصر عنه الرشا قال ووصفه
ابن حيان ولعمري ما عقه ولا بخسه حقه ٭ وقال ابنه ابو رافع ابن علي بن
حزم اجتمع عندي بخط ابي من تاليفه نحو اربع مايه مجلد تشتمل علي قريب من
ثمانين الف ورقه وقال ابن بشكوال كان ابو محمد ابن حزم

اجمع اهل الاندلس قاطبة بعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم
اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والسير والاخبار وقال
ابو عبد الله ابن فتوح ما راينا مثله فيما اجمع له من الذكاء وسرعة الحفظ
وكرم النفس والتدين وما رايت من يقول الشعر على البديهة اسرع
منه وجمعت شعره على حروف المعجم وكان بينه وبين ابي الوليد الباجي
مناظرات ومجريات وكان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء المتقدمين
لا يكاد يسلم احد من لسانه فنفرت عنه القلوب واستقل بفقهاء وقته
فتمالوا على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا
سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه فاقصته
الملوك وشردته عن بلاده حتى انتهى الى بادية لبلة فتوفي بها في شعبان
سنة ست وخمسين واربع مائة وفيه قال ابو العباس ابن العريف
كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين وانما قال ذلك لكثرة وقوعه
في الايمة وقال القاضي ابو بكر ابن العربي في كتاب القواصم
والعواصم وقد حط على الظاهرية هي امة سخيفة تسورت على مرتبة ليست
لها وتكلمت بكلام لم نفهمه تلقفوه من اخوانهم الخوارج حيث تقول لا
حكم الا لله وكان اول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن فلما عدت
وجدت القول بالظاهر قد ملا به المغرب سخيف كان من اشبيلية يعرف
بابن حزم نشا وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داود ثم خلع الكل
واستقل بنفسه وزعم انه امام الامة يضع ويرفع ويحكم ويشرع ينسب
الى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوه تنفيرا للقلوب عنهم
وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته فجاء فيه بطوام واتفق

كونه بين قوم لا بصر لهم الا بالمسايل فاذا طالبهم بالدليل كاعوا فيتضاحك
مع اصحابه منهم وعضدته الرياسة بما كان فيه من ادب وبشبه كان يوردها
على الملوك فكانوا يحملونه ويحمونه بما كان يلقي اليهم من شبه البدع والشرك
وفي حين عودي من الرحلة الفيت حضرتي منهم طافحة ونار ظلالهم
لافحة فقاسيتهم مع غير اقران وفي عدم انصار يطئون عقبي تارة تذهب
لهم نفسي واخرى ينكسر لهم ضرسي وانا ما بين اعراض عنهم وتشغيب
بهم وذكر كلاما في الحط على الظاهرية وقال ابو محمد عبد الله
ابن محمد ابن العربي اخبرني ابن حزم ان سبب تعلمه للفقه انه شهد جنازة
فدخل المسجد فجلس ولم يركع فقال له رجل قم فصل تحية المسجد وكان ابن
ست وعشرين سنة قال فقمت وركعت فلما رجعنا من الجنازة جيت المسجد
فبادرت بالتحية فقال لي اجلس اجلس ليس ذا وقت صلاة يعني بعد صلاة
العصر فانصرفت حزينا وقلت للاستاذ الذي رباني دلني على دار الفقيه
ابي عبد الله ابن دحون فقصدته واعلمته بما جرى علي فدلني على الموطا فبدات
به عليه قراءة ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره ثلثة اعوام وبدات بالمناظرة
ثم قال ابن العربي صحبت ابن حزم سبعة اعوام وسمعت منه
جميع مصنفاته وقال ابو مروان ابن حيان كان ابن حزم حامل
فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق باذيال الادب مع المشاركة
في انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله كتب كثيرة لم يخل فيها
من غلط لجراته في التسور على الفنون لا سيما المنطق فانهم زعموا انه زل
هناك وضل في سلوك المسالك وخالف ارسطو واضعه مخالفة من لم يفهم
غرضه ولا ارتاض ومال اولا الى مذهب الشافعي وناضل عنه حتى وسم به

فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ ثم عدل الي الظاهر
فنقحه وجادل ولم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج بل يصك
به معارضه صك الجندل وينشقه انشاق الخردل فتمالي عليه فقهاء وقته
واجمعوا علي تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا
عوامهم من الدنو منه وطفق الملوك يقصونه ويسيرونه عن بلادهم وهو
في ذلك غير مرتدع ولا راجع يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من اصاغر
الطلبة يسمعهم ويفقههم ويدارسهم وكان مما يزيد في شناته تشيعه لامراء
بني امية ماضيهم وباقيهم واعتقاده لصحة امامتهم حتي نسب الي النصب
وقال ابن دحية كان قد برص من اكل اللبان واصابه زمانه
وعاش اثنين وستين سنة الا شهرا وقال اليسع بن حزم
الغافقي اما محفوظ ابن حزم فبحر عجاج وماء ثجاج يخرج من بحره مرجان
الحكم وينبت بثجاجه الفاف النعم في رياض الهمم لقد حفظ علوم المسلمين
واربا علي اهل كل دين وكان اولا يلبس الحرير ولا يرضي من المكانة الا بالسرير
مدح المعتمد فاجاد وقصد بلنسيه وبها المظفر احد الاطواد .. حدثني
عنه عمر بن واجب قال بينما نحن عند ابي ببلنسيه وهو يدرس المذهب
اذا بابي محمد يسمعنا ويتعجب ثم سال الحاضرين عن شي من الفقه فاعترض فيه
فقال له بعض الحضار هذا العلم ليس من منتحلاتك فقام وقعد ودخل منزله
فعكف ووكف منه وبل ما كف وما كان بعد اشهر قريبة حتي قصدنا
الي ذلك الموضع فناظر احسن مناظره وقال فيها انا اتبع الحق واجتهد
ولا اتقيد بمذهب .. وتوفي بقريته علي خليج البحر الاعظم في جمدي الاولي سنة
سبع وخمسين واربع مايه وقيل مات ليومين بقيا من شعبان سنة ست

وخمسين واربع مايه .. ومن شعره قوله من قصيدة

اجل هو مغني قد عفته الدوارس   فهل انت فيه وبه غيرك حابس
عسي يجيب الدمع اذ انا سايل   وهل يرجع اللفظ الطلول الدوارس
وفي طي مثنى الصفيح علي الثري   سيسمه للشكل والحسن لابس
غريب صفات الحسن ان سح حسنه   فامنع معدوم هناك المجانس
اذا خد لم يحو الجذو وجهاته   وان قيس يوما ظل فيه المقايس
عجبت لدهر لا يني وهو طالبي   بثار ولا ينفك دابا يمارس
فاهلا بوفد الشيب اذ جاء وافدا   وكنت وقلبي قبل ذا منه واجس
ولما اتي ردت نفوس بغيظها   ولم ينبسط نحوي اللحاظ النواعس
تثنين عني كالغصون واعرضت   ضواحك اقمار وهن عوابس
اذا ما ترامي بي مفاخر معشر   فاليسر يجزي للمفاخر دايس
واني بعرضي دون ديني متق   واني بروحي دون عرضي متارس
سما بي ساسان ودارا وبعدهم   قريش العلا اعياصها والعنابس
فما اخرت حرب مراتب سوددي   ولا قعدت بي عن ذري المجد فارس

وقوله من قصيدة قالها وقد تعصب علي بعض اصحابه في وقت
بميورقه فامتد بعض جهالها الي بعض كتبه فاحرقها ليشنعوا بذلك
ليرد الناس عنه

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي   تضمنه القرطاس بل هو في صدري
دعوني من احراق رق وكاغد   وقولوا بعلم كي يري الله من يدري

وقوله وقد اكثروا عليه تخويف باس نظرايه كابي الوليد وغيره

قالوا تحفظ فان الناس قد كثرت   اقوالهم واقاويل الوري محن

قلتُ لهم عيبهم لي غيراني لا اقولُ بالرّاي اذ في رأيهم فِتَن
لا انثني لمقاييس يقالُ بها في الدّين بل حسبي القرانُ والسُّنَن
دعهم يعضّوا على صمّ الحصى كمدًا من مات من قوله عندي له كفن
اني لاعجبُ من شاني وشانهم واحسرتا اني بالناس ممتحن
ما ان قصدت لامرٍ قطّ افعله الا وطارت به الاظعانُ والسفن
امالهم شغلٌ عني فيشغلهم اولهم بي مشغولٌ ومرتهن
كانّ ذكري تسبيحٌ به امروا فليس يغفلُ عني منهم لسن
لو بيع ذكري على ما قد تكاثر من طلابه لم يكن يدري له ثمن
ان غبتُ عن لحظهم ماجوا بغيظهم حتى اذا ما رأوني طالعًا سكنوا
دعوا الفضولَ وهبّوا للبيان لكي يدري مقيمٌ على الحسنى ومفتتن

وقولـــــهُ حين بلغهُ ان ابا الوليد الباجي يتناوله

قالوا سليمن يذمّك جاهدًا فقلتُ دعوهُ انه غيرُ طايل
هو المرءُ لا يوسي لمطلق ذمّه ولا لثناءٍ منهُ بشرى لعاقل

وقولـــــهُ

انابمُ انت عن نصّ الكتاب وما اتى عن المصطفى الهادي من الدين
اولى باجرٍ وتعظيمٍ ومحمدةٍ من كل قولٍ اتى من راي سحنون
هيهات راي امرءٍ من وحي خالقنا قياس هذا بذا راي المجانين
يا من هدى بهما اجعلني كمثلهما في نصر دينك واكمد غير مغبون

وقولـــــهُ من قصيدة

والزم اطراف الثغور مجاهدًا اذا هيعة ثارت فاول نافر
لالقى حمامي مقبلًا غير مدبرٍ بسمر العوالي والرقاق البواتر

اطاعنهم حتى يوافيني الردى بضربة حران وطعنة ثاير
كفاحًا مع الكفار في حومة الوغى واكرم موتٍ الفتى قتل كافر
ويرحل اصحابي واترك ثاويًا طريحًا لجدي في مكرّ الجوافر
فيا ربّ لا تجعل حمامي بغيرها ولا تجعلني من قطين المقابر

وقولـــــهُ يخاطب قاضي الجماعه بقرطبه ابا المطرف رحمهُ الله من قصيدة

ألم تر حاليني جلاءً مجربٍ على انه حقًا بي العالمُ الطب
اغيدك ان ترتاب في آتي الذي اتى سابقًا والكل يخبر او يخبو
امثلك يعشو عن مكاني ويمتري باني من افلاك ذا الادب القطب
ايخفى عليك البدر ليلة تمّه ولم يستتر عنك النيازك والشهب
وحاشاي ان يمتدّ زهوٌ بمنطقي وان يستفزّ الحلم من قولي العجب
ولكن لي في يوسف خير اسوةٍ وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقولُ وقال الحق والصدق انني حفيظٌ عليمٌ ما على صادقٍ عتب
فلو كنت الفو لاذ حدة خاطري تساوي لديه اللحم والحجر الصلب
ولو كان للنيران تعرض ذكائه وفاض عليها الجه البحر لم يخب
وما اختص علمٌ دون علمٍ بوجهتي بلى مسرحي في كلها الواسع الخصب
ومالي عميمٌ لست اخشى نفاده بانفاقه لا بل يزيد ويتصب
سموت بنفسي لا بمجدٍ هوت به من الزمن العذراء الا انه الجدب
وما ضرّ شعري ان سموا شهروا الذي ولم يحظ بي علما تميم ولا كعب
وان شئت اخبار الدهور فانني انا جامع التاريخ مذ نبت الهضب
سواءٌ على ذكري قريبٌ ونازحٌ وما حملت ارضٌ ومن ضمّه الترب
يسافر علمي حيث سافرت ظاعنًا ويصحبني حيث استقلّت بي النجب

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولي نحو أكناف العراق صبابة ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب
هنالك يدري ان للبعد قصة وان كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب
وقوله من أبيات يصف مقامه مع مناظريه
ويوم كحد السيف ليس بثابت عليه جليد لا ولا متجلد
لقيت شباه وهو جمر مؤجج واقلعت عنه وهو فجر مخلد
وقوله من أخرى
وددت بأن ودي فيك مني إليك مصور لك بالعيان
فتعلمه معاينة كما قد علمت يقين ذلك بالمعاني
وليت القلب شق وصرت فيه بجسمك ثم أطبق في المكان
فغبت عن البرية فيه ظرفا ودمنا هكذا أمد الزمان
وقوله
أحقا تري ان يطول المغيب إلى بلد نازح شاسع
ولم ترني أستحق الوداع بالوداد مضني ضايع
وما لك عذر سوى واحد تجوت به من حلي القاطع
وكنت أعد ذا أيضا على أخيك بمولمة السامع
ولكن إذا الدجن غطى ذكا فما الظن بالقمر الطالع
وقوله
أياديك عندي جمة لا أعدها كفاك اعتذارا انني لك عبدها
أمولاي قد أودى العتاب بمهجتي وليس سوى الاعتاب شيء يردها

وقوله في الاستعتاب
لنا في ذمام الود ما يوجب الرضى فيعطف مأمول ويرفع منحط
وللعفو شرط في الكرام مؤكد وما في صواب الحكم ان ينقض الشرط
لقد جل ذنب ضاق عفوك دونه على انني ما كان لي قبله سقط
ونافرتني حتى كأن خلائقي أفاع تمج السم منكرة رقط
وما تكره العتب اليسير سجيتي على انه قد عيب في الشعر والخط
توسط إذا عاتبت امرأ فانه يقال خيار الامر أجمعه الوسط
وقوله
ما مثل حبي لمن أهواه أعلمه ولا كوحشته في جانبي مثل
حاشى الوزير أبا مروان ان به فيما امتحنا به ما ضمني السبل
قد هام عشقا بدنيا ليس يحجبها لقا وليست لها في وصله أمل
فرغبه بقرار الضد يطلبه ضد فهل يلتقي الضدان يا رجل
حنا بإغرام قاضي المصر يطلبها نعم وبالدين إن ضاقت به الحيل
يبل بالقطر فاه عند ظمأته فلا عصوب بكفيه ولا بلل
وقوله
لقد بغتتني كثرة البين فجاءه بشمس وغصن يستقل به دعص
وما كنت أخشى قبل ذا نفثاته ولكن دهري في تقلبه لص
خفيت عن الابصار والوجد ظاهر فأعجب بأعراض يقين ولا شخص
بحب غزال قلبه الصخر قسوة يحيط به من جسمه ناعم رخص
أظنك لو أدركت أيام يوسف لما جاءنا الا بصورتك النص
وقوله

ليس شيء في الدهر احلي واشهي من عناق يكون يوم تلاق
ليس يدري لذاذة العيش الا من جري في ميادن العشاق

وقوله

لا تشمتن حاسدي ان نكبة عرضت فالدهر ليس علي حال بمترك
ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميفعة وتارة في ذري تاج علي ملك

وقوله

لئن اصبحت مرتحلا بشخصي فروحي عندكم ابدا مقيم
ولكن في العيان لطيف معني له سال المعاينة الكليم

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوي ويقول
افي حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر غير الجسم انت قتيل
فقلت له اسرفت في اللوم ظاهرا وعندي رد لو اردت طويل
الم تر اني ظاهري وانني علي ما اري حتي يقوم دليل

سمعت واطعت لقوله تعالي واعرض عن الجاهلين وسلمت وانقدت لحديثه عليه السلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك عنه واقول

تبغ سواي امرا يبتغي سبابك ان هواك السباب
فاني ابيت طلاب السفاه وصنت محلي عما يعاب
وقل ما بدا لك من بعد ذا واكثر فان سكوتي خطاب

ومن شعره

من ظل يبغي فروع علم يروي ولم يدر منه اصلا

فكل ما ازداد فيه سعيا زاد لعمري بذاك جهلا

وقد نقل ابن الوحيد الكاتب هذا المعني من حال الي حال واجاد اذ قال

جهد المفند في الزمان مضيع وان ارتقي استاذه وزمانه
كالثور في الدولاب يسعي وهو لا يدري الطريق فلا يزال مكانه

قال ابن حيان ويا لبدايع هذا الحبر علي وغرر ما اوضحها علي كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها وعلي ذلك فليس بدع فيما اضيع منه فازهد الناس في عالم اهله وقبله ردي العلماء بتبرزهم علي من يقصر عنهم والحسد داء لا دواء له واورد ابو عبد الله الحميدي ايضا من شعره قوله

هل الدهر الا ما لحقنا وادركنا فجايعه تبقي ولذاته تفني
اذا امكنت فيه مسرة ساعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
الي تبعات في المعاد وموقف نود لديها اننا لم نكن كنا
حصلنا علي اثم وهم وحسرة وفات الذي كنا نلذ به عنا
حنين لما ولي وشغل لما اتي وغم لما يرجي فعيشك لا يهني
كان الذي كنا نسر بكونه اذا حققته النفس لفظ بلا معني

قال ابو عبد الله الحميدي وقلت له يوما قال ابو نواس

عرض للذي تحب بحب ثم دعه يروضه ابليس

فقل انت يا طريق التحقيق فقال

اين قول وجه الحق في نفس سامع ودعه فنور الحق يسري ويشرق
ستؤنسه رفقا فتنسي نفاره كما نسي القيد الموثق مطلق

ومن شعره ايضا قوله

احاجيكم من علق القمر القرطا واسالكم من الحف الغصن المرطا
فما جزعي ان جاوز الجزع ظاعنا ولا ساقط جزني اذا جاوز السقطا

ومنها

وليلة ستر المدح تبذخ نخوة وقد عظمت مجدا وقد كرمت رهطا
ولم ترض بالجوزاء عقدا ودملجا ولا قنعت بالنجم شنفا ولا قرطا
تقنصتها والعمر في عنفوانه فلا غصني اجنا ولا لمتي شمطا
وليل غطا والنجم في الافق حاير فغطى على الاعلام منه الذي غطا
وليس وشاحي غير عضب مهند اني حده ان يسام القد والقطا
تشابه عزمي والحسام وهمتي ثلثة اسياف بامثالها يسطا

وقوله

سرت من لوي خبت الينا تعسف مهامه ذات الجهل والجو الكف
تبيت بذي الارطي وقد بات طيفها لنا صنما نحنو عليه ونعكف
هبيك سريت الليل فرعك اسحم وثغرك بسام ولحظك اوطف
فاني اطقت المشي قدك مايد وردفك رجراج وخصرك اهيف
سقي ربعك المالوف حيث تصدعت لي الكبد الحري ربع وصيف
فكم لي من جناب وطية كريما فلا آسي ولا انا اسف
وقد شققت فيه الجيوب جيوبها وبانت عليها ادمع العين تذرف
ليالي بات البان فوق كثيبه علي بانواع الجنا يتعطف
اذا ارتج من عطف كثيب مرجرج تاود من قد قضيب مهفهف
يمد علينا بالسحاب سرادق ويسحب فينا للحباب مطرف
ولله دري ما ارد مطامعي اذا سجعت ورق علي الايك هتف

بدا العلم الفرد الذي كنت عالما به وسري العرف الذي كنت اعرف
تذكرني سعداي بالغور ساعة اذ لا صدود في تصدف
ولله سلمي يوم اهدت سلامها بذي سلم نحوي البنان المطرف
وما ظبية ادماء لقروا راكها وتعطو وقد وافي بريرو علف
باحسن منها يوم ريعت لزورتي فراغت الي اترابها تتشوف
وقالت اما يثنيك رقبة حارس وانياب ليث في العرينة تصرف
ودون الذي املت اجرد سابح واسمر عراض وابيض مرهف
فقلت لها بعض الذي بك فانثنت وانجز ميعادا بخيل مسوف
ونلت سقاطا من حديث وعاقني تنزه حر عن خنا وتعفف
لئيا عدني تحت النقا بين منظر ويسعدني تحت اللثامين مرشف
وركب سروا والليل مرخ عليهم ستورا من الاظلام لا تتكشف
خبطت بهم اكنافه ونجومه روايم اظار علي البدر عكف
علي كل قنعاس كان ثغامة وقد سيم الارقال قطن مندف
هدايا خطوب بات ينحرها السري ولكنها من باطن الخف ترعف
الي ان اناف الصبح ينفض عرفه وطاير في غرة الفجر يهتف
فما انشق الا عن منادي ابن منذر نذيرا بصرف عالم عنه يصرف
ويا رب ميدان اتي فيه سابقا وغودر منكوبا هجين ومقرف
وما نام حتى لم تفترق العلى فها هي عقد في يديه مؤلف
اياس وبسطام بن قيس وحاتم وقس ولقمن بن عاد واحنف
وما هذه الايام الا مقاول تلت سورا من مجده وهو مصحف
اذا مضر الحمراء ادلت بجدها وجرت ذيول الفخر قيس وخندف

تمالك قحطان ببنيان سودد ينيف على تلك المباني ويشرف

وقال

البراق الناج برق ما سري الا ورد الافق مرطًا احمرا
اتبعته نظر المشوق بمقلة لم تدر منذ عهد الاثيلة ما الكرا
عاينته كالصقر صفق طايرًا فغدت غرابيب الدياجي نفرا
وسللت من نار الصبابة صارمًا وجررت من وفد التصابي عسكرا
ومشيت منسابًا فقل في ارقم وضح النهار له فعاد غضنفرا
بتنا وبات المسك فينا واشيًا بمكاننا والحلي عنا مخبرا
ودنت بالحاظ تدير كووسها فينا فنشرب بها حلالا مسكرا
والليل يلحفني سرابيل الدجى جهلا وقد عما نفت صبحًا مسفرا
لو جئتنا لرأيت اعجب منظرًا اسدًا توسد كف ظبي اعفرا
ولقد رايت من الحمى علامة فتشككت لما شممته متغيرا
لم الق الا مشرقيًا ابيضًا من دونه او زاعبيًا اسمرا
الا ترى المنصور تحت لوائه تلق آية طلق اليدين مظفرا
او لا تجد في الحفل عا قد حبوة هودًا فانا قد وجدنا حميرا
او نفتقد صمصام عمرو في الوغى فلقد سللنا ذا الفقار مذكرا
لا غرو جئت البحر اذ تخل الحيا ورايت يحيى حين لم ار منذرا
فاذا دعونا من تجيب لنكبة لبت تجيب فخلتها سيلا جرى
شيم غدت قرط الزمان فلم انم حتى نظمت عليه شعري جوهرا
لله درك والرماح شوارع والبيض تقطع لامة وسنورا
ومقامة للعي في الاعادي قد عمت ايام قوم قبلها ان تذكرا

كان اللسان بها الحسام المنتضي والمنبر العالي الاغر الاشقرا
غادرت احشاء البروق خوافقًا فيها ومران الوشيج مكسرا
انسيتنا جزل الطعان وعامرًا وعتيبة وابن الحباب ومسهرا
فاذا اتيتك مادحًا لك لم يجئ شعري ليسأل بل اتاك لتفخرا
غيري الذي اتخذ المدايح مكسبًا وسواي من جعل القوافي متجرا
انا ما شعرت لان انبه خاملا لكن لامنع شاعرًا ان يشعرا

قلت وبنو حزم لهم سادة نبلاء واعيان اجلاء اشرقوا اشراق النهار وتدفقوا تدفق البحار

ومنهم الوزير ابو المغيرة عبد الوهاب بن حزم احد الوزراء الاعيان والكبراء اللابسين عمايمهم بالسحاب فرطس في المعالي وقرطق باللآلي وجاء بالسحر الذي ما جاء من بابل واصاب لبه النحر الذي ما وصل اليه نابل وكانت بينه وبين ابي محمد مشاجرات استطال فيها لسان الخصام ورسايل افتك من مواقع الصمصام وقد ذكر ابن بسام ابا المغيرة فقال كان ظبية الحسام وواسطة النظام وفارس ميدان البيان وذات صدر الزمان حل من زهر الفضايل محل السنان من العامل والقمر من المنازل ودولة المستظهر عبد الرحمن بن هشام كانت مهبة الذي منه عصف ومجالة الذي فيه تصرف التي اليه زمامه واخدمه ايامه ثم عتب عليه في بعض الامر فلحق ببلاد الثغر فسحب على الرمل تسحب الهوى على العذل وامتزج بملوك العصر امتزاج الماء بالخمر ولو طال مداه لم يذكر معه سواه ولا اعترف بتفضيله احد وعداه قال ابو مروان وكتب عن عدة من الامراء ونال حظًا عريضًا من دنياهم الا انه اغتبط شانا

بعد ان ألف عدة تواليف وجرت بينه وبين ابن عمه الفقيه ابي محمد ابن حزم
مهاتات ظهر عليه فيها ابو المغيرة وبكته حتى اسكته لانه كان انبه
منه في حضور شاهده وذكاء خاطره وكان في زمانه في الجد والهزل صاحب
اللواء في مجالس الامراء مستنفرا للبيغاء ممتطيا للشعراء وتصور
في قلوب الرؤساء فاجزلوا ارزاقه واعظموا صلاته قال ابن
بسام وقد اخرجت من رسايله العميديه وقصايده اللبيديه وما جرى بينه
وبين ابن عمه ما يبحر الالباب ويبهر الشعراء والكتاب كتب
اليه ابو علي ابن الربيب القروي رقعة يقول فيها اني فكرت في بلدكم
اهل الاندلس اذ كان قرارة كل فضل ومعدن كل طرفة ومورد كل تحفة
ان بارت تجارة او صناعة فاليكم تجلب وان كسدت بضاعة فعندكم
تنفق مع كثرة علمايه ووفور ادبايه وجلالة ملوكه وصحبتهم للعلم
واهله ورفعهم من رفعه ادبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون
من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب مكانته فتشجع عندهم بذلك الجبان
واقدم التيهان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق الجار وشعر البكي
واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث وتنافس الناس في العلوم ثم هم
مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من اجل ان علماء الامصار
دونوا فضايل امصارهم وخلدوا في الكتب ماثر اقطارهم واخبار الملوك
والامراء والكتاب والوزراء والقضاه والعلماء فابقوا لهم ذكرا في
الغابرين ولسان صدق في الاخرين وعلماكم مع استظهارهم على العلوم
كل امرء قايم في ظله لا يبرح وثابت على كعبه لا يتزحزح يخاف ان
صنف ان يعنف او تخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق

لم يتعب نفسا منهم احد في مفاخر بلده ولم يستعمل نفسا في فضايل ملوكه
ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرايه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته
وعلمايه على انه لو اطلق ما غفل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال
من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عنه المسالك هنالك ولكن همة كل احد
منهم ان يطلب شاو من تقدمه من رؤساء العلماء ليحرز قصب السبق
ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق ابي العميثل
فاذا ادرك تلك البغيه وجاز بعد المنيه دفن علمه معه فمات ذكره
وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا البقاء ذكرهم
فالفوا دواوين بقي لهم بها ذكر يتجدد طول الابد فان قلت انه كان
ذلك من علمايكم ولكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق
لانه ليس بيننا وبينكم الا روحة راكب او دلجة قارب لو نفث ببلدكم
مصدور لاسمع ببلدنا من في القبور فضلا عن من في الدور والقصور
وتلقوا قوله بقبول كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه العقد
على انه يلحقه فيه بعض اللوم اذ لم يجعل فضايل بلده واسطة عقده ومناقب
ملوكه يتيمة سلكه لكنه اكثر وطول واخطأ المفصل واطال الهز
لسيف غير مقصل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال
ما يهمهم فارشد اخاك ارشدك الله ان كانت عندك في ذلك الجليه وبيدك
فصل القضيه ان شاء الله تعالى فراجعه ابو المغيرة برقعة
يقول فيها اما بعد ابقاك الله من حميم صريح الود اهدي تحيته على البعد
فان الفهم رحم والادب بين اهله وسايل وذمم وليس عدم التراي
والعيان بقاطع الاسباب والاقران ولا تنائي الديار والمنازل بقادح

صح والفوا كتابا

في الأذمّة والوسايل والكتاب عوضٌ من الكلام والتواصل بالنفوس
لا بالاجسام وما زلت استنشم ذكرك فاتوهّم قدرك واسمع خبرك فأرى
خُبرك حتى ارادت الايام كشف السرّ ورفع الستر فوقفت على
الصحيفة التي ظاهرها ديباج مرقوم وباطنها لؤلؤ منظوم او وشي
محوك وذهب مسبوك فرأيت صورة الآداب باهرة المرأى والعيان
زاكية المخبر والامتحان شاهدة لك بأذلق لسان واصدق بيان انك
ابو عذرتها ومالك جملتها وواحد فنونها ووارد معينها وقادمة جناحها
وصباريحها فسألت سؤال العالم وبحثت بحث اليقظان المتغافل وادّعيت
الحيرة وانت اهدى في تلك الفلا من فارط القطا لنعلم ابن المخطئ والمصيب
وكيف الجواب والمجيب والله يوفق من المراجعة لما يرضيك ويكون وفق
امانيك وما اجهل اني على نفسي ابتهل بهذا الدعاء لمن اسر حسوا في
ارتغاء فاول ما قدمت في كتابك ما يقدمه ذو الفضل والنبل من
ثناء على بلدنا واهله ووصفت الجميع على اختلاف طبقاتهم وتباين
درجاتهم من آرائهم التي نحوها وعلومهم التي وعوها باوفر الاقسام
واحتلالهم من ذلك على الغارب والسنام حتى عارض الجبان الاسد وناطح
الجوزاء الجلمد وناطق الاعجم الفصيح وبارى الجاهل العالم وجارى القاعد
القايم تجاسرا على هذا معنى كلامك لم اورد الفاظه وان اصبت اغراضه
اشفاقا من ان افضح كلامي به وادلك على قصوره التي تجتليه فاكون كمن
جمع بين الشبه والذهب وقرن الدر الى المخشلب ثم قلت ان ذكر
الفتى عمره الثاني والميت المجهول لا الفاني وكم من هالك اثاره كاشفه
عيانه واصفه قدره وشانه وحزن اثوابه كفنه وجهله جنّته وهولاء

الذين اشفيت في وصفهم جياد وصفك وهتكت ظلامهم بغرة صبحك على
غير هذا الرأي وبخلاف هذا المذهب قايلون فوليت في حين وعزلت
وارتفعت في حال ونزلت وانيت بغاية المحال وهو اثبات الضدين في حال
ثم زدت في التعليل وبالغت على الاحتجاج باعتمادك تكذيب من قال ان
الذي قلته لو ارتفع والذي قاله غيرك لو وقع لكان قرب المسافة التي هي
شوط جار بل غمضة سار توجب حل الشك وانجلاء الافك فعجبت من امنك
مراجعا لا يقصد في ادب المقابلة قصدي ولا يعقد على سانح اخوتك عقدي
يجعل جوابك قول القايل
لقد ناديت لو اسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
وعفرا عفرا لهذا العقوق وخذ بازاء قولك تخطفه الطير او تهوي
به الريح في مكان سحيق وعلى كل حال فقد نادينا لو اسمعنا وطرنا لو وقعنا
وما اشبهنا بالغريبة التي خيرها يدفن وشرها يدفن يتعب احدنا نفسه
ويرهف حسه ويعارض السيف بفهمه والبحر بعلمه والنار بذكائه
والزمان بمضائه ونتايج فكره محجوبه وبنات صدره غير مخطوبه وفي
فصل منها ولو لم يعلم لنا خبر ولا ظهر منا اثر وبقينا لا يعلم
مكاننا الا باخراج قسمة الاقاليم لنا والحاجة في الجغرافيا الى ذكر
صقعنا لكان عذرنا في التقصير عن انتشار الفضل لايحا وان كان نهجنا
الى اخذه والعلم به واضحا وان كان كتب باطلاق قولك هذا قد جاهرتنا
وحقك بالظلم مجاهرة انا اعجب كيف انقاد كريم طبعك له واعجب ايضا
من تخوعي لك ووقوعي على الانتصاف منك وانا اعلم ان عندكم لنا تواليف
يطيرون بها واشهر بتقصير اربابها فيها وان ودّ اعقل لك لساني ولم

بجر الآبما تؤثره وتختال بنا لي لو دَّ يفضح الروض في حزنه برايق حسنه
ويرضوي في هضبه بثقل وزنه ونوء السماك في هتنه بوابل مزنه وما
هي الاشبعة قديمة فيكم اهل الجهة الظاهرة اعلامها الباهرة علومها
وافهامها ثم خرج ابو المغيرة في رسالته هذه الى التطويل وبلغ في الاحتجاج
بفصول هي عادلة عن هذا السبيل وختمها بذكر جملة من تواليف
اهل الاندلس اضربت عن تسميتها لشهرتها ومنه قوله
نعفي تلك الآثار ما سال من عنانه وطمس ليل اللحية ما كان اشرق من نهاله
لاجرم لقد بقيت خيلان كالآثار الدالة على الديار والحلي السقيط المخبر
عن بين الخليط واذا تاملتها وقد اشتمل الشعر وزحف من كل جانب
اليها ذكرت قول ابي الطيب

برسوم كانهن نجوم في عراص كانهن ليال

قال ابن بسام وابو المغيرة في دعابته هذه كقراءته في فصل
كتبه ابو عبد الرحمن ابن طاهر الى ابن عبد العزيز مع غلام وسيم يقول
فيه هذا الفتى كما ترى يطلب خدمة ربه حشمه ويزعم انه يحمل حمله
ويتولى كل حين اهله وقدما عهدتك تحن الى هذه العصافير فانها حمر
الحواصل صفر المناقير ولابي المغيرة من اخرى اعزك الله في
الاجتماع حسم الداء ولا عدو للانسان الا نفسه ولا حية ولا عقرب
الا جنسه وليس في الحيوان اخبث في ذاته من الانسان فالاحتراس كل
الاحتراس والمعاشرة الجميلة للناس فابصر وحسن سريرتك ولا
تلدغن من جحر مرتين واذكر المثل السائر في اللاعب بين وتدبر
والعاقل من حمله كل بلد ونفق عند كل احد واعقل منه من عرف

الناس ولم يعرفوه فاستراح من اجنبي متكلف او قريب غير منصف ولم
يفتقر الا الى ربه ولم يانس الا بنور لبه ومن اخرى والارض قد
نشرت ملاها وسحبت رداها ولبست جلبابها وتقلدت سخابها وبرز
الورد من كمامه واهتز الروض لتغريد حمامه والاشجار قد نشرت شعورها
وهزت رؤوسها والدنيا قد ابدت بشرها واماطت عبوسها وكان بها قد
اطلعت من كل ثمر ضروبا وابدت من جناها منظرا عجيبا وان كنا لا نشارك
في تلك الا بالعيان لا باللسان وبالطرف لا بالكف وننالها بالاختلاس
لا بالاضراس والدهر قسم من اقسام اللذة وصنف من اصناف الشهوة
شهدنا انه راينا هم على اللذة شهود وما الحال للسقام بها اتصال
وللصحة عنها انفصال يعين على ذلك ضعف البنية وفساد الاهوية والتخليط
في الاغذية وبعض صلاحها بل كله تجيلك مطالعتي بحالك لا سكن اليها
الى ما اوثره من ذلك وشفع لي بخبر فلان واشرح ابن بلغ من تكتبه
وحيث انتهى من تطببه وكيف ضروبه وحدايثه ولعوقاته ومعاجنه
وهل ينفذ طبه وينفق نخجه وجه وصف لي ما يقوله على الماء ويبرمه
من الادواء واهد الى ما ينمقه من المقال على الكبد والطحال ويرقشه
من الكلام في الفالج والزكام ومعرفة الحلال والحرام والفلج عند الجدال
والخصام ولهُ من اخرى خاطب بها ابا محمد ابن حزم قال ابن
بسام اثبت منها بعض الفصول فرارا من التطويل وافتتحها ببيتي نواس
الا لا ارى مثلي امترى اليوم في رسم توهمه عيني وبرفضه فهمي
انت صورة الاشياء ببني وبينه فظني كلا ظن وعلمي كلا علم
وقفت كلاك الله وانت عين التمام وعلم الاعلام على كتاب عنوانه

باسمك اسمال كانه طلل بال فلما هززته هوم اوسالته استعجم معني كصدي
الانسان ولفظ كمنهجات الاكفان واعراض لا ندب فيها لبهيم مقرطس
واظلام لا وضح فيه لصبح متنفس ورطانة تمجها الاسماع وتجتويها الطباع
فاقمت متبلدا وعدت علي نفسي وقريحتي مترددا فقالت لنا افق ايها الانسان
لست بالنبي سليمن مني وعدناك ان تفهم كلام الجحل وسرايرا النمل الم
تسلك بك في شعاب الكلام فتغلغلت الم تسر في صحرائه فاوغلت الم تجر
في ميدانه فسبقت الم تنثر في ظلمايه فاشرقت هل احسست بنكول
خاطر او قصور لسان في ما نظمت كالعقود علي ترايب الفتاة الرود
ونثرت كالنجوم في صفحة الليل البهيم قلت بلي قالت فاعرض عن رطانة
النزط وصفير البط ولا تبح علي طلل بايد ودارس قد الي الله بنيانها من القواعد
فقلت اسرفتما طاعنين ان كانت الصحيفة لندرة الزمان ولعالم نوع
الانسان الا انه ربما كذب العنوان ونحل ذلك الهذيان فاعدت النظر فاذا
بك ابا محمد صاحبه كتاب بني علي الظلم العبقري والبهتان الجلي ومكابرة
العيان ومدافعة البرهان قد طمس الله انوارك واظهر عوارك فجاء كالفلاه
العوراء لا ماء ولا شجر والليلة الظلماء لا نجم ولا قمر ⁖ وفي فصل
منها فاستقصرت من دفع الي كتابك فقلت من لي بمثل غاشيتك من
هذه العصابه وباشباه المليمين بك من تلك اللبانه ونسيت ابا محمد حاشيتك
وشيعتك التي صرت رئيس مدارسهم وكبير احبارهم تحدثهم عن ما كان
فيهم من العبر وتخبرهم بما تعاقب عليهم من الصفا والكدر فتارة عن السامري
والعجل وتارة عن القمل والنمل وطورا تبكيهم بحديث التيه وطورا تضحكهم
بقوم جالوت وذويه حتي كان التوراة مضجعك وبيت الحزان معتكفك

وانا بمعزل وانت تحدث وتقول وتعجبت من حرصي ونسيت نفسك ابا محمد
حين قطعت البيدا بتلك السماء وترعدك الحربا في وقت يكمن فيه الحيوان
واحقها بالكمون نوع الانسان لترث حيا قايما علي حاله ما لك المالك يدعو
الله عليك ان استطلت عمره ونعيت اليه نفسه ⁖ وفي فصل منها
ومن طريف ما في كتابك قولك اقصدها وانا اخها ومن ابن يفد بصرك حتي
همزتها همز عامر بن الطفيل قرنه في سواد الليل وما اظنك جعلتها الا
تميمة لتلك القطعة الكريمه امتثالا لقول القايل

• ما كان احوج ذا الجمال الي عيب يوقيه من العين •

ومن لك ان يصبر عليك ويتاني بك وهذا الجواب كما تري ابن الوقت ونتيجة
الساعه ونفثة من لا يخرج الكلام له عن طاعه ومن تشغله عن التفاسير
كلف السلاطين وتثقله اعباء الزمان كاد يتنفس في ظهر كتابك قبل
وصوله بيدي

فقل فيما يجن عليه ليلي ويمضي في صناعته نهار
هنالك تظهر الايات حتي يقال تناثر الفلك المدار

فراجعه ابو محمد برقعة سمعت واطعت لقوله تعالي واعرض عن
الجاهلين وسلمت وانقدت لحديثه عليه السلام صل من قطعك واعف
عمن ظلمك ورضيت بقول الحماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك
عنه واقول

تبغ سواي امرا تبتغي سبابك ان هواك السباب
فاني ابيت طلاب السفاه وصنت محلي عما يعاب
وقل ما بدا لك من بعد ذا واكثر فان سكوتي خطاب

واقول

كفاني بذكر الناس لي وماثري ومالك فيهم يابن عمي ذاكر
عدوي واشياعي كثير كذاك من غدا وهو نفاع المساعي وضاير
واني وان آذيتني وعققتني لمحتمل ماجاءني منك صابر

فوقع ابو المغيرة على ظهر رقعته قرات هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها انشدتني

بخنح زند وسعل لما راي وقع الاسل

فاردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفس قد عرفت ذكاها تالله لا قطعتها الابد فاثبت على ظهرها ما يكون سببا لصونها وقلت

نعقت ولم تدر كيف الجواب واخطأت حتى اتاك الصواب
واجريت وجدك في حلبة نات عنك فيك الجياد العراب
وبت من الجهل مستنبحا لعير قري فاسك الذباب
فكيف تبيت عقبي الظلوم اذا انتقضت بالظلوم العقاب
لعمرك مالي طباع تذم ولا شيمة يوم مجد تعاب
انيل المنى والظبي سخط واعصي الرضى والعوالي غضاب

واقول

وناصب حقي اوبغته مقادر يذكرني حاميم والرمح شاجر
غدا يستعير الفخر من حيم خصمه ويجهل ان الحق ابلج ظاهر
الم تعلم يا اخا الظلم انني برغمك ناه منذ عشر وآمر
تذل لي الاملاك جر نفوسها واركب ظهر النسر والنسر طاير
وابعث في ظهر الزمان شواردا ثاقفهم وهي الصعاب النوافر

فان اثو في ارض فاني ساير وان انا عن قوم فاني حاضر
م ولا لوم عندي في استراحتك التي تنفس عنها والخطوب فواقر
م وحسبك ان الارض عندك خاتم وانك في سطح السلامة عاثر
فاني للحلف الذي مر حافظ وللترعة الاولى بحاميم ذاكر
هنيئا لكل ما لديه فانها عطية من تبلى لديه السرائر

وكذلك من هولاء الاسرة الغراء والدوحة المفنراء الوزير عمرو بن مذحج وابو الوليد ابن عمه ابنا حزم وهما قمرا السماء وفرقدا الظلماء وظبتا الحسام وتمتنا الاقسام ومستعر الجبيح ومنظر الربيع البهيج قال ابن بسام وابو الحكم منهما في وقتنا شقيق الوفاء وخاتمة من حمل هذا الاسم من النجباء وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الاحسان قبله وحجة على من جعل النقصان جبله اذ عن كل قوس من الفخر نزع وفي كل افق من علو القدر طلع اول ما نشا بدر فلك ومسحة ملك قل ما عن لبصر الا راقه ولا اصلح ذكره في قلب لبشر الا راقه واياه يعني ابو الحسن ابن السيد البطليوسي وقد غلب على ذكره وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه عجبا منه واعجابا به

راي صاحبي عمرا فكلف وصفه وحملني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي صدقت ولكن ذا اشب عن الطوق

وفيه ايضا يقول الوزير ابو محمد ابن عبدون من جملة ابيات

يا عمرو زد على الصدور قلوبنا من غير تقطيع ولا تحريق
وزر الثريا وهي تحر كواكب لولا العقوق لقلت بالعيوق
وادر علينا من جلالك اكوسا لم تال تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول احدهم

قل لعمرو بن مذحج خاب ما كنت ارتجي
شارب من زبرجد ولحي من بنفسج

فلما لم ليلة بنهاره ودب على سيفه وجنته فرند عذاره راع المجد بكرم
كرم واسرة سيف وقلم ممن يباري نجوم الليل وامثل صهوات الخيل
وعلى ذلك كله فلم ينس مكارم الاخلاق ولا اخلاد ذكره من قلوب العشاق
وله في الادب سبق سلف ومنه بيت شرف وله شعر مطبوع
فلما يغبنه البديع ابيات منه بفصول تشهد لها بالتفضيل فمن ذلك ما اجاب
به ابا محمد ابن عبدون لما كتب اليه ابياتا يقول فيها

سلام كما هبت من الحزن نفحة تنفس قبل الفجر في وجهها الزهر
من الوارف الفينان وشت بزوده ذراع من الليث الثريا لها شبر
والايد جزمية مذحجية تقشع عنها مذحج فانتمي عمرو
فجاد على تلك الاجارع والربى رواعده وبارقه بشر
اباحسن ابلغ سلام ممن بذي اذ حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس يمناك التي هي والندى رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فراجعه بابيات منها

اي النظم كالنظم الذي تزدهي به عروس من الجوزاء اكليلها البدر
تجلت لنا منه بخطك رقعة هي الروضة الغناء كللها الزهر
تحير ذهني في مجاري صفاته فلم ادر شعر ما به فهت او سحر
فان قلت شعر فالقلوب شعائر وان قلت سحر فهو سحر ولا كفر
اري الدهر اعطاك التقدم في العلى وان كان قد وافى اخيرا بك الدهر
لين جازت الدنيا لك الفضل آخرا ففي اخريات الليل يبلغ الفجر

ومنه قوله في صديق له سقط عن دابته ووثئت رجله يسمي باسمه

لقد اسرعت فيه العيون وانما جميل دفاع الله عنك التمائم
وما انت الا البدر طارت بسرجه عقاب لها الريح الحرون قوادم
ولا غرو ان طافت برجلك وثبة لها المجد خفاق الجناحين حائم
فقد ترجف الافلاك في دورانها وتنقض اعلام النجوم العواتم

ومنه قوله فيه ايضا من ابيات

اضمرت فيك صبابتي فوشى بها دمع فكلت به صحيفة مضمر
من ذا يفرق بيننا وحلا لنا متاثي في المنتمي والعنصر

في ابي العلاء زهر بن عبد الملك

ضح الرجل في حمص يا ابن طاير والي اصطناع الخير فيها وظاهر
وهبت فؤادي للبشير باوبة ولم اخل عليه بناظري

فيه

يا جاليا وجه السيادة واضحا ومقلبا طرف النباهة طامحا
صبر محيك صفحتي قمر الدجي وسنان رايتك السماك الرامحا

فيه وقد جاز البحر معه

يا ابن زهر طي الثريا عبيرا وحصا البيد لؤلؤا وعقيقا
وتلق الهواء وهو طليق كمحياك حين تلقى الصديقا
ما ترى الريح كيف هبت رخاء لك بعد الهبوب ريحا خريقا
وصبا البحر هبة لك لما جئته سالكا عليه طريقا
غمرته من يديك بحار صاح من وجهها الغريق الغريقا

فرق اللج منك حين استطارت منه احشاوه فريقا فريقا
جزه يا ابن الكرام ارضا ذلولا او فقفزه ان شئت طرفا عتيقا
وانتضي الجزم حيث كنت حساما واصحب اللج حيث كان رفيقا
وتفيا علاك ظلا ظليلا وتنشق ذكراك مسكا فتيقا

الي ابي الوليد ابن عمه

لا غرو ان بعدت دار مصاقبة بنا وجد بنا في الحضرة السفر
فمجز العين لا يلقاه ناظرها وقد توسع في الدنيا به النظر

ومن ابناء هذه القبيله وشعراء هذه البيته الاصيله ابن عمه ابو الوليد ابن يحيي بن حزم احد اعيان الادب واحلي الناس شعرا لاسيما اذا عاتب او عتب جعل هذا الغرض هجيراه فقل ما يتجاوزه الي سواه وكلما ابدا فيه واعاد احسن ما شاء واجاد وفي كل معني اكثر ما يمكن ولكن رائيته في باب العتاب يعلن بامره ويعرب عن ذات صدره

اتجزع من دمعي وانت اسلته ومن نار احشاي ومنك لهيبها
وتزعم ان النفس غيرك علقت وانت ولا من عليك حبيبها
اذا طلعت شمس علي بلدة اثار الهوي بين الضلوع غروبها

ولما رجا الواشون عني سلوة مغالطة هيهات ذاك بعيد
وكيف سلوي عن هواك وانه ليبلي فوادي وهو فيه جديد
اذا ما ثناه الياس عنك لوت به علايق حب فيك ليس تبيد
بلي ان عرتني فترة الصبر هزني تذكر ايامي بكم فاعود

وكم ليلة الطفت بالمني فقمت ابادر الظا فها
بشمس اذا ما تاملتها رددت علي الشمس اوصا فها
لفترة لحظ كان الكري اعان عليها وان خا فها
واني وان عفتها معلنا لاعذل في السر من عا فها
وهبت علينا صبا رطبة وقد عابث الطل اعطا فها
وقد بثها الروض هجر الحيا فخرت علي النور اطرا فها
وخيل الظلام امام الصباح والركض قد ضم اجوا فها
وقد فضفض الفجر اذيالها وزاد فذهب اعرا فها
وكابرت البدر شمس الضحي فمدت علي الارض اكنا فها
وعاصبت السحب فيها الرياح فصرت من الغيظ اخلا فها
وذكرني بادرات الحمام حمايم تندب الا فها

وقوله

كم قلت فيه معرضا ومصرحا اكذا علقت طلالة بفلا ن
ومنيت من خلطا به بعصابة خلطت به شبها من البهتا ن
هيهات لولا غنج لحظ محمد ما كنت نهزة اعين الغزلا ن
ولقد بعثت علي السلو لو ان لي قلبا يطاوعني علي السلوا ن
فجعلت ثوب الصبر فيه بصيرة وثنيت عن علم اليه عنا ني
ونبذت حلمي والتفت الي الصبا وبد العفاف تضم من اردا ني
لله ايام علي وادي القري سلفت لنا والدهر ذو الوا ن
اذ نجتني في ظله ثمر المني والطير ساجعة علي الاغصا ن
والشمس ترمق من محاجر رمد والطل يركض في النسيم الوا ني

والراح تأخذ من معاطف أغيد أخذ الصبا من عطف غصن البا ن
حتى إذا ضرب الظلام رواقه وخشيت فيه طوارق الحدثا ن
ملنا نؤمل غير ذلك منزلا والراح تقصر خطونا فتدا نى
ويروم قول ابي الوليد وربما ما نه لامه الوا وا ن
ثم احتللنا والوشاة بمعرك وقد التقت في جفنه سنتا ن
والبدر يرميني بمقلة حاسد لو يستطيع لكان حيث يرا نى
حتى اذا نشر السرور بساطه وطوى بساط شكيتي لأوا ن
اهوى يقبل راحتي توددا ويشد عقد بنانه ببنا نى
ويقول اشفاقا ورحمة متلجلج الالفاظ بعد بيا ن
هاك اغتنمها من زمانك خلسة تشفي غليل فؤادك الهيما ن
فلثمت فاه والتزمت عناقه ويد الوصال على قفا الهجرا ن
ومرقت من ضمن الاعادي عفة والليل مشتمل على الكتما ن

وقوله

وفي ساعدي حلو الشمائل مترف لعوب تناسى تارة وتجا ى
الحارجه حلو العتاب وربما تغاضب فاسترضيته ببكا ى
وفي لحظه من سورة الكاس فترة تمت الى الحاظه ببو لا ء
وقد عابثته الراح حتى رمت به لقى بين ثنيي بردتي وردا ى
على حاجة في النفس لو شئت نلتها ولكن حمتني عفتي وحيا ى

قال ابن بسام قوله وفي لحظه من سورة الكاس البيت مما فتن به ابو الوليد فتنة السامري بل سحر سحرا لا يتعاطاها الحبال ولا العصي وقوله

ومن عجب اني اذا رمت سلوة وجدت هواه آخذا بعنا نى
ابا قاسم خذها شكاية واجد كما وجد المقصوص للطيرا ن

وقوله

وكم املوا الا بلغوا فيك خطة وحاشاك منها والحديث يطو ل
فصلت لساني يعلم الله سكتة لها في جناني زفرة وعويـ ل
وسد طريق اللحظ دمع كانما تشحط من جفني فيه قتيـ ل

وقوله

وباحث عن غرامي فيك قلت له عني اليك فلا عين ولا اثر
ويلي عليك وويلي من تبذله وطالما صنته لو ساعد القدر

وقوله

ولقد قنعت فلا قنعت بزورة ولقد نجوت فلا نجوت مسلما
فابحت سرح اللهو مرتاد الهوى ومنعت طير الوجد ان يترنما

فصل وقد ذهب جماعة من العلماء الى عدم الاعتداد باهل الظاهر في الاجماع والاختلاف وهو قول ذهب اليه ابو اسحق الاسفرايني وابو بكر الرازي وابن ابي هريرة والجويني وغيرهم وقال ابو عمرو ابن الصلاح في فتاويه الاعتداد بداود في الاجماع وفاقا وخلافا مما وقع فيه الاختلاف منا ومن غيرنا فذكر الاستاذ ابو اسحق ان اهل الحق اختلفوا فذهب الجمهور منهم الى ان نفاة القياس لا يبلغون منزلة الاجتهاد ولا يجوز توليتهم القضاء وكذلك نقل نحوه عن ابن ابي هريرة وقال الجويني ما ذهب اليه ذوو التحقيق انا لا نعد منكري القياس من علماء الامة وحملة الشريعة فانهم اولا مباهتون على عنادهم فيما ثبت استفاضة وتواترا

وايضًا فان معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لا تفي بالعشر
من اعشار الشريعة فهولاء ملتحقون بالعوام وكيف يدعون مجتهدين
ولا اجتهاد عندهم وقال ابو بكر الرازي لو تكلم داود في
مسئلة حادثة في عصره وخالف فيها بعض اهل زمانه لم يكن خلافا عليهم ثم
قال ولاجل ذلك لا يعد خلافه احد من الفقهاء ولم يذكروه في كتبهم فقد
انعقد الاجماع على اطراحه وترك الاعتداد به والجمهور من العلماء على الاعتداد
بقول اهل الظاهر في الاجماع والاختلاف وقال ابو العباس ابن
تيمية جمهور الفقهاء يذكرون داود واصحابه في جملة الفقهاء الذين
يعتد بهم في الاجماع والنزاع كما ذكرهم ابو اسحق الشيرازي في طبقات
الفقهاء وهذا هو المعروف عند اصناف اهل العلم والمصنفين فيه من
اهل الاصول والفقه والحديث من اصحاب ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد
وقال القاضي عبد الوهاب المالكي وحكي عن قوم انهم قالوا لا
يعتد في الاجماع بخبر الواحد والقياس هذا وليس بصحيح وقال
ابو العباس القرطبي وحكي عن قوم انه لا يعتد بخلاف من نكر القياس
فذكر كلام القاضي عبد الوهاب والله اعلم
وبهذا الفصل تم ذكر الفقهاء من المذاهب الاربعة واهل
القول بالظاهر بالجانبين الشرقي والغربي الى آخرهين وبه تم هذا السفر
من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار ويتلوه ان شاء الله تعالى في
السفر السادس واما من حفظ السنة العرب وسعى في تحصيل لغاتها
واضطرب وبالله التوفيق ومنه نستمد الاعانة على التحقيق
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم